

سلسلة التوثيق والحفظ
٤

الروضة الغناء في دمشق الفيحاء

تأليف
نعمان قساطلي

دار الرائد العربي
بيروت • لبنان
ص.ب. ٦٥٨٥

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى

١٢٩٩هـ = ١٨٧٩م

الطبعة الثانية

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

فاتحة الكتاب

حمداً أين جعل الأرض للإنسان سكناً . وأولاه أن يعمرها منازل ومُدناً .
فاصبحت مدائن على سطحها كالنجوم الزهر في القبة الزرقاء . والأزهار النضيرة في
الروضة الغناء . حمداً توضع أريجها فاعطر الأكوان . وحملة نسيات التسبيح إلى
العقول فصاح لسان حال الكل سبحان سبحان

أما بعد فيقول العبد الفقير نعمان بن عبد بن يوسف القساطلي الدمشقي
أنه لما كانت دمشق أقدم مدينة لم ينخفض قدرها إلى الآن ولم ينحط عمرانها مع
ما انتابها من تقلبات الزمان مما دل على عناية صمدانية أوجبت لها التفضل على
غيرها من المدائن انتدبتني علائقي الوطنية أن افحص عن أخبارها وكلما كنت
استقري ما قيل في حقها في صحف الأخبار والتاريخ كنت استغرب ما يقال فيها
إذ كانت بعضه إيجازاً مغللاً وبعضه في بعضها اطناباً ملاً فزادني ذلك ترسلاً
للاستقصاء وحملي على أن اتبع ما قيل فيها وما يقال بتدقيق يستلزمه حسن
الدليل ولما كان كثيرون يمتنون أن يفتوا على ملخص أخبارها وآثارها ومشتلاتها
وليس لهم مورد لذلك بروي الغليل تجشمت كل المصاعب لتلخيص ما جاء في
حقها في كتاب يشفع لي عند ذوي العرفان فتم بحولہ تعالی لي المراد وجاء بالإيجاز
بقتضيه المقام وقد سميت بالروضة الغناء في دمشق الفيحاء وما أنا في ما أوردته
فيه بمعتقد كالي ولا معتصم من إخلالي على أني بحساسة أقول أنه حوى زينة أقوال
الرواة العدول دون عدول يحيى به تعصب ديني أو ميل غرضي وقد جعلته
خدمة لوطني العزيز ملتصاً من ذوي الانتقاد العفو عن القصور

والنقصير . متوسلاً إليه تعالی أن ينفع به قارئيه فإنه أكرم

مسؤول وخير مأمول وهو حسبي

والله أئيب

المقدمة

في جغرافية الشام

الشام . بلاد واقعة بين ٣٠° ٣٤' و ٣٧° ٣٠' من الطول الشرقي و ٣١° ٣٠' و ٣٤° من العرض الشمالي وقد سماها الاقدمون سوريا وقسموها الى قسمين الاول سوريا والثاني فلسطين واما الرومانيون فسموا القسمين معاً سوريا ولما استولى العرب المسلمون على هذه البلاد في نحو سنة ست مئة واربعة وثلاثين مسيحية الموافقة سنة ٤ هجرية سموها شاماً وذكر علماءهم اسباباً كثيرة لتسميتها بذلك نورد بعضها : قال المحافظ السهيلي في كتابه التعريف والاعلام : الشام بالسريانية الطيب سُميت بذلك لطيبها وخصبها وقيل سُميت بسام بن نوح واسمته بالسريانية والعبرانية شام وقيل سُميت شاماً لانها عن شمال الكعبة كما سُميت اليمن يمناً لانها عن يمينها وقال صاحب القاموس سُميت بذلك لان قوماً من بني كنعان تشاءوا اليها اي تياسروا وقيل لان ارضها شامات بيض وحمراً وسوداً الى غير ذلك من الآراء والشام مؤنثة وقد تُذكر وفيها لغات الشام والشام والشام وقد قسم بعضهم الشام الى خمس شامات : الاولى غنى والرملة وعسقلان وبيت المقدس . الثانية الاردن وطبرية والغور واليرموك وبيسان ومدنتها الكبرى طبرية . الثالثة الغوطة ودمشق وسواحلها ومدنتها الكبرى دمشق . الرابعة حمص وحماة وكفرطاب وقنسرين وحلب . الخامسة انطاكية والعواصم يومصيصه وطرسوس (١)

(١) لما استولى عليها العثمانيون قسموها الى اربعة اقسام دعوا ايات الاولى اباله حلب والثانية اباله دمشق والثالثة اباله صيدا والرابعة اباله القدس الشريف وظلت هكذا الى حين تشكلت ولايات الممالك العثمانية في ايام السلطان عبد العزيز فاضيف الى شمالها بعض المدن ومن ثم قسمت بلاد سوريا الى ولايتين الاولى ولاية حلب والثانية ولاية سورية ومركزها دمشق وكل ولاية قسمت الى متصرفيات والمتصرفية الى قيمقاميات ومدبريات وفي سنة ١٨٧٣ انسح القسم الجنوبي عن سوريا وهو متصرفية القدس الشريف وصارت تعلقة بالباب العالي راساً لكثرة مشاكله واتساع الولاية

ويجدها هذه البلاد شمالاً اسيا الصغرى وشرقاً العراق والبادية وجنوباً جزء
من بلاد العرب ويقال له تيه بني اسرائيل وغرباً ببحر الروم وهي ذات جبال
شامخة مرتفعة اعلاها قم الميزاب فوق طرابلس ارتفاعه ١١ الف قدم وجبل
الشيخ واعلى قمه يبلغ ارتفاعها ١٠ آلاف قدم وادوية منخفضة جداً لا يكاد
يوجد لها نظير في العالم اعينها وادي الشريعة الذي يبلغ انخفاضه عند بحيرة
لوط ١٢٢٠ قدم عن سطح البحر وسهول شاسعة جيدة التربة وبحيرات كثيرة
عذبة الا واحدة منها ماؤها مر ولا شبيه له على سطح الكنة وهي بحيرة لوط . وانهار
عديدة واشجار لا تحصى من انواع كثيرة بعضها مشر وبعضها عقيم وحيوانات داجنة
وبرية كثيرة الانواع ومعادن متنوعة منتشرة في انحاء البلاد واكثرها لم يزل
بكراً . وهواؤها بالاجمال جيد حسن بقوي الابدان وخصوصاً في الجبال اما تجارتها
فمقتدة الى جميع اقسام الممالك العثمانية وصادراتها من الحرير والحبوب بانواعها
ومن الاثمار والعنص وبعض العقاقير والصابون والصدف والانسجة الدمشقية
والحليّة والمحصية وغير ذلك ووارداتها المصنوعات الافرنجية واليهارات
والننك والجلود وما اشبه ولاهها اطول باع في مصنوعات كثيرة

اما سكانها فاقوياء البنية بيض الالوان مؤلفون من انواع عديدة يتدينون
باديان مختلفة وبعض اديانهم لا وجود له في غيرها كالديانة الدرزية والصيرية
والاسميائية ولورمنا وصف هذه البلاد بالتفصيل لشئنا مجلدات ولكن اذ كان
كلامنا عليها ليس الا لتبيان اهمية البلاد التي منها دمشق لزمننا ان نقول
باختصار ان سوريا من اقدم بلاد العالم وفيها قامت اكثر المذاهب الدينية
واهمها اليهودية والمسيحية اللتان امتدتا في كل العالم . وكانت هذه البلاد في
الازمان الغابرة ذات شهرة عظيمة وعمران فائق وتداولتها امم وممالك عديدة
فكانت اولاً وطناً للكنعانيين وغيرهم من نسل حام وسكن نسل سام في نواحيها
ثم اتاها بنو اسرائيل وطردوا الكنعانيين من اراضي فلسطين وتسلط عليها ملوك
اشور ثم ملوك بابل ثم ملوك مادي وفارس ثم ملوك مصر اليونانيون ثم استقلت

برهة من الزمان ثم اضيفت الى مملكة مكدونية ثم الى المملكة الرومانية ثم استفتحها العرب في اثناء سنة ٦٣٢ م ثم تملكها الفتر ثم فتح الصليبيون جزءا كبيرا منها ثم استرجعها منهم ملوك مصر المماليك ثم فتحها السلطان سليم العثماني وفي سنة ١٨٣٢ فتحها محمد علي باشا والي مصر تحت قيادة وليك ابراهيم باشا ثم استرجعها الانكليز بالاتحاد مع بعض دول اوربا العظيمة سنة ١٨٤٠ وسلموها للسلطان عبد الحميد العثماني ولم تنزل تحت تلك العثمانيين الى يومنا هذا . ومنذ الاجيال المتوسطة حيث بها الخراب فلعبت اصابعه باكثرها والجودة موقعها الطبيعي حفظت اسمها ولم تنزل تذكر كبلاد ذات اهمية عظيمة

فصل

في موقع دمشق والناحية وعدد سكانها

دمشق . هي اكبر مدن سوريا وفلسطين وموقعها في واسط سوريا حيث الطول الشرقي ٣٠' ٢٦° والعرض الشمالي ٣٠' ٣٢° وهي الى الشرق بانحراف الى الجنوب من مدينة بيروت تبعد عنها ١١٢ كيلومترا عبارة عن ١٦٨ الف ذراع وتبعد عن جنوبي حمص اربع مراحل وتعلو عن سطح البحر ٢٤٠٠ قدما ومحيطها تسعة اميال وتنف

وهذه المدينة كثيرة المياه والساتين وموقعها في سهل خصيب في غوطة تعد من افضل جنات الدنيا والى شمالها جبل قاسيون يزيد بها بهاء ونضارة فتصبح كجنة تجري من تحتها الانهار فيها كل انواع الفواكه والبقول وكل ما تشتهي نفس الانسان من مأكول ومشروب ومشهور ونزهة وانشراح ونظرا الى ذلك والى ما انطبع على اهلها من حسن السجايا ولطف الطباع حسبت جنة في الارض وفضلت باشياء كثيرة على ما سواها من البلدان وقد شهد لها بذلك اهل الذوق والآداب في كل عصر وان كما قال محمد بن آياس في كتابه بدائع الزهور . وقال العلامة الدكتور فان ديك في المرأة الوضعية ناقلا عن ابي الفداء منزهات

الارض اربعة . سغد سمرقند . وشعب بؤان . ونهر الأبله وغوطة دمشق . اما
سغد سمرقند فهو نهر تحف به اشجار مثمرة بالفواكه والازهار وهي مشبككة بعضها
ببعض ممتدة مقدار اثني عشر فرسخا . واما شعب بؤان من نواحي نيسابور فهو
مقدار فرسخين وفيه انهار مندفة واشجار مثمرة طيبة . وفيه يقول ابو الطيب المتنبي
يقول بشعب بؤان حصاني أعن هذا يسار الى الطعان
ابوكم آدم سن المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان
واما نهر الأبله فهو من اعمال البصرة وهو على اربعة فراسخ منها وعلى جوانبه الاشجار
الطيبة الثمار . واما غوطة دمشق فهي افضل الجميع ومقدارها ثلثون ميلا وعرضها
خمسة عشر ميلا وهي مشبككة بالاشجار كانها بستان واحد لا تكاد الشمس تقع
على ارض فيها وثمارها طيبة لم تكن في غيرها

وقال ابن بطوطة لود دمشق هي التي تفضل جميع البلاد حسنا وتنفذ مهاجلا
وكل وصف وان طال فهو قاصر عن محاسنها وقال ابو الحسين بن جبير رحمه
الله واما دمشق فهي جنة المشرق . ومطلع نوره المشرق . وخاتمة بلاد الاسلام
التي استقر بناها . وعروس المدن التي اجنليناها . قد تجلت بازاهير الرياحين
وتجلت في حلال سندسية من البساتين . وحلت من موضع الحسن بالمكان المكين .
وتزينت في منصبها اجل تزيين . وتشرفت بان اوى المسيح عليه السلام وامه اليها
الى ربوة ذات قرار ومعين . ظل ظليل . وماء سلسيل . تنساب مذانبه انسياب
الاراقم بكل سبيل . ورياض يحيي النفوس نسيمها العليل . وقد سئمت ارضها كثرة
الماء . حتى اشتاقت الى النظماء . فتكاد تناديك بها الصم الصلاب . اركض
برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . وقد احذقت البساتين بها احداق الهامة
بالقمر . والاكمام بالثمر . وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر . قال
عرقلة الدمشقي الكلبى :

الشام شامة وجنة الدنيا كما انسان مقلتها الغضيفة جلق
من آسها لك جنة لا تنضي ومن الشقيق جهنم لا تحرق

البنا الأهل

في تاريخ دمشق

فصل

في مذاهب المؤرخين في من بني دمشق

لم يتفق المؤرخون على من بني هذه المدينة المحسوبة من اقدم مدن العالم الباقية الى يومنا. وقد تفرقت واختلفت مذاهبهم بذلك. فذهب يوسيفوس بناء على رواية عن مؤرخ دمشقي قديم اسمه نيقولاوس ان بانيها دامشقيوس بن كنعان. وذهب غيره ان بانيها جبرون بن عاد بن ارم وكان بناؤها على عمد من رخام وقيل وجد فيها من آثار بناء جبرون اربع مئة الف واربعون الف عمود من الرخام وان الاشارة اليها في القرآن الشريف بقوله ارم ذات العماد. وقال آخرون بان بانيها اليعازر غلام ابراهيم الخليل وارتأى آخرون ان بانيها دمشق غلام اسكندر الكبير ورووا ان الاسكندر بعدما بني السد ورجع من المشرق يريد المغرب بلغ الشام وصعد على عقبة دمر فابصر موضع دمشق وكان الوادي الذي يجري فيه نهر دمشق غبضة ارز فلما رآها فكر كيف يبني فيها مدينة وكان له غلام اسمه دمشق وكان امينة على جميع ملكه. قالوا فقتل الاسكندر على ثلاثة اميال من دمشق وامر بحفر حفرة واعادة ترابها اليها فحُفرت فاعيد التراب فلم تمتلئ الحفرة فقال ان بني ههنا مدينة لا يكفي اهلها زرعها فرحل حتى اذا وصل الى حوران ورأى سعتها وتربتها الحمراء امر بحفر حفرة فحُفرت واعيد التراب اليها ففضل منه كثير فقال لغلامه دمشق ارجع الى ذلك الوادي واقطع الشجر وابني على حافته مدينة وسمها باسمك فهناك يصلح ان تكون مدينة وهذا الموضع بحرهما الفائض بغلتها فبني دمشق المدينة واقام بها حتى مات. ولم اقوال غير هذه لانتفي عن حقيقة الامر ولا تؤدّي الى المراء وكلامها متناقضة وما باني هذه المدينة والوقت الذي بنيت فيه الا من الاسرار التي عجز

الباحثون عن كشفها الى الآن . وربما لاسعة عند المتأخرين للوصول الى ذلك
اذ لا دليل واضح ولا بينة جلية تكشف عما وراء ذلك الستار. ونحن نقول ان غاية
ما عرفناه عن هذا الامر ان المدينة قديمة العهد ووجدت قبل زمن ابراهيم
الخليل بناء على شهادة التوراة (تك ١٤: ١٥) حيث يقال ان ابراهيم تبع اسرى
لوط بن اخيه الى حوبة الواقعة شماليها وهذا جرى في سنة ١٩١٢ قبل المسيح وعاليه
تكون دمشق قد بنيت منذ اكثر من ٣٧٩١ سنة واذ كانت في زمن ابراهيم مدينة
مشهورة فنقدر ان نقول من باب الظن انها وجدت قبل ذلك الوقت في
من السنين وان اخطأ الظن فالارجح ان يقال ان البعازر غلام ابراهيم او اسلافه
وضعوا اسمها لحسن موقعها وجودة ما حولها من الاراضي وكثرة مياهها خطت
خطوات التقدم بسرعة حتى صارت وقت حادثة لوط مدينة تذكر والله اعلم

فصل

في تاريخ دمشق الى يوم فتحها المسلمون

اخبار هذه المدينة في الايام الغابرة اكثرها غاض وما اتصل اليها منها قليل
واهم حوادثها في الملك التي نحن بصدد ما ذكرت في التوراة واكثرها له علاقة
بمملكة اسرائيل التي لولاها لما راينا خبراً اكيداً لدمشق في معظم هذه الملك فلذلك
عولنا على نقل اخبارها عنها الى ان ملكها ملوك اشور

انه بعد ما ذكرت دمشق في التكوين في زمن ابراهيم الخليل توارث
اخبارها ولم تذكر الا الى ايام داود ملك اسرائيل عندما امتلكها وجعل اهلها
عبيداً له على انه يستدل انها في هذه الملك كانت مستقلة تدعى ارام دمشق (ارام
لفظة عبرانية معناها ارتفاع ويطلق على بلاد مرتفعة وسميت دمشق بارام دمشق
تميزاً لها عن غيرها من الارامات كارام بين النهرين وارام صوبه وغيرها) وذكر
في ٢ ص ٨ ان دارد عندما حارب هدد عزر ملك صوبه جاء ارام دمشق
لنينة هدد عزر ف ضرب داود جيوش ارام وجعل محافظين من قبله في ارام

دمشق فصار الاراميون عبيداً له يقدمون الهدايا وكانت هذه المدينة قاصرة سياسياً على نوع الى ايام سليمان بن داود ففي ذلك الوقت خرج رزق احد عبيد هدد عزز ملك صورية عن طاعة سيده واتي مع قومه وملك في دمشق فصارت من وقيع عاصمة مملكة ارام وكان رزون عدوً لسليمان والمات ولى بعده حزبون ثم خلفه ابنه طبرييون وكان معاصراً لاييا ملك يهوذا ولما مات خلفه ابنه بنهدد الاول وكان معاصراً لآسا ملك يهوذا وفي بداية ملكه كان الصلح والسلام والمخالفة بينه وبين بعشا ملك اسرائيل غير انه لم تطل الملك الا اغرى آسا بنهدد بالاموال فنقض موثيقه مع حليفه وجرّد جيوشه على حدود مملكة اسرائيل المخاذبة ففتحها ورسم على ملك اسرائيل ان يبني سوقاً في السامرة عاصمة مملكته على اسم بنهدد فكان كما اقترح وجرى ذلك بين سنة ٩٤٠ وسنة ٩٣٠ ق م. وبعد بنهدد الاول ولج الملكة بنهدد الثاني فكانت عداوة بينه وبين ملكة اسرائيل ففي سنة ٩٠١ حمل عليها ونفذ حتى احاط السامرة بجيش عظيم وبنهدد اخآب ملك اسرائيل اعظم تهديد وطلب منه ما يضعب احتماله فكاد اخآب يجيب على ان شيوخ الشعب ابوا والرب ساعدهم باعجوبة فتقوا على عدوهم وخرج اليه ملكهم اخآب فانتصر عليه وافنى جيوشه ونكبه وبلادته اعظم نكبة وانتهى الصلح بان يرد بنهدد لـ اخآب ما اخذه ابوه من مدن اسرائيل وان يبني اخآب اسواقاً في دمشق كما بنى والد بنهدد اسواقاً في السامرة لما تغلب على اسرائيل .

وسنة ٨٩٧ ق م عاد الاراميون وحاربوا مملكة اسرائيل ففازوا وقتل في الحرب اخآب ملك اسرائيل وكانت الحرب بين بنهدد وملك اسرائيل الجديد خابغة اخآب على قدم وساق وفي نحو سنة ٨٩٠ ق م انتدت نيرانها وزاد لهيبها فانكسر بنو اسرائيل امام بنهدد فهاثروهم الى السامرة ووضع عليها الحصار وضابطها فازداد بها الويل واشتد الجوع حتى ان ارام النساء واشدهن حنوا اكلن اولادهن وبلغت قيمة ربع القاب^(١) من زبل الحمام خمسا من النضة وقيمة راس الحمار

(١) القاب من المكيل افة و٣٣ درهماً

ثمانين من الفضة^(١) واخيراً اذ ضاق الحال وكاد الاهالي يهلكون جوعاً خلصهم الله بانجوبة حيث استولى وهم على الاراميين ففروا وتركوا الحصار. وبعد ذلك اتى اليسع النبي الى دمشق وتنبأ بموت بنهدد وبان حزائيل ابنه يكون خليفة له ولما مات بنهدد خلفه ابنه حزائيل وكان جباراً عنيداً فاسياً فتح فتوحات كثيرة وحارب يهوآحاز ملك اسرائيل كل ايامه واستولى على بعض بلاده ولما مات خلفه ابنه بنهدد وكان دون ابيه في الجبروت حارب يوش بن يهوآحاز ثلث دفعات وتغلب عليه واسترجع مدن اسرائيل منه. ولما جلس يربعام بن يوش على كرسي اسرائيل ازهرت المملكة في ايامه ورجعت الى رونتها وقد فتح دمشق واخضعها للملكية ثم نواري ذكر دمشق. ويظن انها ظلت خاضعة للملك اسرائيل اوانها امتنعت عن محاربتهم وفي ايام فتح ملك اسرائيل وآحاز ملك يهوذا الذي جلس على عرش اورشليم سنة ٧٤١ ق م كان ملك على دمشق اسمه رصين فتحالف مع فتح ضد آحاز وقصد محاربتة واذا علم آحاز احتياجه الى مساعدة استنصر بتغلك فلاسر ملك اشور ضد عدويه فلبى واتى وحارب دمشق واخذها وسبها الى قير وقتل رصين ملكها ثم اتى آحاز الى دمشق للقاء تغلك فلاسر ملك اشور فرأى المذبح الذي في هيكل دمشق واذا عجيبة ارسل الى رئيس الكهنة في اورشليم ليعل مثلثه ويقدم الذبائح عليه (اما هيكل دمشق فقد ديم العهد وكان عظيماً ومخصصاً لعبادة رمون اله الاراميين ثم صار كنيسة ثم جامعاً وهو الجامع الاموي المعروف الآن وسياتي بسط الكلام عليه في بابي) وبقيت دمشق في حوزة الاشوريين الى سنة ٧٢١ ق م فاستولى عليها شلمنصر ملك بابل ثم بعد ذلك عصي سكان دمشق مع جميع اهالي سوريا على بنحصر الملك وامتنعوا عن أداء الضرائب فاستشاط غيظاً وارسل جنده الى سوريا نحت قيادة عبده اليافا فتمكن منها واخرب كثيراً من مدنها وقتل ما لا يحصى من سكانها ثم سار الى بقعة دمشق وكان ابام الحصاد فاحرق جميع المراعي والحقول واباد المواشي وسبي

(١) الثمانون من الفضة نحو ثمان ليرات انكليزية او نحو ١٠٥٠ غرشاً عثمانية

مدن مملكة دمشق وقتل شبانها وارجعها الى طاعة سيده بخنصر مع جميع ممالك سوريا وهكذا رجعت دمشق تخضع للملك بابل (ملخصاً عن سفر يهوديت ص ١ و ٢) ولما سقطت بابل بسيف كورش ملك مادي صارت دمشق تابعة له وفي سنة ٢٢١ ق م استولى الاسكندر المكدوني على سوريا فصارت دمشق لليونانيين وبعد موت الاسكندر ظلت سوريا محكومة من اليونان في مصر ثم لما تقوى سلوقس واسس المملكة اليونانية السورية وجعل عاصمتها انطاكية سنة ٢١٢ كانت دمشق تابعة لمملكة السلوقيين وظالت خاضعة لليونانيين سنة ٢٤٨ وفي سنة ٦٤ قبل المسيح اتاها بمبايوس احد قواد الرومانيين وفتحها مع انطاكية وكل سوريا واخضعها للرومانيين وبقيت تحت سلطتهم نحو ٧٠٠ سنة الى ان فتحها العرب المسلمون سنة ٦٣٤ م الموافقة ١٢ هجرية

ولما ساد الرومانيون على دمشق حصلت على التقدم وامتطت مطايا الفجاج فصارت اعظم مدن سورية وفلسطين الا انطاكية وكان عمال الرومانيين بها من عرب غسان فساسوها بادى امرهم مع ما يتبعها احسن سياسة (١)

(١) عرب غسان كانوا عرب الشام في ايام ولاية الرومانيين على سوريا اصلهم من اليمن من آل جفنة من بني الازد بن غوث بن نبت بن مالك بن ادد بن زيد بن كهلان بن سبا تفرقوا من اليمن بسيل العرم ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان فنسبوا اليه فبقيل لهم آل غسان وكان بالشام عرب من سلج يقال لهم الضجاعة كانوا من ملوك الطوائف الذين قتل اسعد الحبيري من كان منهم باليمن وقتل ازدي كسرى من كان منهم بارض العجم فقوي عليهم آل غسان واخرجوهم من ديارهم وحلوا مكانهم فتقووا فاتخذهم ملوك الروم عمالاً لهم على عرب الشام ودخلت دمشق في حوزتهم مدة وقبلوا الديانة المسيحية وتدينوا بها واول من ملك منهم جفنة بن عمرو بن ثعلبة بن مزينة هذا بعدما قتل ملوك سلج دانت له قضاة فعظمت دولته وبني في الشام مصانع كثيرة ومات وملك بعده ابنه عمرو وبني في الشام عدة اديرة منها دير صالي ودير ايوب ودير هند ثم ملك بعده ابنه ثعلبة وهو الذي بني صرح الغدير في اطراف حوران ما يلي البلقاء وكان ملكه سبع عشرة سنة ثم ملك بعده ابنة الحرث وكان ملكه عشرين سنة وملك بعده ابنه جبلة وهو الذي بني القناطر واذرع والفسطل ومدة ملكه عشرين سنة وملك بعده ابنه الحرث وهو ابن مارية ذات الفرطين اللذين بضرب بها المثل في التناقص وكان مسكنه في البلقاء فبني بها الحفير ومصنعة وقصر

وفي سنة ٥٩ ق م في بداية تولي الرومانيين عليها حدث فيها مقتلة عظيمة
فقتل بها كثير من اليهود واما سببها فهو ان بعض وجوه اليهود رغبوا في ان
يكونوا اعياناً في الديوان الروماني فاي السوريون ذلك فثار اليهود في دمشق
وقتلوا خلفاً كثيراً من الاهالي فغضب كلود يوس فيلكس الوالي وامر جنده فقتلوا
ايبرومعان وكان ملكه عشرين سنة وملك بعده ابنه المنذر الاكبر ومات بعد ان ملك
ثلاث سنين فملك بعده اخوه النعمان خمس عشرة سنة ونصفاً ثم اخوه المنذر الاصغر ثم
اخوه جبلة ثم اخوه الابهيم ثم اخوه عمرو وكان شديد التكبر ذمياً قبيح السيرة انشا في
دمشق وضواحيها ومعاملاتها عدة قصور شائخة منها قصر الفضاء وصفات العجلات وقصر
منار وصور في بعض هذه القصور مجالسة وجلساء دولته واشكال صورته فكانت منزهات
لا يوجد مثلها وكان قد جعل لنفسه في كل ليلة جارية عذراء من السبايا التي تصيبها خيلة
المغيرة في البلاد على العصاة من اهلها فلم يزل ذلك دابة حتى وقعت عنده في السبي اخت
عمرو بن الصعق العدواني فلم يشعر الا واخوها قد وقف به وهو يقول

يا ايها الملك المهيّب اما ترى صبحاً وليلاً كيف يختلفان
هل تستطيع الشمس ان يوتى بها ليلاً وهل لك بالصباح يدان
فاعلم يا يقن ان ملكك زائل وكما تدب تدان عقد رهان

فوقعت هذه الايات في قلبه وقل له قد امنك الله على كل من لك عندي وامن كل
الناس على من وقع لهم من السبايا وابطل تلك السنة من ذلك اليوم وبني دير ضخم ودير
النبوة وملك ستاً وعشرين سنة وشهرين ثم ملك بعده جفنة الاصغر ابن المنذر الاكبر وهو
الذي احرق الحيرة فسمي بالخرق وبنوه سمو آل محرق وملك بعده اخوه النعمان الاصغر
ابن المنذر الاكبر وبعده ملك النعمان بن عمرو بن المنذر وهو الذي بنى قصر السويداء وقصر
حارب ولم يكن عمرو ابو النعمان ملكاً بل كان من كرام العشيرة وفيه يقول النابغة الذبياني
عليّ عمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

وكانت مدة ملكه سبعاً وعشرين سنة فمات وملك بعده ابنه جبلة وهو الذي قاتل
المنذر بن ماء السماء وله يوم عين اباغ الذي فتك به ببني الحمر ونا . كان ينزل بصفين وبعده
ان ملك ست عشرة سنة ملك بعده النعمان بن الابهيم بن الحرث وملكه احدى وعشرون سنة
وملك بعده اخوه الحرث ثم ابنه النعمان وهو الذي اصلى صهاريج الرصافة وكان قد اخربها
بعض ملوك الحيرة الخميميين وملك بعده ابنه المنذر ثم ملك بعد المنذر اخوه عمرو بن
النعمان ثم اخوها حجر ثم ابنه الحرث ثم ابنه جبلة ثم ابنه الحرث وهو الذي اوقع ببني كنانة وكان
يسكن احياناً في الجابية واحياناً في عمان التي تعرف بالبلقاء وكان ابتداء ملكه في عصر

مقتلة عظيمة من اليهود ونهبوا منازلهم واحرقوها سنة ٢٠ ق م في ايام اوغسطس
قيصر قدم اليها هيرودس الكبير ومنها سار الى بانياس وفي اثناء ذلك رجع
اليهود وبنوا منازلهم وبعد صعود المسيح بقليل قدم اليها حنانيا الرسول
واشرف فيها بالنصرانية فآمن على يده بعض من سمعته. ونحو سنة ٢٧ او ٢٨ للمسيح
قدم اليها ايضاً بولس الرسول كما نقرأ في سفر اعمال الرسل ص ٩ وذلك يوم
النعمان بن المنذر ملك الحيرة فكانت بينهما مغابرة في الشرف وكان الحمرث كثير الغزو
والغارات على قبائل العرب وكان كريماً جواداً كثير المواهب فكانت العرب تدعوه
الوهاب وقيل لم يجتمع من الشعراء بباب احدهم من الملوك في عصره ما كان يجتمع ببابه وكان
حسان بن ثابت الانصاري منقطعاً اليه وله فيه مدائح كثيرة
ومات الحمرث وملك بعده ابنه النعمان وكان شديد الاجتهاد في انتشار النصرانية في
البلاد اكثر من اجداده وكان ملكاً عادلاً شجاعاً فاضلاً كثير الخير قليل الشر حسن الصورة
والسيرة وكان يحب العلماء والفضلاء ويقدمهم على اشرف الناس وكان يكنى بالي كرب
ويلقب بقطام وبعده ملك الانيهم بن جبلة بن الحمرث وهو صاحب تدمر وقصر بركة
وذاث انمار وكان له عامل يقال له القين بن جسر بنى له بالبرية قصراً عظيماً قيل انه قصر
برقع وملك بعد الانيهم اخوه المنذر وقيل ان ملكه كان سنة ٦٣٠ م وكان ملكه ثلث
عشرة سنة ثم ملك اخوها شرحبيل ثم ملك بعده اخوه عمرو ثم ابن اخيه جبلة بن الحمرث
وكان ملكه اربع سنين وملك بعده جبلة بن الانيهم بن جبلة وهو آخر ملوك غسان وكان
طويل القامة نحيف الجسم يلبس الثياب الفاخرة وهو الذي بنى مدينة جبلة بين طرابلس
واللاذقية وسماها باسمه وقيل انه اسلم في خلافة عمر بن الخطاب فسار الى مكة يريد الحج
بمئة وخمسين من اصحابه فلما قرب من المدينة قلدا اعتناق خيله بقلائد من الذهب والنضة
ووضع تاجه على راسه فلما بلغ عمر قدومه التقاه بن عنده ورفع مقامه حتى كان يوم
الطواف فبينما جبلة يطوف بالبيت محرماً متزواً اذ وطئ رجل من فزارة طرف ازاره
فانخل عنه الازار حتى بدت عورته فغضب جبلة من ذلك ولطم النزارى لطمة هشم بها انفه
فتعلق به الرجل وانطلق الى عمر ودمه يسيل على وجهه فقال له عمر انت بين ان
يلطمك الرجل كما لطمته او تنهدي اللطمة منه فقل جياة افلا يفضل عندكم ملك على سوقة
قال كلا بل كلاهما في الحق سواء . فانف جبلة من ذلك ولما جنة الليل خرج بقومه حتى
لحق بالشام فارتد عن اسلامه فكذب عمر لعامله بالشام ابي عبيدة بن الجراح ان يستنيب
جبلة فان تاب والا ضرب عنقه وبلغ ذلك جبلة فخرج هارباً الى ملك الروم واقام عنده .
وقيل كانت مدة ملك ملوك غسان ست مئة سنة . اه

كان حاكمها الحمارث ٢ كو ١١: ٣٢ الخ

وعندما صارت الدولة الرومانية نصرانية امتدت النصرانية في دمشق حتى ان ثيودوثيوس الملك امر بنزع عبادة الاصنام منها ومن غيرها من ممالكه وفي ايام ابني ارخاد يوس تهدم جزء من هيكل دمشق فرمته وحول الهيكل كله الى كنيسة على اسم يوحنا المعمدان ولم تضر مدة حتى صار كل اهلها مسيحيين على ان اكثر اليهود لبثوا على دينهم

وفي سنة ٥٤٠ م غزاها الفرس وخرّبوا كثيرا من ابنيها ولكنها لم تلبث ان عادت الى مجدها وصارت عملا من اعمال الرومانيين وعمّالهم فيها بنو غسان كما تقدم وكانت دمشق في كل اعصرها عظمة قوية مشيدة الحصون ففي عصر اليونان والرومان كانت في غاية الاتقان على شكل مستطيل بيضوي محاطة بسور عظيم منيع ويحرقها من الشرق الى الغرب الزقاق المستقيم وطولة نحو ميل وكان على جانبيه رواقان قائمان على اعمدة بين العمود والآخر بضع اذرع وقد ظهرت اثار هذه الاعمدة في سنة ١٨٦٣ وهم يحفرون اسس الفسلة التي بنوها في حي النصارى. والظاهر انها كانت ممتدة الى باب توما الذي هو احد ابواب المدينة الشمالية وهذه الاعمدة اثار في اكثر شوارعها ما يدل على انها كلها كانت على نسق واحد وقد قال من زار تدمر وعرف هندسة دمشق القديمة بان الثنتين على هندسة واحدة وكان لدمشق ثمانية ابواب من جهاتها الاربع قال بعضهم

دمشق في اوصانها جنة خلد راضيه

اما ترك ابوابها قد جعلت ثمانية

ولم تزل آثار السور القديم مع الابواب الى يومنا هذا وقيل في عيون الثوار يخ وكان لليونان على كل باب عيد في السنة وهم الذين وضعوا الارصاد على حركات الكواكب وبنوا لهم معبدا في الموضع الذي هو اليوم الجامع . اه . ولما قويت الديانة المسيحية صارت دمشق مركز ابرشية عظيمة وكان راعيها يلقب برئيس اساقفة فينيقية الثانية وتحت يده اثنا عشر اسقفا

فصل

في فتوح المسلمين لدمشق الى ان قامت الدولة الاموية
عظم شأن الرومان المسيحيين وعلا قدرهم وحلت مهابتهم في قلوب الشعوب
وفازوا بالظفر بادئ امرهم فانصفوا بالرعية واجروا العدل واتخذوا الحق
حاكماً في امورهم ثم ما لبثوا ان اسكرهم الفوز فتكبروا وتعظموا وتبدوا
العدل ظهيراً وانصبوا على الملاحى والمنكرات ونقعدوا عن الواجبات ومالوا
عن جادة الصواب وظلموا في الرعية وقلدوا الاحكام والمناصب اغبر اهلها
وجعلوا الرتب بضائع تجارية نفتنى بالاثمان فوسعوا للمرتشين ابواب الجور
والاعساف فتضعفت احوال الرعية وفسدت اخلاقها ونفرت من حكامها
فضاعمت سطوة الاحكام وانحط قدرهم ولم يستطيعوا الثبات امام الجيود الاسلامية
كما سيأتي

ففي السنة الحادية عشرة للهجرة الموافقة سنة ٦٣٢ م بايع المسلمون ابا بكر
الصديق خليفة فقام باعباء الخلافة وكان يرغب في تعميم الاسلامة واتساع نطاق
الفتوحات فدعا قومه الى ذلك فلبوه لانهم كانوا يودون الجهاد ويثرونه على
ما سواه . ففي السنة الثانية من خلافتهم سار الجيوش لفتح بلاد الشام وعقد راية
قيادتها لابي عبيدة عامر بن الجراح ثم انجده بخالد بن الوليد فسارت الجيوش نحو
بلاد الشام واخذت تفتح المدن والبلدان وتجري العدل والانصاف في ما تستولي
عليه . فقام عند العرب ان الروم جنباء لا يثبتون في الزل فطمعوا في بلادهم
واستهونوا حرمهم وتاكدا الفوز عليهم فوجهوا نظرهم بسرعة لفتح المدن الكبيرة
العظيمة فجد خالد بن الوليد السير حتى بلغ بصرى (هي في حوران وعلى خراباتها
الآن قرية صغيرة تُعرف ببصرى اسكي شام اي الشام القديمة) وكانت عساكر
الروم قد حشدت بها بكثرة وتولى قيادتها رجل اسمه رومانوس فخرج هذا من
المدينة واتى خالداً واجتمع به ثم اسلم عن يده واتفق معه على ان يسلم المدينة
بجيلة نكاية للرومان ولكنه في بادئ الامر يتظاهر بمحاربتهم . ولما عاد الى المدينة

أخذ يطيب بقوة الحاملين ويظهر الميل اليهم فخذلة قومه والزموه بينه وولوا عوضاً عنه رجلاً من مشاهير قوادهم فثقب رومانوس سور المدينة على حين غفلة وخرج الى معسكر العرب واتى بزمرة من الجنود وادخلهم المدينة فتمكنوا من فتح ابوابها فدخلها العرب ظافرين وعاملين السيوف باهاها حتى اجبروهم على الاستمان فامنوهم واستولوا على مدنيهم ووضعوا بها محافطين من قبلهم

قال الواقدي. وبعد ان فتح خالد بصرى سار بجنوده قاصداً دمشق فكتب لابي عبيدة عامر بن الجراح بسند عيه الى معونته وكتب لابي بكر يعلمه بما قصد . قال ولما كان خالد سائراً الى دمشق كان الناس يلتجئون اليها اسراباً اسراباً خيفة الاعداء فاضحى فيها خلق كثير من جملتهم ١٢ الف فارس ولما عرف هرقل ملك الروم بزحف العرب على دمشق راعه الخبر فجهز لوقته احد قواده واسمه كلوس بمخمسة آلاف فارس وارسله اليها فبلغها بوقت قصير وحسن حظ العرب وقعت البغضاء والمناظرة بين كلوس وعزازير والى المدينة وقصد كلوس خلع عزازير عن الولاية فلم يتم له الامر وبعد النزاع تقربا من بعضها وفي القلوب ضغائن كامة وانفقا على ان يتولى كل واحد منها امر الحاربة يوماً بالتناوب (هذا جرى وخالد في محل اسمه الدبر ينتظر اجتماع الجنود الاسلامية) ومن ثم صار الروم يخرجون كل يوم من باب الجابية ويعدون عن المدينة مقدار فرسخ منتظرين ابا عبيدة غير حاسبين حساباً لخالد ففي احد الايام لم يشعروا الا وانقض عليهم خالد بن الوليد من جهة الثنية فبادروه كالجراد فتدبرع خالد وخطب على قومه قائلاً: هذا يوم ما بعد يوم وهذا العدو قد زحف بخيله فدونكم والجهاد فانصروا الله نصركم وكونوا ممن باع نفسه لله عز وجل وكانكم باخوانكم المسلمين قد قدموا عليكم مع ابي عبيدة عامر بن الجراح فتمشددت قلوب جنوده ودبت فيها النخوة العربية وبعد ذلك استقبل خالد جيش الرومانيين وصرخ صرخة هائلة فحل وحل معه شرحبيل بن حسنة وعبد الرحمن بن ابي بكر وضرار بن الازور فارجموا العساكر الرومانية فتبع خالد كلوس قائدهم فلما اوشك ان يظفروا به فر من وجهه فوقف

خالد ودعاه للبارزة فتمنع خوفاً وذهب الى عزازير يطلب منه مبارزة خالد فابي
فالتزم كلوس ان يرجع ويبارزه فخرج ومعه ترجان اسمه جرجس ولما اجتمعا اخذا
يتهددان بعضهما اشد التهديد ثم هرب الترجان وترك البطلين في ساحة الوغى
فاخذتا يتصارعان ويتجادلان ولم يتيسر لخالد طعن خصمه وهو منبطح الجواد فانحرف
عليه وتمكن من اطواقه وجذبه فسقط على الارض فتوارد بعض فرسان العرب
وامسكوه واوثقوه واذا رأى كلوس ذاته اسيراً او عز الى خالد ان يطلقه دافعاً
الجزية فابي

ثم ان خالد اصم على الهجوم على جيوش اعدائه فانعه ضرار وقال له استرح
وانا احمل فابي الا الحملة بنفسه وفي اثناء ذلك استدعاه كلوس وهو في الوثاق
وناجاه بقتل عزازير فقال له سافتلها واباك ومن مثلكما في العقيدة
ولما وقع كلوس اسيراً كان قد اتى جرجس الترجان قومه فاخبرهم بشياعة
خالد وشدة بأسه فلاموه وحاولوا قتله وقالوا لعزازير ان كلوس اسير وخالد يتقدم
فابرز لقتالهم وخلص قومك فسمع عزازير الكلام وتعدد بلاية حربه وركب
جواده وسار وكان عزازير من مشاهير فرسان قومه واشدهم شجاعة وقوة واكثرهم
معرفة في فن الحرب وابوابها وكان عارفاً باللغة العربية فلما التقى بخالد تحدثا
وتهددا على غير طائل واخيراً قال عزازير لخالد اعطيك الف منقال ذهباً
وعشرة آلاف ديباج وخمسة من جياد الخيل ان قتلت كلوس واتيتني براسه
فقال خالد هذه ديتة فما تعطيني عن نفسك فغضب عزازير واخذ يتهدده واذا
لم يكن بداً من القتال حملاً وتجاوزاً لبرهه فكاد خالد يستظهر على عزازير ففر عزازير
فتبعه خالد وكان جواده بطيء السير فظن عزازير الخوف في خالد فتربص له
واعادا المقاتلة فلم يفر احدهما بصاحبه فترجل خالد فطعن به عزازير وجال
حوله بسيفه وضربه به فاخطاه فضرب خالد قوائم جواد عزازير فسقط عزازير
وعمد الى الهرب فادركه خالد والنقطة فبادر الروم لتخليص رئيسهم من اسره
وعند ما وصلت جنود العرب بغة مع ابي عبيدة فعدل الرومانيون عن الحملة. ثم في

اليوم الثاني نهض خالد وابو عبيدة ورتبا الجيوش الاسلامية وحملها على الروم واستظهروا عليهم فولوا الادبار فتبعهم المسلمون عاملين السيوف فيهم حتى ادخلوا اكثرهم المدينة من الباب الشرقي فحينئذ أُغْلِقَت ابواب المدينة فانقسمت الجيوش الاسلامية وعددها نحو ثلثين ألفاً وخمس مئة الى قسمين الأول تحت قيادة ابي عبيدة نزل امام باب الجابية والثاني تولى قيادته خالد بنفسه ونزل امام الباب الشرقي وهكذا حصرت دمشق وتعسر على الروم الخروج والدخول وسدت امامهم المسالك . ثم ان خالدًا احضر الفائد بن كلوس وعزازير الى امام اسوار المدينة وعرض عليها الاسلام فابيا فامر ضرارًا بن الازور البطل المشهور فضرب عنقهما فلما نظر ذلك اها الى دمشق ارتاعوا فكتبوا الى انطاكية الى الملك هرقل يخبرونه بما جرى على الفائد بن وبنزول العرب على باب الجابية والباب الشرقي ويطلبون منه انجادهم سرعًا ولا فيسلمون المدينة وسلموا الرسالة لرسول دلو من اعلى السور في ظلمة الليل فلما وصلت الرسالة الى الملك هرقل بكى على مصاب بلاده ثم جمع قواده وتلاها عليهم وقال يا قوم لقد انذرتكم من هؤلاء العرب فاتخذتم كلامي هزء فاعلموا انهم خرجوا من بلاد قفراء الى بلاد خصيبة كثيرة الاشجار والثمار فاغرستم نضارتها حتى لا يزدجرون عنها لما هم فيه من العزم وشدة لباس ولولا الفضيحة لتركتم الشام ورحلت الى القسطنطينية ولكني ساستعين الله واخرج لقتالهم اه . فقال القواد وهل بلغ من قدر العرب حتى تخرج اليهم بنفسك ايها الملك فقال ومن تبعك اليهم قالوا بوردان صاحب حمص فانه افرس فرساننا واعرف قوادنا بفنون الحرب وقد اشتهر في حروب الفرس . فبعث الملك واحضر وردان وقلده قيادة اثني عشر الف فارس وارسله لنجدة دمشق وقال له عندما تبلغ بعلمك انفذ الى من باجناد بن واوصهم ان يقطعوا المدد عن العرب

وفي اثناء ذهاب رسول دمشق الى الملك شدد العرب الحصار على دمشق وكانوا يهجمون عليها مدة عشرين يوماً بجملات شديدة وفي اليوم الحادي

والعشرين اتى نادي بن مرة واخبر خالدًا بان الروم مجتمعون بعدد غفير في اجناد بن وقصد هم الحيلة على العساكر الاسلامية فذهب خالد لوقت من امام الباب الشرقي واتى ابا عبيدة امام باب الحجابية وحدثه بما بلغه وقال له اني ارى من الصواب ان نرحل من هنا ونقاتل الروم باجناد بن فان نصرنا الله عدنا لنقاتل هؤلاء القوم فانكر ابو عبيدة هذا الرأي وقال الاجدر بنا ان نوجه شرذمة من الجند تحت قيادة احد الابطال المجريين فان رفعنا الحصار عن دمشق يستولي اهلها على مراكزنا فنمسي خاسرين فاستصوب خالد هذا الرأي وسير خمسة آلاف فارس مجريين تحت قيادة ضرار بن الازور لمحاربة الاعداء في اجناد بن فلما بلغ هذا الجيش بيت لهيا التقى بعساكر الروم وكانوا اكثر منه عدداً فهابهم وهم على الرجوع خوفاً وكان خالد قد قال لهم اذا وجدتم الاعداء اكثر منكم فكروا الياناراجعين فلما التقوا بالروم عزموا على الرجوع خيفة اللقاء فانفسهم الى التهلكة فقاومهم ضرار وقال لست ممن يرجعون وايئت الا الضرب بسيفي حتى الهلاك وافضل الهلاك على الهزيمة. فوافقه رافع بن عبيدة الطائي وقال مخاطباً الجنود لربا قوم وما الخيفة وما هولاء العالوج انما نصركم الله في مواطن كثيرة والنصر مقرون مع الصبر ولم تنزل طائفتنا تلقى الجموع الكثيرة واليسيرة فاتبعوا سبيل المؤمنين وتضرعوا الى رب العالمين وقولوا كما قالت قوم طالوت عند انماهم بجالوت ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) ولما سمع الجنود هذا الكلام تشددت عزائمهم وتشجعوا ونادوا القتال القتال فكن بهم ضرار في بيت لهيا ولما انصل بهم الروم حمل ضرار مع جنوده فدارت رحى الحرب وازداد انقاد نيرانها وكانت موقعة دموية قتل بها خلق كثير من الجانبين من جملتهم همدان بن فائد عسكر الروم ووقع ضرار اسيراً بعد ان جرحه همدان فلحق خبر اسر ضرار بخالد فتكدر واستشار ابا عبيدة فاجمعوا على ان خالدًا يلحق بجيش ضرار فسار بنخبة من جيشه واقام على الباب الشرقي ميسرة بن مسروق العبسي وكان بطلاً مشهوراً وجعل تحت قيادته الف فارس

ولما اتصل خالد بجند ضرار رأى بينهم فارساً يحمل على الأعداء حملات
 ترزعع الجبال الرواسخ فاستدعاه واستكشفه عن أمره . فاذا هو خولة بنت
 الأزور اخت ضرار الماسور تقوم بأخذ الثار . ثم أت خالداً حمل مع رجاله على
 الكنائس الرومانية وشتموها وأرسلوا سرية تحت رياسة رافع بن عميرة الطائي
 استرجعت ضراراً من أسر العدو وعادوا إلى دمشق مشددين عليها الحصار
 ولما بلغ الملك هرقل ما أصاب جيش وردان جهز جيشاً عرمرماً مولفاً من
 تسعين ألف مقاتل وأرسله لأجناد بن وأرسل لوردان يوليه قيادة الجيش وأمره
 أن يقطع اتصالات العرب فبلغ خبر هذا الجيش أذان خالد بن الوليد وهو على
 الباب الشرقي في دمشق فاجتمع بابي عبيدة فقرر رأيها على أن يجعها الجنود من
 جميع الجهات في أجناد بن فرفعوا الحصار عن دمشق وساروا قاصدين أجناد بن
 فكان خالد على مقدمة الجيش وأبو عبيدة على المؤخرة مع الغنائم والأموال ومعه
 ألف مقاتل وعند ما أخذوا في السير خطب خالد بالجنود قائلاً إياها الناس أنكم
 ساءرون إلى جيش عظيم فابقظوا همكم وإن الله وعدكم النصر وقرأ عليهم قوله .
 كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين . وكان من أمرهم أن
 التقوا بالروم في أجناد بن واقتتلوا اقتتالاً عظيماً دارت الدائرة فيه على الروم
 وقتل منهم خمسون ألفاً على ما قيل وذلك في جمادى الأولى سنة ١٢ هـ (وأجناد بن
 سهل بين الرملة وبيت جبرين)

وفي يوم الخميس في ٢ جمادى الآخرة كتب خالد لابي بكر يخبره بما كان
 ويعلمه بأنه راجع إلى دمشق ثم رجع إلى دمشق فوجدها قد ازدادت تحصناً
 فنزل في دير خالد المنسوب إليه ويبعد عن المدينة نحو ميل وأخذ يرتب كيفية
 الحصار وبعد أن أتم الأمر قسم جيشه المؤلف من خمسة عشر ألف مقاتل على ما
 قيل على أبواب المدينة فجعل أبا عبيدة على باب الحجابية ويزيد بن أبي سفيان
 على الباب الصغير (باب الشاغور) وشرحبيل بن حسنة على باب توما وعمر بن
 العاص على باب الفراديس وعيس بن هيرة على باب الفرج ونزل خالد على

الباب الشرقي وضرار بن الازور كان يطوف حول المدينة بالفي فارس للحراسة وكان في دمشق بطل مشهور اسمه توما كان متزوجاً بابنة الملك هرقل فاقامه الاهالي قائداً عليهم فنظم احوالهم وصعد على سور باب توما المنسوب اليه ورمى قوم شرحبيل بالسهم فقتل منهم خلقاً كثيراً في جلتهن ابان بن سعد بن العاص وكان عريساً تزوج باجناد بن عروبة ابنة عمه من النساء المسترجلات فندبت بعلمها ونذرت على نفسها اخذ ناره فتبعته الجيوش وكانت ترمي السهم فاصابت حامل الراية الدمشقية فسقطت الراية الى العرب فعظم الامر على توما وخرج من المدينة لاسترجاعها وتبعه شرذمة من عسكره واوشك ان يسترد الراية واذا بنبله رمية بها زوجة ابان فاصابت عينه فكرر راجعاً وتبعه قومه واغلقوا الباب فكتب توما الى الملك هرقل بحالة الحرب وطلب منه ان يرسل له شيعة او ان يدعه يصالح العرب. وفي اثناء ذلك شدد العرب المحصار وقطعوا كل اتصال عن المدينة وداوموا القتال فتضايق الاهالي واي تضايق وطلبوا من خالد المهاذنة فابي الا القتال فظلمت رضى الحرب دائرة والنجيدات تتوارد على العرب بكثرة حتى تعاظم جيشهم واهالي دمشق لا يرون باباً للفرج فانقسموا فقتلوا فئة رغبت في الاستمان وفئة في الدفاع الى النهاية مفضلة اياه على الذل فتغلب حزب الاستمان واجتمع زعماءه عند باب الجباية وتكلموا مع ابي عبيدة وقطعوا معه شروط التسليم وخرجوا اليه فاكرمهم ثم دخل المدينة ومعه مئة رجل فيهم خمسة وثلاثون صحابياً هذا ما كان من امر ابي عبيدة. واما ما كان من امر خالد فانه اتاه في تلك الليلة عينها قس اسمه يونان نقب سور المدينة من بينو الذي كان بازاء السور بجانب الباب الشرقي واعلمه بما فعل واستأمن اليه فامنه خالد وارسل معه مئة رجل من اشداء قومه واوصاهم اذا صرتم في المدينة هلكوا وكبروا وافتحوا الباب ففعلوا ذلك والناس غافلون فدخل خالد المدينة عنوة وسار في الطريق المستقيم يضرب بسيفه واهل المدينة على خلف وقد راعهم ما راوه مما لا يتظنون ولما وصل الى كنيسة مريم (للروم الارثوذكس) التقى بابي عبيدة دون

ان يرى له سيفاً مجزّداً وكان القوم بين يديه يسبرون به باحتفال له فاخذ العجب منه كل ماخذ فبادره ابو عبيدة وقال ليا خالد قد فتح الله المدينة على يدي صلحاً وكفى الله المؤمنين القتال فقال خالد لوما الصلح وقد فتحناها بالسيف وخضبت سيوف المسلمين من دمائهم فقال ابو عبيدة لعلم ايها الاميراني ما دخلها الا بالصالح فقال خالد لوانا ما دخلتها الا بالسيف عنوة وما بقي لهم حماية فكيف صالحتهم وقد طالمت المناقشة بينهما على هذا النمط وكان جيش خالد يقتل وينهب فنادى ابو عبيدة لوانكلاه حُقرت والله ونقض عهدي وجعل يشير الى الجنود ويقول (معاشر المسلمين اقسمت عليكم برسول الله لا تمدوا ايديكم نحو الطريق الذي جئت منه حتى نرى ما نتفق عليه انا وخالد) فلما قال لهم ذلك كفوا عن القتال . فعقدوا مجلس شورى من امراء العرب ومقدميهم فاجمعوا على ان يقبل خالد بصلح الي عبيدة الى ان يعلموا الخليفة فينهي الامر فقبل خالد ذلك على انه اصر على قتل توما وهريس (هريس قائد شجاع كان على نصف المدينة تحت امر توما) فعارضة ابو عبيدة وقال له لا تحقر ذمتي فاني امنتهم فتقدم توما وهريس وطلبوا الخروج من المدينة والتسما ان يخرج معهما من يريد من اهلها باموالها فاذن لهما بذلك بشرط ان لا يكون مع كل واحد من المهاجرين سوى قطعة واحدة من السلاح وانهم يكونون في ذمة العرب ثلاثة ايام ولا اثم على العرب اذا لحنوهم او وقعوا بهم بعدها ففسار المهاجرون آخذين معهم نساءهم واولادهم وما خفف من مالهم وغلا ثمنه وكان خالد وضرار وغيرهما ينظرون اليهم شذراً وبأسفون على خلاصهم وبعد الثلاثة ايام لحق خالد بهم مع فرقة من اشد رجاله وفي مقدمتهم دليل روماني خان قومه في دمشق وكان عارفاً بالطرق ومخارج البلاد فجدوا السير وادركوا المهاجرين بعد ايام في مرج الدبياج عند الجبال الباردة بنواحي انطاكية فقتلوا رجالهم ونهبوا اموالهم وسبوا امرأة توما بنت الملك هرقل ورجعوا ظافرين على ان خالد ارد بنت الملك الى ابيها هدية ورجع الى دمشق . اما مدة ميازة دمشق فكانت سبعين يوماً على ما رواه ابو الفداء

وفي الليلة التي فيها فتح المسلمون دمشق وهي ليلة الثلاثا لثمان بقين من
جمادى الآخرة سنة ١٢ للهجرة توفي ابو بكر الصديق وولي الخلافة عمر بن
الخطاب فهذا عزل خالدنا واقام ابا عبيدة على قيادة الجيش العامة في سورية
واعنبر صلح ابي عبيدة لاهالي دمشق صحيحاً كما يظهر من الكتاب الآتي وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى
ابي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فاني اُحمد الله الذي لا اله الا هو واصلي
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وبعد فاني ولينك امور المسلمين فلا تستحي فان
الله لا يستحي من الحق واني اوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه والذي
استخرجك من الكفر الى الايمان ومن الضلال الى الهدى وقد استعملتك على جند
ما هنالك مع خالد فاقبض جندك واعزله عن امارته ولا تنفذ المسلمين الى هلكة
لاجل غنية ولا تنفذ سرية الى جمع كثير ولا تقل اني ارجو لكم النصر فان النصر
انما يكون مع اليقين والثقة بالله واياك بالتغريب بالفناء المسلمين الى الهلكة وغض
عن الدنيا عينك والو عنها قلبك واياك وان تهلك كما هلك من كان قبلك
فقد رايت مصارعهم وخبرت سرائرهم وانما بينك وبين الآخرة ستر الخمار
وقد تقدمك سلفك وانت كذاك منتظر سفرأ ورجيلاً من دار مضت نضارتها
وذهبت زهرتها فاحزم الناس فيها الراحل عنها لغيرها ويكون زاده التقوى
وراع المسلمين ما استطعت واما الحنطة والشعير الذي وجدت بدمشق وكثرت
في ذلك مشاجرتكم فهو للمسلمين واما الذهب والفضة ففيها الخمس والسهام
واما اخنصامك انت وخالد في الصلح او القتال فانت الولي وصاحب الامر
وان صلحك جرى على الحقيقة انها للروم وسلم اليهم ذلك . والسلام ورحمة الله
وبركاته عليك وعلى جميع المسلمين . واما هدية ابنة الملك هرقل فهديتها الى ابيها
بعد اسرها تفريط وقد كان يؤخذ في فديتها مالا كثيراً يرجع به على الضعفاء من
المسلمين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . اهـ . وعند وصول هذا الكتاب عمل
ابي عبيدة بحسبه وشك القوم كما مر امير المؤمنين وطاعوا قائدهم حق الطاعة

وسادوا دمشق وضربوا عليها الجزية
وعندما حُصِرَت دمشق كان بها كثير من اليهود قاتلوا مع الرومانيين
وكانوا يرمون العرب بالنبال والحجارة من اعالي الاسوار ولما فُتِحَت دمشق دانوا
للجزية كاهل مدينتهم وقد كان في دمشق اربعة كنائس مشهورة فا كان منها من
الجهة التي دخلها ابو عبيدة بقي للنصارى يقيمون فيه فرائضهم حسب الشروط
وما كان في الجهة التي دخلها خالد بالسيف اخذه المسلمون . ٥١ . (ملخصاً عن
الواقدي وغيره)

ولما فتح المسلمون مدن الشام اشترط الاهالي على انفسهم شروطاً وقد موها
لامير المؤمنين عمر بن الخطاب مع عبد الرحمن بن غنم وهي المذكورة في الكتاب
الآتية صورته وتعرف بشروط عمر وبالعهد العمرية :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعمر بن الخطاب امير المؤمنين من نصارى
مدينة كذا وكذا انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرائنا واموالنا
واهل ديارنا وشرطنا لكم على انفسنا ان لا نتحدث في مدينتنا ولا فيما حولها دبراً ولا
كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نجي منها ما كان في خطط المسلمين ولا نمنع
كنائسنا ان ينزلها احد من المسلمين في ليل ولا نهار وان نوسع ابوابها للمارة وابن
السيبل وان ننزل من مر من المسلمين ثلاث ليالٍ نطعمهم ولا نوارى في كنائسنا
ولا في منازلنا جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم اولادنا القرآن ولا نظهر
شركاً ولا ندعو اليه احداً ولا نمنع احداً من ذوي قرابتنا الدخول في الاسلام ان
اراده وان نوقر المسلمين ونقوم لهم في مجالسنا اذا ارادوا الجلوس ولا ننشبه بهم في
شيء من لباسهم في فلسوة ولا عمامة ولا نعالين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا
نتكلم بكلامهم ولا نركب السروج ولا نقتلد السيوف ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا
نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمر وان نجز مقامهم رؤوسنا وان
نازم زيننا حبشاً كنا وان نشد زنا نذر على اوساطنا ولا نظهر الصايب على كنائسنا
ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا في اسواقهم ولا نضرب

نواقيسنا في كنائسنا الاضر باخفيفاً ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ولا نطلع عليهم في منازلهم . قال فلما اتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالكتاب زاد فيه (ولا نضر باحد من المسلمين شرطنا لكم ذلك على انفسنا واهل ملتنا وقبلنا عليه الا مان فان نحن خالفنا شيئاً ما شرطناه لكم وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم منا ما حل من اهل المعاندة والشقاق) (وقد روى ذلك الامام البيهقي وغيره اهـ .) (منقولاً عن انس الجليل والمستظرف) وقيل ان عمر امر اهل الذمة بغير ذلك (اهل الذمة النصاري وغيرهم ممن دفعوا الجزية) وهو ان يجزوا نواصيرهم وان يركبوا على الاكف عرضاً ولا يركبوا كما يركب المسلمون وان يشدوا الزناير والله اعلم . وكيف كان الحال فليست هذه الشروط شريعة لان شروط الفاتحين تتغير بتغير الزمان

وفي سنة ١٥ للهجرة قسم عمر الشام الى قسمين فاعطى ابا عبيدة من حوران الى حلب وما يليها واعطى الساحل لمعاوية بن ابي سفيان وامره بالخضوع لابي عبيدة . ودامت الحرب في بلاد سورية الى ان خضعت لسلطة المسلمين وفي سنة ١٨ هجرية فشا في الشام طاعون شديد فأت به ابو عبيدة وخلفه معاذ بن جبل الانصاري فأت ايضاً بالطاعون فخلفه عمرو بن العاص وفي هذه السنة أت الامام عمر بلاد الشام وقسم موارث الذين ماتوا ورجع الى المدينة ثم سار عمرو بن العاص الى مصر ليفتحها وفي سنة ٢٠ هـ توفي في دمشق بلال بن رباح مؤذن النبي (صلعم) فدُفن في باب الصغير ولما توجه عمرو بن العاص لفتح مصر تولى بعده على دمشق معاوية بن ابي سفيان عامل الساحل وكان يجبي الاموال من البلاد وفي سنة ٢٢ هـ توفي عمر امير المؤمنين قتيلاً رحمه الله في اليوم الاخير من هذه السنة ودُفن في اليوم الاول من سنة ٢٤ هـ بازاء النبي (صلعم) في المدينة المنورة وفي اليوم الثالث من موته خلفه عثمان فاقر معاوية على الشام وكان معاوية يقيم في دمشق ويدبر مهامها وجعلها عاصمة ولايتيه فازداد عدد سكانها وعظم شأنها وكان العرب يتواردون اليها من جميع الانحاء وكان ما يرغبهم في سوريا وخصوصاً

دمشق كثرة اثمارها ومياهها وجودة تربتها وهوائها واتساع اراضيها ونضارتها ومع كل رغبة العرب فيها كانوا يقولون لمن خرج الى الشام نفص عن قنله نعيمة وفي سنة ٢٧ هـ سار معاوية جنوده بامر الخليفة عثمان (ضه) الى قبرس فقتل وسبي من اهلها ثم صالحهم على ان يدفعوا كل سنة سبعة آلاف دينار جزية ورجع الى الشام وفي سنة ٢٣ هـ تكلم جماعة في الكوفة ضد عثمان فامر عثمان بابعادهم الى الشام فاتوا دمشق وما لبثوا ان تطاولوا على معاوية وكادوا يثيرون فتنة فامر عثمان بارجاعهم من حيث اتوا فارجعوا وفي ١٨ ذي الحجة سنة ٢٥ قتل عثمان (رح) في مكة وخلفه علي (ضه) فثارت الفتن في الممالك الاسلامية ووقع الخلاف بين الناس وابي ان يكون معاوية على الشام لتمكنه منها فوجه اليها بسهل بن خيف الانصاري ولما وصل تبوك لقيته نخيل فقالوا من انت قال امير على الشام قالوا ان كان بعثك غير عثمان فارجع على عقبك قال وما سمعتم بما جرى اجابوا بلى ولا نقبل علينا الا معاوية فرجع سهل الى علي وبقي معاوية على الشام وعاصمته ولايته دمشق

وانقسم الملك بعد قتل عثمان الى قسمين فكان قوم بطالبون بدمه وقوم ينتصرون لعلي وكان معاوية عامل دمشق رأس المتحزبين لعثمان وكان عمرو بن العاص في ايام عثمان عاملاً على مصر وعزل عنها فاني وسكن الشام ولما بلغه وفاة عثمان كتب الى معاوية يحضه على ان يثار بدم عثمان فبعث اليه معاوية ان يبابعه فابي الا اذا اعطاه مصر طعمة فاجابه كما تروم فقال عمرو : معاوي لا اعطيك ديني ولم ائل به منك ديناً فانظرن كيف تصنع فان تعطني مصرًا فاربح صفقة اخذت بها شيئاً يضر وينفع وبلغ علياً ذلك فخرج من الكوفة بجنوده وعددها تسعون الف مقاتل فسار معاوية من دمشق للقائهم بخمسة وثمانين الفا وكان ذلك سنة ٢٦ هـ فالتقى الجيشان بصفين وانقدت بينهما نار الوغى واقاموا بصفين مئة وعشرة ايام جرى بها تسعون واقعة قتل بها من المجانيين سبعون الفا وكانت الحرب سجالاً ثم كفوا

عن الحرب واتفق معاوية وعلي على التناضي الى الكتاب العزيز وعينايوماً لذلك
وحكما من كل فريق فاجتمع الحكمان واتفقا على خلع علي ومعاوية وان يولي الناس
خلافهما من شاءوا وذهبا ليصرحا بحكمها امام الجمهور فصرح اولاً ابو موسى
نائب علي وقال ايها الناس انا لم نر اصالح لامر هذه الامة من امر قد اجتمع عليه
راي وراي عمرو وهو ان نخلع علياً ومعاوية واولا عليكم من رايتموه لهذا الامر
اهلاً . وتشي . واقبل عمرو نائب معاوية وقال ان هذا قد قال ما سمعتم وخلع
صاحبه وانا اخلع صاحبه واثبت صاحبي فانه ولي عثمان والطالب بدمه واحق
الناس بمقامه فقال له ابو موسى لا وفكك الله غدرت وفجرت وركب ابو موسى
ولحق بمكة حياء من الناس وانصرف عمرو واهل الشام الى معاوية وسلموا
عليه بالخلافة ومن ذلك الوقت اخذ امر علي بالضعف وامر معاوية بالقوة
وجرى هذا سنة ٢٧ هجرية

نبذة من تاريخ الدولة الاموية

لحسن اقليم سوريا وكثرة خصبه وغزارة مياهه وحسن هوائه وجودة تربته
لم يقض عليه بالخراب بعد ان جرى فيه من الدم انهيار بل ظل عامراً سكاناً
واناه العرب افواجاً افواجاً فازداد عدد سكانه ورجع كما كان في ايام تولى
الرومان عليه كأن لم يحدث به من التغير الا نقل حكمته لايدي قوم اعدل
من اسلافهم وانتشار الاسلام في انحاء

ولفضل دمشق عما سواها من مدن سوريا وحسن موقعها الطبيعي والتجاري
فازت باعظم نصيب من رفعة الشأن فعوضاً من ان تكون تابعة لغيرها اصبحت
عاصمة مملكة عظيمة وهي مملكة المسلمين الاولى وقد اعنت بها الامويون فجعلوها من
افخر المدن واعلاها قدراً فرجعت الى عصر الضبا بعد ان شابت ذوائبها
بتقلبات الزمان

اما واضع اسس الدولة الاموية في دمشق فهو معاوية بن ابي سفيان المذكور

آنفا وما لبث ان سلم عليه اهل الشام بالخلافة حتى وضع نصب عينه اخضاع جميع الممالك الاسلامية فجهز عمرو بن العاص سنة ٥٢٨ هـ وارسله الى مصر فخل عليها وفتحها وكان علي على العراق فجعل معاوية يرسل اليه المغازي وينهب ويخرب ويسبي حتى اقلق الاهالي وسلب راحتهم . وفي سنة ٤٠ سير بشر بن ارطاة في عسكر الى الحجاز فاتي بشر المدينة المنورة ودخلها واستكره الناس على البيعة لمعاوية بعد ان سفك فيها الدماء ثم سار الى اليمن وغزاها وذبح الوفا من اهلها . وفي اثناء ذلك اتفق ثلاثة من العرب على قتل معاوية والامام علي وعمرو بن العاص لتستريح الامة وانفقوا ان يجملوا في ليلة واحدة على من اضرروا لهم السوء وهي ليلة ١٧ من رمضان سنة ٤٠ هـ فن ذهب الى علي تمكن منه وقتله والذي قصد معاوية الى دمشق وضربه فجرحه فالتقى القبض عليه واتي به الى امام معاوية فسأله معاوية ما فعلت فقال جئتكم مبشرا بقتل علي فقال معاوية وتحاول قتلي وامر به فقتلوه واما الذي ذهب لقتل عمرو بن العاص فوصل الى مصر وقتل غير عمرو غلاطا

وبعد مقتل الامام علي (رح) بايع قومه ابنه الحسن فعلم بذلك معاوية وجهز جيشا لمحاربة فزار الحسن للنائم باربعين الف مقاتل على انه وقع في جيشه خلف وسرت فيه فتنة فانصل خبرها به فقال لا سبيل لنا على معاوية وأنا لعالمون عجزنا في محاربتك ثم ارسل لمعاوية كتابا بالتسليم تحت شروط فقبل معاوية الشروط الا قليلا منها . ثم سار الى الكوفة فبايعه اهلها في ربيع الاول سنة ٤١ هـ وفي سنة ٤٨ هـ وجه عساكره لمحاربة القسطنطينية فرجعوا خائبين وقد اهلكت الحاربي الرومانية عددا وافرا منهم وفي سنة ٥٦ دعا الناس لمبايعة ابنه يزيد بولاية العهد فبايعه اهل الشام والعراق على ان اهل الحجاز ابوا ذلك فزار اليهم بالجيش واجبرهم على المبايعة وكر راجعا وفي رجب سنة ٦٠ توفي ودفن في باب الصغير وقبره معروف وخلفه ابنه يزيد .
وقد اسلم معاوية مع ابيه سنة الفتح واستكتبه النبي واستعمله عمر على الشام

اربع سنين من خلافتيه واقهره عثمان اثنتي عشرة سنة مدة خلافتيه واستولى بعدها على الشام مدة اربع سنين فكانت مدة امارته فيها ٢٠ سنة وفي سنة ٤١ بايعه الناس بالخلافة التامة فصار امير الممالك الاسلامية كلها وبقي خليفة الى حين موته وكان حليماً حازماً عالماً بسياسة الملك . وقد فتح حروبا ومغازي كثيرة يطول شرحها في سنة ٦٠ هـ لما استولى يزيد على عرش دمشق عزم اهل الكوفة على خلع طاعنيه وارسلوا دعويا بالحسين ليبايعوه بالخلافة فانفذ الحسين اليهم بن يبايعوه نيابة عنه فاغضب الامر يزيد واشعل غيظه فارسل وقاتل الحسين وقومه في نواحي بغداد فتغلب جيشه وقتل الحسين وأتى بالنساء والاطفال سبايا الى دمشق فارجمهم يزيد الى المدينة المنورة وفي سنة ٦٢ هـ اتفق اهل المدينة على خلع فوجه لهم من دمشق قوماً فتغلب عليهم واعادهم الى طاعنيه وفي ١٤ ربيع الاول سنة ٦٤ كان يزيد بجوارين من اعمال حمص قد هتمت المنية بها فنقل الى دمشق ودفن فيها وكانت مدة خلافتيه اربع سنين وتسعة اشهر

وبويع بعد يزيد ابنه معاوية الثاني وكان ضعيف العزم والراي لا يقدر على ادارة المملكة فتغنى عن الخلافة ومات بعد جلوسه بثلاثة اشهر ولما مات معاوية قوي عبد الله بن الزبير في مكة فبايعه اهلهما واهل مصر واكثر الامصار وبعض اهل الشام وكاد يتم له امر الخلافة فاقام على الشام الضحاك نائبا عنه وكان مروان بن الحكم وهو الرابع من خلفاء بني امية بالشام قال اليو اليمانية ومال القيسية الى الضحاك وجرت مشاحنات كثيرة بين الحزبين والتقييا في مرج راهط بغوطة دمشق واقتتلا فانكسر قوم الضحاك فدخل مروان دمشق ونزل بدار معاوية فاتاه الناس ومال اليو عمال الشام واستقر على عرش دمشق وفي الثالث من رمضان سنة ٦٥ خنفته زوجته بنت يزيد بن معاوية ودفن في دمشق وكانت مدة خلافتيه تسعة اشهر وثمانية عشر يوما

وفي يوم وفاة مروان بويع ابنه عبد الملك وكان عالي الهمة استرجع العراق والحجاز واليمن وضرب النقود وهو اول من ضرب السكة في الاسلام توفي في

دمشق في منتصف شوال سنة ٨٦ وله من العمر ستون سنة وكانت مدة خلافته منذ قتل ابن الزبير واجتمع له الناس ١٢ سنة واربعة اشهر وكان حازماً عاقلاً فقيهاً عالماً

ويوم توفي عبد الملك بويغ ابنة الوليد بالخلافة وكان مغرمًا بالبناء فامر ببناء جامع دمشق (هو الجامع الاموي المعروف) واتاه بالصناع من بلاد الروم وبلاد الاسلام فاني جامعاً لا مثيل له كلفت نفقته على ما قيل الف الف ريال قال ابو الفداء وكان بجانب الجامع كنيسة سلمت للنصارى بسبب انها في نصف البلد الذي اخذ بالصلاح يوم الفتح وكانت تُعرف بكنيسة ماريوحنا فهدمها الوليد وادخلها في الجامع . انتهى . وقال المسعودي في مروج الذهب وفي سنة ٨٩ هجرية ابتداء الوليد ببناء المسجد الجامع بدمشق ومسجد الرسول (صلم) في المدينة فانفق عليها الاموال الجزيلة وكان المتولي للنفقة على ذلك عمر بن عبد العزيز قال . وحكى عثمان بن مرة الخولاني قال لما ابتداء الوليد ببناء المسجد بدمشق وجد في حائط المسجد لوحاً من حجارة فيه كتابة باليونانية فعرض على جماعة من اهل الكتاب فلم يقدروا على قراءته فوجهه الى وهب بن منبه فقال هذا مكتوب من ايام سليمان فقرأ فاذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم لو عابست ما بقي من يسبراجك لزهدت في ما بقي من طول املك وقصرت عن رغبتك وحيلك وايماناً تلقى قدمك اذا زلت بك القدم واسلمك اهلك وانصرف عنك الحبيب وودعك القريب ثم صرت تدعي فلا تجاب فلا انت الى اهلك عائد ولا في شغلك زائد فاغنم الحياة قبل الموت والقوت قبل الفوت قبل ان يؤخذ منك بالكظم ويحال بينك وبين العمل . وكتب في ايام سليمان بن داود . اه) قال ولما تم بناء المسجد امر الوليد بان يكتب بالذهب على الازورد على حائط المسجد ربنا الله لا نعبد الا الله امر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التي بجانبه عبد الله الوليد امير المؤمنين في سنة سبع وثمانين (كذا ذكره المسعودي في مروج الذهب)

وفي جمادى الآخرة سنة ٩٦ هـ توفي الوليد بدمشق ودُفِنَ في مقبرة باب الصغير وكانت مدة خلافته تسع سنين وسبعة اشهر وقد بنى ابنة كثيرة في دمشق وغيرها

ويوم توفي الوليد كان اخوه سليمان بالرملة فبلغه خبر اخيه فقصد دمشق وبلغها بسبعة ايام فبوع الخلافة واحسن السيرة بالرعية واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيراً وسنة ٩٨ خرج سليمان بمجنوده لغزو بلاد الروم فدخل بلادهم ووجه اخاه مسلمة لحرب القسطنطينية فحل عليها وحصرها مدة على غير طائل فرجع عنها وفي صفر سنة ٩٩ توفي سليمان بلباق من نواحي قنسرين ومدة خلافته سنتان وثمانية اشهر وقبل موته اوصى بالخلافة لعمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف

وفي صفر سنة ٩٩ بوع عمر بالخلافة وتوفي سنة ١٠١ هـ بدير سمعان نواحي معرة النعمان فبوع بعده يزيد الثاني بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وكانت مبايعته في شهر رجب بعهد من سليمان حيث اوصى ان يزيد يكون خليفة لعمر وبعد ان استقر يزيد على عرش الخلافة في دمشق اربع سنين وشهراً مات اثر موت حبابة محبوبته. قيل ان يزيد خرج بحبابة للتنزه في بيت راس من قرى وادي بردى وكانت تغني له وهو مطروب من غنائها فاتوه برمان من بيت راس مشهور بكبر حبه فشرقت حبابة حبة منه فانت قبل انتصاف النهار فراح حزينا عليها ولحقها بعد سبعة عشر يوماً كدًا وحسرة. ودُفِنَ بدمشق

ثم بوع هشام وكان في نواحي الرصافة فاتاه البريد بن جابر مبايعته فأتى دمشق ثم رجع الى الرصافة وفي ٦ ربيع الأول سنة ١٢٥ توفي ودُفِنَ بالرصافة وكانت مدة خلافته ١٩ سنة وتسعة اشهر وفي ايامه عصت الكوفة بواسطة زيد بن الحسين فتغلب هشام عليها وكان من المشهورين بالسياسة بين بني امية وكان حازماً سديد الراي غزير العقل مات عن عدة بنين منهم عبد الرحمن مؤسس الدولة الاندلسية في اسبانيا

ثم تولى الخلافة الوليد الثاني بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وكان مولعاً بشرب الخمر كريماً سخياً وفي السنة الثانية من خلافته صار وباعاً في دمشق وهو خارجها فخرج عامله بها الى قطنا فعمل يزيد الثالث بن الوليد بن عبد الملك موازنة سرية لخلعه فاجتمع له قوم فوثق بهم وقصد دمشق متخفياً فدخلها ليلاً فبايعه أكثر أهلها واجتمع اليه الجند وغيرهم ثم جهز جيشاً لمحاربة الوليد بن يزيد تحت قيادة عامل الوليد نفسه فعلم الوليد وهو بالاعزف من عسان فأتى بمنزله الى الهجرة الى قصر النعمان بن بشير وهناك اقتتل جيش الوليد وجيش يزيد فانكسر جيش الوليد وقتل الوليد نفسه فقطع رأسه ورفع على راس سنان وأتى به الى يزيد فامر ان يُطاف به في دمشق وكان قتل الوليد في ٢٨ جمادى الآخرة ومدة خلافته سنة واحدة وثلاثة اشهر

فاستقل يزيد بالخلافة وكان يلقب بالناقص بوقع في دمشق في ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٢٦ هـ فظهر اهل حمص العصيان ونهبوا والي مدنتهم وساروا قاصدين دمشق فارسل يزيد جيشاً لردعهم فالتقى العسكران قرب ثنية العقاب فانكسر جيش حمص فرجعت المدينة خاضعة ليزيد ثم عصى اهل فلسطين فخارهم واخضعهم واخذ البيعة منهم في طبرية ثم عصاه اهل خراسان وفي النهاية اظهر له الخلف مروان بن محمد وعمل على خلعه وفي ٢٠ ذي الحجة سنة ١٢٦ توفي في دمشق فقام بالامر بعده اخوه ابراهيم اربعة اشهر بدون ان يقرر قرار الخلافة عليه

وسنة ١٢٧ هـ سار مروان بن محمد بن مروان بن الحكم امير ديار الجزيرة الى الشام لخلع ابراهيم بن الوليد ولما وصل الى قنسرين اتفق مع اهلها فساروا معه ووصل الى حمص فاتفق مع اهلها فساروا معه بعد ان بايعوه ولما اقترب من دمشق بعث ابراهيم لمقاتلته بمئة وعشرين الف مقاتل تحت قيادة سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مع مروان ٨٠ الف مقاتل فاقتتل الجيشان من الضحى الى العصر فانكسر جيش سليمان ونهقر ودخل دمشق ولما عرف ابراهيم

بانكسار جنوده هرب واخفى فذهب سليمان بن هشام قائد الجيوش بيت المال وقسمه على اصحابه وهرب من المدينة فأتى مروان اليها ودخلها واستقر بها ومروان هذا هو ابن محمد بن مروان بن الحكم بويع بالخلافة يوم الاثنين رابع عشر شهر صفر سنة ١٢٧ وهو الرابع عشر من خلفاء بني امية وآخرهم فلما استقر له الحال في دمشق رجع الى منزله بجران وفي ايامه تضعفت احوال المملكة وفسدت ادارتها واخطل نظامها فآل الامر الى سقوطها التام . ففي سنة ولاية مروان عصاه اهل حمص فسار اليهم وكسره وخرب جانباً من سور مدینتهم ثم عصاه اهل غوطة دمشق وولوا عليهم يزيد بن خالد القسري وحاصروا دمشق وضيقوا عليها فارسل لردعهم عشرة آلاف مقاتل تحت قيادة ابن الوردی فلما وصل الى دمشق رفع عنها الحصار وشتت شمل اهل الغوطة ونهبهم واحرق المنق وغيرها من القرى . ثم عصاه اهل فلسطين فحل عليهم ابن الوردی وشتت شملهم . ثم سار مروان الى فرقيسيا فخلعة سليمان بن هشام بن عبد الملك واجتمع لسليمان من اهل الشام ٧٠ ألف مقاتل فعسكر بهم بقنسرین فسار اليه مروان واقتتلا فانكسر سليمان واتى حمص فال اليه اهلها وعصوا مروان فاتاهم مروان وضيق عليهم فاستقاموا اليه فامنهم

وكان بنو العباس في بلاد خراسان يثيرون الفتنة ضد الامويين فال اليهم الناس هناك فتمكنوا في تلك الاطراف وتغلبوا على عمال مروان ثم امتدوا الى الكوفة فتمكنوا منها فقويت شوكتهم ومال اليهم الناس وفضلوهم عن سواهم . وفي سنة ١٢٣ بايع اهل تلك البلاد ابا العباس السفاح بالخلافة وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس

ولما قوي امر العباسيين جهز مروان جيشاً عدده مئة وعشرون ألف مقاتل وسار الى الزاب فائتته عساكر السفاح وعددها عشرون ألف مقاتل فقطع مروان الزاب بجنده واجتمع بعسكر السفاح واقتتلا فوقع خلل وخلف في عسكر مروان فالتزم ان ينهزم فقتل وغرق كثير من عسكره . وخسر مهمات

وافرة نقوى بها جيش السفاج وكان ذلك في جادى الآخرة سنة ١٢٢ ثم سار مروان الى الموصل مكسوراً فانكروا اهلها فرحل الى حران فتبعه عبد الله بن علي قائد عساكر السفاج فانهمز مروان من حران الى حمص ثم الى دمشق واذ لم يقدر ان يستقر بها رحل الى فلسطين فأتى عبد الله الى دمشق وحاصرها اشد حصار وضيق عليها وحاربها باتصال وفي ٥ رمضان سنة ١٢٢ تمكن منها وفتحها عنوة وقتل كثيراً من اهلها من جلنهم الوليد والى المدينة ثم طارد قوم السفاج مروان وكان يهرب منهم الى ان ادركوه في بصير ببلاد الصعيد فقطعوا راسه في ٢ ذي الحجة سنة ١٢٢ وارسلوه الى السفاج . ولما سقطت دمشق بيد السفاج تمكن من بني امية وقتل منهم خلقاً كثيراً ولم يفتة الا قلائل منهم عبد الرحمن بن مروان مؤسس الدولة الاندلسية . ثم اظهر اهلها الى دمشق العصيان على السفاج فانهم قائد جنده واعادهم الى الطاعة وقد لحق بدمشق خراب عظيم بهذه الحادثة وتهدم جانب من مبانيها النفيسة التي اقامها الامويون واخذ امرها في الانحطاط وقد تقدمت دمشق في زمن الامويين غاية التقدم وقيم بها من الابنية الجميلة ما يستحق الاعتبار وحصل النصارى على الراحة في ايام بعض خلفائها ودخل بعضهم خدمتها ورفقوا اعظم المراتب وارفعها ومن الذين تقدموا القديس يوحنا الدمشقي ووالده . وكانت الصنائع ناجحة والتجارة رائجة لموافقة مركز دمشق فانما ورثت تدمر واضحت مقصداً للناس من جميع انحاء الممالك الاسلامية المتدة وكانت مدة الدولة الاموية بدمشق منذ يوم ببيع معاوية بالخلافة الى ان سقطت ٩١ سنة وعدد من تولوها منهم ١٤ خليفة اولهم معاوية وآخرهم مروان الثاني

فصل

في تاريخ دمشق من حين استولى عليها العباسيون الى ان خضعت للسلطان

صلاح الدين الابوي

لما فتح السفاج دمشق جعلها مركز معاملة بعد ان كانت عاصمة مملكة

عظيمة ممتدة في اسيا وافريقيا امتدادا شاسعا واول وال وضعه عليها العباسيون هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح فظل هذا عاملا على دمشق الى ان مات السفاح وخلفه المنصور فادعى عبد الله الخلافة على الشام فارسل اليه المنصور جيشا وتغلب عليه واعقله ووضع على الشام غيره

وسنة ١٧٦ هـ ثارت فتنة عظيمة في دمشق بين المضرية والبنية دامت اربع سنين وسنة ١٨٠ بعث الرشيد بجعفر بن يحيى الى دمشق من اجل هذه الفتنة فاناهما وسكن الثائرين ورجع . وبعد ذلك ضمت الشام الى ولاية مصر . وسنة ٢١٥ وسنة ٢١٦ هـ حمل الخليفة المأمون على الروم دفعتين فمرد دمشق واقام بها اياما

وسنة ٢٢٧ هـ وهي سنة وفاة المعتصم وخلافة ابنه الواثق ثارت القيسية بدمشق وعثوا وافسدوا . فاناهم رجا بن ايوب بامر الخليفة الواثق وتغلب عليهم وقتل منهم ألفا وخمس مئة وسكن الفتنة ورجع . وفي ذي القعدة سنة ٢٤٢ هـ سار الخليفة المتوكل من بغداد نحو دمشق وفي صفر سنة ٢٤٤ وصل اليها ودخلها وعزم على الإقامة فيها ونقل دواوين الملك اليها فقال يزيد بن محمد المهدي اظن الشام يشمت بالعراق اذا عزم الامار على انطلاق فان تدع العراق وساكبو فقد تبكي المنيعة بالاطلاق وبعد ان لبث الخليفة المتوكل مدة بدمشق استوبأها واستنقل ماءها فرحل عنها وكان مقامه بها شهرين واياما

وسنة ٢٥٢ هـ في ايام الخليفة المعتز ولي عيسى بن الشيخ على الرملة ولما راي فتنة الاثراك بالعراق سولت له نفسه الاستقلال في سوريا فتغلب على دمشق واعمالها وقطع ما كان يحمل من الشام الى الخليفة وبقي على الشام الى خلافة المعتمد على الله فعزل سنة ٢٥٦ هـ وولي عوضا عنه اماجور فهذا استولى على الشام بعد ان جرى بينه وبين اصحاب عيسى اشد قتال وسنة ٢٦٤ هـ توفي وكان احمد بن طولون قد تقوى في مصر وخلع طاعة العباسيين فطع في الاستيلاء على

بلاد الشام فسار بجيوشه واتي دمشق واستولى عليها ثم استولى على حمص وحماه وحلب وفتح انطاكية عنوة وسار الى طرطوس فاشتد بها الغلاء فرجع الى الشام فصارت دمشق وسورية ملكاً للطولونيين الذين استبدوا في مصر

وسنة ٢٧٠ هـ تولى خمارويه عوضاً عن ابيه احمد بن طولون فاتتضت عليه دمشق فبعث اليها بعساكره فعادت الى طاعته ثم انت عساكر بغداد اطرد خمارويه وكانت تحت قيادة المعتضد فدخل جند المعتضد دمشق في شعبان سنة ٢٧١ هـ وتبع المعتضد خمارويه الى الرملة وكسره ثم ان خمارويه لم يسمع جنوده وكرّ على المعتضد فكسره فنهزم المعتضد ورجع الى دمشق فلم يقبله اهلها فرحل عنها فرجعت الى خمارويه الطولوني . سنة ٢٨١ هـ سار طنجح والي دمشق من قبل الطولونيين بمجيش لمحاربة الروم ففتح في بلادهم وسي وعاد الى دمشق وكانت مقر الخارويه وسنة ٢٨٢ هـ قتل خمارويه بن احمد بن طولون في دمشق قتله خدمه وبايعوا ابنه جيشاً وكان صبيّاً وسنة ٢٨٣ هـ خلع طنجح سيده جيشاً لصباه بعد مبايعته بتسعة اشهر وبايع مكانه اخاه هرون بن خمارويه وبقي طنجح حاكماً في دمشق وسنة ٢٨٤ هـ اخذل حال هرون في مصر وانحل نظام مملكتهم فاستبد طنجح بدمشق

وسنة ٢٨٩ هـ حل الفرامطة على الشام فكانت حروب بينهم وبين طنجح قال ابن خلدون . وانكسر طنجح في كل حروبه مع الفرامطة وسنة ٢٩٠ هـ تقوى الفرامطة على دمشق فصالحهم اهلها على مال دفعوه لهم فانصرفوا عنهم وسنة ٢٩٢ ارسل الخليفة المكنفي جيشاً مع محمد بن سليمان الى دمشق فاستولى عليها ثم سارت عساكر المكنفي الى هرون في مصر فقتل هرون . وظهر في تلك السنة الخيلجي في مصر وقويت شوكته فذهب اليه احمد بن كيغلق عامل دمشق فطعنت الفرامطة بدمشق لغياب عاملها فقصدوها ودخلوها ونهبوا وقتلوا بها خلقاً كثيراً ثم ساروا الى طبرية ونهبوها وساروا عنها قاصدين جهات الكوفة . وسنة ٣١٨ تولى الاخشيدي دمشق بامر الخليفة الراضي وكان احمد بن كيغلق على مصر فعزل

فصارت مصر والشام للاخشيد وصار الاخشيدي يقيم في مصر ويقيم على دمشق نائباً من قبله . وسنة ٢٢٧ استولى ابن رائق على الشام وكان معانداً للخليفة في بغداد فاخضع دمشق وحمص وطرط بدراً نائب الاخشيدي وسار حتى بلغ العريش فخرج اليه الاخشيدي وجرى بينهما قتال شديد فانكسر ابن رائق الى دمشق ثم جهز الاخشيدي جيشاً وارسله لمحاربة ابن رائق فلاقاه ابن رائق واقتتلا فانهزم عسكر الاخشيدي وقتل اخوه فارسل ابن رائق يعزي الاخشيدي باخيه ويقول له ان اخاك لم يقتل بامرري وهوذا ابني مزاحم مرسله لك فاقتله باخيك ان شئت فرق الاخشيدي وخلع على مزاحم واعاده لابيهِ فانهى الخلف واستقرت الشام لمحمد بن رائق ومصر للاخشيد . وسنة ٢٢٩ سار ابن رائق الى بغداد واستخلف عنه بدمشق ابا الحسن بن مقاتل . وفي ٢٢ رجب سنة ٢٣٠ قتل ابن رائق فبلغ الاخشيدي قتله فسار الى دمشق واستولى عليها ووضع فيها نائباً ورجع الى مصر . وسنة ٢٣٢ استولى سيف الدولة على حلب وحمص وسار الى دمشق والتى عليها الحصار فلم يتمكن منها فرجع عنها وكان الاخشيدي قد خرج لمحاربة سيف الدولة لما سمع بقدمه على دمشق فالتقى بقتلهم واقتتلا فلم يظفر احدهما بالآخر فذهب الاخشيدي الى دمشق ورجع سيف الدولة الى حلب . وسنة ٢٣٤ مات الاخشيدي في دمشق فولى بعده ابنة ابو القاسم محمود . واذ كان ابو القاسم صغيراً قام بالامر كافور الاسود خادماً للاخشيد وسار كافور بعد موت سيده الى مصر فعرف سيف الدولة بذلك فسار الى دمشق وملكها واقام بها . وخرج يوماً للتنزه في غوطتها ومعه الشريف العقيقي فقال له سيف الدولة ما تصلح هذه الغوطة الا لرجل واحد فاجابه العقيقي هي لا قوام كثيري العدد فقال سيف الدولة لو اخذتها القوايين السلطانية لتبراوا منها فاعلم العقيقي اهل دمشق بذلك فكروهوا سيف الدولة وكانوا كافوراً يستمدعونه فجاءهم فاخرجوا سيف الدولة من ديارهم فرحل الى حلب واما كافور فرجع الى مصر واقام على دمشق بدراً الاخشيدي فاقام فيها بدرسنة وخلفه ابو المظفر بن طغج . وسنة ٢٣٩ توفي

محمد الغازالي العلامة المشهور بدمشق بعد ان لبث بها مدة
وبقيت سورية تابعة للعائلة الاخشيدية في مصر الى ان استقرت لكافور
عبد الاخشيد اما حلب وجهاتها فلم ترجع للحكومة مصر بعد ان اخذها سيف
الدولة وفي ٢٠ جادى الاولى سنة ٢٥٧ مات كافور في مصر وكان يخطب
له على المنابر في مكة والمحجاز والديار المصرية والشامية خلا حلب وتوابعها
وعاصر كافورا ابو الطيب المنيني وله فيه مدائح كثيرة وهجوشديد فمن مدائح له
قصيدته التي مطلعها

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن امانيا
وقصيدته التي مطلعها
من الجاذر في زي الاعارب حمر الحلي والمطايا والجلابيب
ومن هجوه له قوله

من اية الطرق ياتي مثلك الكرم ابن المهاجم يا كافور والجمل
جاز الاولى ملكك كفاك قدرهم فعرفوا بك ان الكلب فوقهم
وبعد موت كافور ولي الامر ابو الفوارس احمد بن علي بن الاخشيد . وفي
السنة الثانية من ولايته ارسل المعز العلوي جيشا جرارا الى الديار المصرية تحت
قيادة جوهر غلام الله منصور فاستولى عليها وفي شوال اقيمت الدعوة للمعز وقوي
جوه بمصر ولما راق له حالها سير جيشا كبيرا مع جعفر بن قلاج الى الشام فبلغ الرملة
واستولى عليها بعد حروب ثم رحل الى طبرية فوجد اهله مقيمين الدعوة للمعز
فرحل عنها الى دمشق فقاتله اهله فظفروا به وملك المدينة ونهب بعضها واقام
الخطبة للمعز لدن الله العلوي وقطع الخطبة العباسية وكان ذلك في محرم سنة
٢٥٩ وعند اقامة الخطبة العلوية حدثت فتنة بين اهالي دمشق وجعفر القائد
العلوي ووقعت بينهما حروب عنيفة وقطع الاهالي الخطبة العلوية واخيرا عاد
جعفر واستظهر على الدماشقة واقام الخطبة لسببه واخضع المدينة حق الخضوع
للمعز لدن الله العلوي وسنة ٢٦٠ وصل القرامطة الى دمشق وبلغ خبرهم جعفر

نائب المعز فاستهان بهم فوقعوا عليه بخارج دمشق وقتلوه وملكو المدينة وامنوا
 اهلها ثم ساروا الى الرملة وملكوها كدمشق فانضم اليهم جماعة من الاخشيدية
 وقصدوا مصرًا واقتتلوا مع المغاربة فانتهصر اولاً القرامطة ثم المغاربة فرجع
 القرامطة الى الشام وكبيرهم الحسن بن احمد بن بهرام . وسنة ٢٦٢ هجرية سار
 القرامطة نحو مصر فتغلب عليهم المعز لدن الله فرحلوا عن الشام فارسل المعز
 القائد ظالم بن موهوب العقيلي الى دمشق فدخلها وعظم حالة بها وكثرت
 جموعه وما لبث الا ووقعت الفتن في دمشق بين المغاربة وعامهم المذكور
 ودامت الى سنة ٢٦٤ فراق الحال وولي على دمشق ريان الخادم . وسنة
 ٢٦٥ سار افتكين احد موالي معز الدولة الى حمص ثم الى دمشق وانفق مع اهلها
 فاخرجوا اميرهم ريان وفي شهر شعبان قطعوا خطبة المعز لدن الله واستولى افتكين
 على دمشق فعزم المعز العلوي على قتال افتكين فادركته المنية وتولى ابنه العزيز
 عوضاً عنه فجهز القائد جوهرًا الى الشام فوصل جوهر الى دمشق وحصر افتكين
 بها فارسل افتكين الى القرامطة ليعينوه فساروا الى دمشق ولما اقتربوا منها
 رحل عنها جوهر راجعًا الى مصر فتأثر افتكين والقرامطة وانضم اليهما خلق
 كثير فادركوه نواحي الرملة فرأى ضعفه فدخل عسقلان فحصره بها واشتد
 الجوع بالمدينة فبذل جوهر لافتكين مالا جزيلًا فرحل افتكين عنه وسار جوهر
 الى مصر واعلم العزيز بها كان فخرج العزيز الى الحرب وسار الى الشام فوصل
 الى ظاهر الرملة فأتاه افتكين والقرامطة ودارت بينهم رحى الحرب فانكسر
 افتكين ومن معه ولاهل العزيز فيهم القتل والاسر وجعل لمن يحضر اليه افتكين
 مئة الف دينار وهرب افتكين عقب الحاربة حتى نزل بيت مفرج بن دغفل
 فامسكه مفرج واخبر العزيز وقبض منه المال ومن ثم سلم افتكين لرسول العزيز
 اما العزيز فاكرم افتكين واطلق له اسراه واجزل نعمته واخذه معه الى مصر
 وظل بها في نعمة العزيز حتى مات
 وبعد ان اخذ افتكين الى مصر تغلب على الشام قسام احد اتباع افتكين وصار

يخطب للعزیز فاقه وفي سنة ٢٦٨ اتى ابو تغلب من الموصل وكان حاكماً ديار مصر والموصل وحاول فتح دمشق فقاتله قسام ومنعه عنها فسار ابو تغلب الى الرملة فلقية الفضل قائد العزیز فقتل من معه واسر النساء وقطع راسه وارسله الى العزیز في مصر . ثم عصت دمشق وبلاد الشام على العزیز فارسل العزیز جيشاً مع بكتكين لارجاع الشام لطاعته فاستولى بكتكين اولاً على فلسطين ثم سار الى دمشق فقاتله حاكمها قسام فتغلب بكتكين عليه واخذه اسيراً وارسله الى مصر وملك بكتكين دمشق واستقر بها فزال الفتن

وسنة ٢٧٢ كتب بيجور والي حمص (من قبل ابي المعالي سعد الدين صاحب حلب) الى العزیز في مصر ليولي دمشق فاجابه العزیز الى ذلك وكتب لعماميه بكتكين ان يسلم دمشق لبيجور ويحضر الى مصر فسلها له في رجب ورحل فاستقر بيجور على دمشق واساء السيرة فيها فضجروا اهلها وكرهوه وتشكوا منه فسمع العزیز تشكيهم . وفي سنة ٢٧٨ ارسل قائده منير الخادم بجيش الى دمشق ليعزل عنها بيجور ويقولوا لها ولما قرب منها خرج اليه بيجور وحاربة عند داريا فانكسر بيجور ونهقر وطلب الامان فامنه منير ورحل بيجور عن دمشق فاستولى عليها منير واستقر على امارتها واحسن السيرة في اهلها . وسنة ٢٨٦ توفي العزیز بالله صاحب مصر وفي ايامه كانت راحة تامة للنصارى واليهود وقد استخدمهم وقد مهم في المناصب وولي الامر بعده ابنه المنصور ابو علي الحاكم بامر الله بعهد من والده وكان عمره يوم ولي احدى عشرة سنة وقام بتدبير ملكه خادم ابيه ارجوان وكان خصياً ابيض وعالماً بامور السياسة فضبط الملك وحفظه لسيد حتى كبر فاستلمه وفي ايام الحاكم لم يحدث في دمشق ما يستحق الذكر وكان الحاكم جواداً بالمال سفاكاً للدماء ادعى الالهية وتوغل في الكفر وكان تارة يتظاهر بغيرة شديدة على دين الاسلام وطوراً يقتل المسلمين ويقطع الحج ويظلم الناس وادعى علم الغيب واستخدم العواهر ليدخلن بيوت الناس ويأتينه باخبارهم وسنة ٢٩٥ قام ابو ركوة وادعى انه من بني امية والخلافة له ودعا الناس الى نفسه فاجابوه لكرهم الحاكم فظفر به

الحاكم بواسطة قائده فضل بعد حروب انتصر في اولها ابو ركة وقتلته وحسب ذلك من معجزاته وفي شهر ربيع الآخر سنة ٤٠٢ صرح علماء بغداد وافاضها علناً بكفر الحاكم . وسنة ٤١١ انفتحت اخت الحاكم ست الملك مع قائد من قواد اخيهما كان انهم بها فقتلت اخاها وخلصت الناس من شره فخلفه ابنه الظاهر لاعزاز دين الله وكان ذلك في ٢ شوال سنة ٤١١ وكان حسن السيرة منصفاً بالرعية وظلمت دمشق تابعة له وفي نصف شعبان سنة ٤٢٧ خلفه ابنه ابونعيم معد واقب بالمستنصر بالله وفي ربيعة حكم المستنصر ارسل صاحب حلب شبل الدولة قائد الذيربي على بلاد الشام فلكمها واستقر بدمشق

وسنة ٤٣٣ امر المستنصر العلوي اهل دمشق بالخروج عن طاعة الذيربي فاجابوه وطرده والذيربي فسار الى حماه فعمصاه اهلها فرحل عنهم الى حلب . وفي هذه السنة كثرت مغازي البدو في بلاد الشام وفقدت امنية الطرقات وسدت المسالك . وسنة ٤٥٥ زلزلت بلاد الشام اشد زلزال فخرّب كثير من بلدانها ومات تحت الردم ما لا يحصى من اهلها وفي نهاية الزلزلة ارسل المستنصر امير الجيوش بدرًا واليًا على دمشق فثار به الجند ففارقها . وسنة ٤٦١ ثارت فتنة بين المغاربة والمشاركة فضربت دار بجوار الجامع الاموي بالنار فانصالت النار بالجامع وعجز الناس عن اطفاؤها فاحترق الجامع ودمرت محاسنه وزال ما كان فيه من الاعمال النفيسة

وسنة ٤٦٣ هـ فتح السلطان البارسلان التتاري ديار بكر وحلب ثم سار احدا مرء الب وهو يوسف بن ايتي الخوارزمي وفتح القدس والرملة ثم اتى دمشق وحصرها وضيق عليها بدون ان يتمكن منها فرحل عنها خائباً سنة ٤٦٧ . وسنة ٤٦٨ عاودها وقت الحصاد وضيق عليها فسلمها اهلها له فأكبها في اوائل ذي الحجة وقطع الخطبة العلوية فيها واقام الخطبة العباسية في ٥ ذي القعدة حتى لم يخطب بها للعلويين فيما بعد فصارت دمشق للسلاجقة

وسنة ٤٦٩ خرج اتسر من دمشق لمحاربة مصر فعاد مهزوماً وفي السنة

التالية طمع العلويون في استرجاع دمشق فارسلوا عسكرياً لمحاربته وفتحها
فانجد أهلها نتش صاحب حلب وهزم عسكر المصربين ثم عاد العلويون وارسلوا
جنودهم اليها سنة ٤٧٨ مع بدر الجمالي فحصرها وضيق عليها ونتش صاحب
حلب فيها ينافع عنها وبعد ان طال الحصار على غير طائل ارتد عنها بدر
راجماً الى مصر وكانت حلب عصت نثراً فصار اليها بعسكره وفتحها وكر راجماً
الى دمشق واستقر بها وكان ملك شاه اخو نتش قد عظم امره وتسلط على كل
الممالك الاسلامية وخطب له على منابرها ولما مات خلفه نتش وخطب له على
المنابر واقام والياً على دمشق ساوتكين الخادم ثم قوي بركيارق بن الب ارسلان
على عمه نتش وقتله في نواحي اصفهان فجاء ابنه دقاق الى دمشق واستولى عليها
بعد منازعات يطول شرحها وذلك سنة ٤٨٨ وفي السنة الثانية والتي بعدها
تحركت في اوربا الحركة الصليبية وتجمع الافرنج من كل انحاءها بغريصات
السائح بطرس المشهور وخرجوا لفتح بلاد فلسطين وتخليص الاراضي المقدسة
من ايدي المسلمين

ولما انت الجنود الصليبية سروريا استولت على انطاكية بعد حروب كثيرة
وعنيفة فساء الامر جميع امراء المسلمين فرفعوا ما كان بينهم من المناظرة والخصام
واتحدوا على محاربة الافرنج وسار دقاق مع غيره من الامراء سنة ٤٩١ لاسترجاع
انطاكية وبعد ان حاربوها رجعوا مهزومين فاخذت فتوحات الصليبيين تمند .
ثم سار دقاق الى جبلة وفتحها ووضع عليها ابنه ورجع وبرجوعه اخذت من ابنه
فبيع اباه الى دمشق ثم سار دقاق سنة ٤٩٦ وفتح الرحبة وضما اليه . وسنة ٤٩٧
توفي دقاق ودفن بها فخطب طغتكين الاتابك احد المتقدمين لابن دقاق
وكان طفلاً ثم قطع خطبته وخطب لآخي دقاق بلتاش ثم قطع خطبته وعاد
وخطب للطفل وولج هو ادارة الامور

وسنة ٥٠٣ حل الافرنج على طرابلس فرحل كثيرون من أهلها واتوا دمشق .
وسنة ٥٠٧ اتى صاحب الموصل دمشق فاستقبله طغتكين الى سلمية واتى به الى

دمشق ثم سارا منها وانضم اليها صاحب سنجار والامير ابازين ايلغازي وذهبوا جميعاً الى قرب طبرية وقاتلوا الافرنج وكسروهم ورجعوا الى دمشق منصورين فدخلوها في ربيع الاول . ودخل طغتكين ومودود صاحب الموصل الجامع الاموي فحل باطني على مودود وهو في الجامع وضربه بسكين فات بيوميه ودفن في دمشق ثم نقل منها الى بغداد سنة ٥٠٨ الى ايلغازي بن ارتق صاحب مارد بن الى دمشق فانفق مع واليها طغتكين وكتب الى الافرنج واعترضهم وسار ايلغازي نحو بلاده ولما عرف السلطان محمد بن ملكشاه بما فعلا غضب عليها وسير جيوشه سنة ٥٠٩ لمحاربتهم فانتهت الجيود ووصلت الى حماه وهي لطغتكين وفتحها عنوة واقام بها وعساكر الافرنج مع عساكر طغتكين وايلغازي مقية بفامية تنتظر تفرق الجيوش الاسلامية ولما اقبل الشتاء تفرق جيش الافرنج واما طغتكين وايلغازي فذهب كل منهما الى محله ثم ات طغتكين نقض عهد الافرنج ورحل بنفسه الى بغداد الى السلطان محمد وقدم له الطاعة وسأله العفو فعفا عنه وفي ذي الحجة سنة ٥٠٨ مات السلطان محمد بن ملكشاه فصار ابنه محمود خليفته . وسنة ٥١٧ ذهب طغتكين وحارب حمص ونهبها ثم استرجع حماه وعاد الى دمشق . وسنة ٥٢٠ الى الافرنج من جهة فلسطين وحملوا على دمشق ونزلوا في مرج الصغير عند قرية شقحب فارس طغتكين وجمع التركان وغيرهم لمحاربة الافرنج فالتقوا في اخر ذي الحجة واشتد القتال فانهزم طغتكين والخيالة وتبعهم الافرنج وسنة ٥٢٢ مات طغتكين وكانت مئة ملكه على دمشق ٢٥ سنة تقريباً وهو من هاليك نئش بن الب ارسلان وكان عاقلاً خبيراً وبلقب ظهير الدين وبعد موت طغتكين ملك ابنه تاج الملوك نوري بعهد مئة

ولما ولي نوري استوزر طاهر المزدغاني وكان نافذ الكلمة بالرعية . وفي هذه السنة اتى رجل من الاساعيلية من بغداد اسمه بهرام ودخل دمشق ودعى الناس الى مذهبه واعانه الوزير فتبعه خلق كثير وقوي امره فاعطاه الوزير طاهر بانياس فعظم لذلك امر بهرام في الشام وملك عدة حصون في الجبال وقد جرى بينه

وبين اهالي وادي التيم مقاتلة قتل بها فاقام الوزير عوضاً عنه على بانياس رجلاً
اسماعيلياً اسمه اسماعيل واقام ايضاً ابا الوفاء الاسمعيلى في دمشق بمرکز بهرام فعظم
امراي الوفاء وصار الحكم له في دمشق فكانت الافرنج ان يسلمهم دمشق فيعطونه
عوضاً عنها مدينة صور فاتفقوا معه على ذلك وعلى ان يكون قدومهم الى دمشق
يوم الجمعة . فعلم ناچ الملوك نوري بالملكة فاستدعى وزيره طاهراً وقتله . وامر بقتل
الاسماعيلية الذين في دمشق فنار بهم الدماشفة وقتلوا منهم ستة آلاف نفر . وعند
وصول الصليبيين راوا خلاف ما املوا فحصبوا دمشق مدة فلم يظفروا بشيء
فرفعوا الحصار وعادوا من حيث اتوا . فتأثرهم نوري مسافة وقتل منهم عدة .
واما اسماعيل الباطني فسلم بانياس للافرنج . وسنة ٥٢٥ وثب الباطنية
وجرحوا نوري انتقاماً فضعف جسمه وازمته المرض ومات في ٢١ رجب سنة ٥٢٦
وتولى بعده ابنه شمس الملوك اسماعيل بوصية منه . وولي اخوه شمس الدولة محمد
بعلبك بوصية من ابيه . ولما استقر محمد بعلبك فتح حصني الراس واللبوة فكتب اليه
اخوه اسماعيل ليردهما فابي فسار اليه اسماعيل واسترجعها وفتح بعلبك بعد حصار
وحصر قلعتها . ثم اصطالحا وبقي محمد على بعلبك ورجع اسماعيل الى دمشق منصوراً .
وسنة ٥٢٧ سار اسماعيل على غفلة من الافرنج وفتح مدينة بانياس عنوة وحصر
قلعتها واستلمها بالامان وفي شهر ربيع الآخر وثب على اسماعيل احد ممالك جده
وضربه بسيف فلم يعمل السيف به فالتى القبض على الضارب واقربها حملة على ما
فعل فقتله اسماعيل وقتل جماعة من غير تحقيق فعظم ذلك على الناس فنفروا
منه وحل بغضه في قلوبهم . ثم سار اسماعيل الى حماه وملكها عنوة في عيد رمضان
وكانت قد اخذت منذ سنة ٥٢٢ ورحل عنها الى شيزر فصالحه صاحبها على
مال فقام عنها ورجع الى دمشق . وفي محرم سنة ٥٢٨ سار وفتح حصن الشقيف
وكان بيد الضحاك بن جندل صاحب وادي التيم فعظم ذلك على الافرنج
واستكبروه فقصدوا بلاد حوران فجمع اسماعيل الجنود وناوش الافرنج واغار على
بلادهم من جهة طبرية واخيراً اتها دنوا معه فرجع الى دمشق . وكان اسماعيل

ظالماً جائراً في الرعية فكرهه الناس وأموا التخاص منه. وفي ١٤ ربيع الآخر سنة ٥٢٩ اتفقوا مع والدته وقتلوه وكان عمره نحو ٢٤ سنة وأقاموا بعده أخاه شهاب الدين محموداً وكان يحافظ المدينة معين الدين ابن مملوك طغتكين وبجسوس العمل بالرعية

ولما ولي شهاب الدين اتى عماد الدين زنكي صاحب حلب الى دمشق وضيق عليها فلم يبلغ منها ارباً فاصطح مع اهلها ورجع . وفي شوال سنة ٥٣٢ غدر ثلاثة من غلمان شهاب الدين بسيدهم وقتلوه على فراشه في القلعة فأتى اخوه جمال الدين صاحب بعلبك وولي امر دمشق بعده (وفي سنة ٥٣٢ وسنة ٥٣٣ كانت زلازل كثيرة في بلاد الشام اخرجت المدن واهلكت العباد وكان اكثر فعلها في مدينة حلب) فطعم عماد الدين زنكي بدمشق فأتى لمحاربتها ونزل على داريا في ١٢ ربيع اول واخذ ينزل المدينة وفي اثناء الحصار مرض جمال الدين محمد ومات في ٨ شعبان فولي اخوه مجير الدين فحارب زنكي واضطره الى الرجوع عن المدينة فرحل عنها ونزل بقرية عدرا واحرق قرى المريج ورحل الى بلاده . وسنة ٥٤١ سار مجير الدين واسترجع بعلبك وكان قد اخذها صاحب حلب . وسنة ٥٤٢ اتى الصليبيون وحصروا دمشق وكان على تدبيرها معين الدين اتز فارس اتز الى سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجد فأتى بعسكره الشام ومعه اخوه نور الدين ونزلوا على حمص فارتاع الافرنج (قال مكسيموس مونروند في المجلد الثاني من كتابه تاريخ الحروب الصليبية عند وصفه حملة الافرنج هذه ما ملخصه : في سنة ١١٤٨ م صار اجتماع احنفالي بعكاء حضن الملك كونراد والسلطان لويس السابع والسلطان بودوين الثالث ملك اورشليم وارشاف الصليبيين الحربيون والمدنيون والكنايسيون واجمعوا على ان يملكوا مدينة دمشق حيث تراءى لهم ان استيلاءهم عليها يسهل لهم اخذ كل سوريا ويجعلهم مأمونين من حروب جديده بينهم وبين المسلمين وفي ايار سنة ١١٤٨ م كانت مهمات الحرب معدة فصار هولاء الثلاثة الملوك وقوادهم وجنودهم ونزلوا في

طبرية ثم اجنأوا الى بانياس وقطعوا جبل الشيخ ووصلوا الى دمشق فنزلوها.
زماناً طويلاً ولكنهم انقسموا واختلفت كلمتهم فرجعوا بالخبية بعد ان كاد نسر
النصر يخفق فوق رؤوسهم

قال ابو الفداء . وكان بين الافرنج (المحاصرين دمشق) ملك الالمان
فارسل اتز الى افرنج الشام يبذل لهم تسليم قلعة بانياس فتخلوا عن ملك الالمان
واشاروا عليه بالرحيل وخوفوه من امداد المسلمين فرحل عن دمشق وعاد الى
بلاده وسلم اتز قلعة بانياس الى الافرنج حسب شرطهم . ومن خسائر دمشق في هذه
الحرب احد قوادها المشهورين نور الدولة شاهنشاہ ابن ايوب اخو السلطان
صلاح الدين الايوبي وفي مدة حصار دمشق كان غلاء شديد في كل بلاد
الشام والعراق وخراسان وبلاد العرب . وسنة ٥٤٤ هـ هبت المنية معين
الدين اتز وكان هو الحاكم بدمشق فعلاً فندبه الناس وحزنوا عليه وحسبوا موته
اعظم خسارة وبقي على سرير دمشق مجير الدين فاخذ يدبر الامور فتدخل
الافرنج بدمشق في مدته تداخلاً حبيماً فقوي نفوذهم فيها وصار لهم كلمة
مسموعة فكانوا يفكون كل مملوك وسرية بدمشق اما بفدية او بغير فدية ولما
كانت سنة ٥٤٤ هـ هجرة خشي نور الدين صاحب حلب (وهو السلطان نور
الدين المشهور) امر نفوذ الافرنج بدمشق وخاف ان يملكوا المدينة فكاتب اهلها
واستألم في الباطن بدون معرفة اميرهم ثم سار بجنوده اليها وحصرها ففتح له
الاهالي الباب الشرقي فدخل منه وملك المدينة وحصر مجير الدين في القلعة
وطال الحصار فبذل نور الدين لمجير الدين اقطاعاً من جبلته مدينة حمص اذا
سلمت القلعة فقبل مجير الدين وسار الى حمص فلم يعطها اياها بل بدلها له
بغيرها فابى وسار الى بغداد وسكن فيها حتى مات وهكذا انتقلت دمشق الى ملك
نور الدين الذي يلقب بالشهيد فوضع عليها اخاه نجم الدين ايوب ورجع الى
حلب

وفي ذي الحجة سنة ٥٥٩ فتح نور الدين بانياس وضمها اليه وقد فتح فتوحات

كثيرة غيرها واقام بهغازية يطول شرحها واشتغل بحاربة الافرنج اكثر حياتهم
 وفتح كثيراً من بلادهم وحصونهم وفتح جانباً من البلاد المصرية. ثم اتخذ دمشق
 مقراً له وجعلها مركز حركاته وسكن في قلعتها كغيره من ملوكها. وبني في دمشق
 وغيرها عدة مدارس ونشط بضاعة العلم وخدمها واجرى العدل والانصاف
 بالرعية وابطل المكوس فاكتسب حب الاهالي وهيلهم وبواسطته تقوى
 صلاح الدين الايوبي الشهير مؤسس الدولة الايوبية وركنها. ويوم الاربعاء الواقع
 في ١١ شوال سنة ٥٥٦ توفي نور الدين بن ملقة دمشق بعلة الخوانيق ودفن في
 مدرسته التي بناها في دمشق ولم تنزل الى الآن وتعرف بالنورية نسبة اليه.
 وقبل موته بقليل كان قد جهز جيشاً لمحاربة صلاح الدين في مصر لانه امتنع عن
 طاعته وصم ان يسير اليه بنفسه وان يترك ابن اخيه على الشام قبالة الافرنج نائباً
 عنه فانصرم عمره بغتة. وله مآثر سنرى بعضها مذكوراً في ترجمته في باب الترجمات
 ولما مات نور الدين قام باعباء الملك ابنة الملك الصالح اسمعيل وعمره
 احدى عشرة سنة فاقام في دمشق وكان مدبره في الامور الامير شمس الدين محمد
 بن عبد الملك المعروف بابن المقدم. وقد اطاعه صلاح الدين بمصر وخطب له
 فيها وضرب السكة باسمه على ان صاحب الموصل خلع طاعته وذهب وامتنك
 بلاد الجزيرة. وسنة ٥٥٧ حسن صاحب حلب الملك الصالح اسمعيل بحلب
 فانقاد اليه وتوجه اليها واقام فيها وكان في حلب سعد الدين كمشتمكين متغرباً
 من الملك فخافه امرأه دمشق فراسل الى السلطان صلاح الدين صاحب مصر
 ودعوه ليملك عليهم فاجاب طابهم

فصل

في تاريخ مدة استيلاء الأيوبيين على دمشق

عندما دعا امراء دمشق صلاح الدين بن ايوب ليملكوهم عوضاً
 عن الملك الصالح اسمعيل سار اليهم بسرعة ومعه سبع مئة فارس ولما وصل الى

دمشق خرج اليه من بها من العساكر والامراء والنفوة بالترحاب وملكوه البلد على ان القلعة عصت عليه وبها من قبل الملك الصالح اسمعيل خادماً اسمه ربحان فراسله صلاح الدين واستماله واستلم القلعة منه ودخلها واخذ ما بها من الاموال والذخائر فثبت قدمه بدمشق فقرر امورها واستخلف عليها اخاه سيف الاسلام طغتكين بن ايوب وسار الى حمص في مستهل جمادى الاولى فاستوز عليها وعلى حماه وغيرها. ثم سار نحو حلب فاتاه عسكرها ومن انضم اليهم فتغلب عليهم ايضاً ونقدم نحو مد ينتهم وحصرها وضيق عليها. ولما كاد ان يتمكن منها صالحه الصالح اسمعيل على ان يبقى الذي فتحه صلاح الدين بيده وما بقي يكون للصالح. فاقبل صلاح الدين الابان تكون الخطبة والسكة باسمه فنقلنا. ورجع عن حلب ظافراً. وفي شهر شوال سنة ٥٧١ سار صلاح الدين وحارب عسكر الموصل وكسره عند تل السلطان. ثم رجع الى حلب وكانت قد امتنعت عليه فضيق عليها فصالحه اهلها فرحل عنها في ٢٠ محرم سنة ٥٧٢. وسنة ٥٧٤ حدث وباء عظيم في البلاد مات به كثيرون من سكان دمشق. وبعد هذا عزل صلاح الدين اخاه سيف الاسلام عن ولاية الشام ووضع مكانه ابن اخيه عز الدين فرخشاه. وسنة ٥٧٧ سار البرنس دي شالتيليون صاحب الكرك لفتح الحجاز فجمع عز الدين جنوده وسار من دمشق فكسره البرنس فعاد الى دمشق

وفي ٥ محرم سنة ٥٧٨ سار السلطان صلاح الدين من مصر قاصداً الشام فاجتمع الناس لوداعه وكان كل يقول شيئاً في الوداع ورافقه وكان من الحاضرين معلم لبعض اولاد السلطان فقال

تمتع من شميم عرار نجدي فابعد العشية من عرار

فانقبض السلطان من ذلك وتنكر المجلس ولم يعد صلاح الدين بعد

ذلك الى مصر. وسار فوصل الى دمشق في ١١ صفر

وفيما كان صلاح الدين قاصداً الشام اجتمعت الافرنج عند الكرك

ليعارضوه في طريقه فانتهز فرخشاه نائب السلطان في دمشق الفرصة وسار بجند

وفتح الشقيف وما يجاوره من البلدان وأرسل يبشر السلطان بذلك . ومكث السلطان بدمشق إلى ربيع الأول ثم سار بجندوه ونزل قرب طبرية وشن الغارة على بلاد الأفرنج كبايناس والغور وجنين وعاد راجعاً إلى دمشق . ثم سار إلى بيروت وحصرها وأغار على بلادها ورجع إلى دمشق وسار منها إلى الجزيرة وقطع أنفارت وفتح الرها وغيرها من المدن كقرقيسيا وماكسين والخابور . وحاصر الموصل ولم يفتحها فسار عنها إلى سنجار وفتحها ثم سار إلى حران . وفي مكة غيابه عن دمشق مات عاملها عز الدين فرخشاه فولى عوضاً عنه شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم . (وفي هذه السنة مات في دمشق مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري وكان إماماً فاضلاً في العلوم الدينية قدم إلى دمشق وأقام بها وأنف للسلطان عقيدة كان السلطان يقربها أولاده الصغار) . ثم دخلت سنة ٥٧٩ والسلطان يغزو ويفتح في العشر الأول من محرم ففتح آمد ورحل إلى الشام ففتح تل خالد من أعمال حلب ثم فتح عينتاب ورحل عنها وحصر حلب فسلمه صاحبتها بشرط أن يعوضه عنها بغيرها وكان ذلك في صفر فقال أحد الفضلاء ميفائلاً

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب
وليث السلطان بحلب مكة وقرر أمورها لولده الملك الظاهر غازي وسار إلى دمشق وليث فيها قليلاً وتجهز لغزو الأفرنج فسار وعبر الأردن ونزل على بيسان وأحرقها ثم سار إلى الكرك وقد اتاه أخوه الملك العادل من مصر فلم يتمكنها ورجع عنها فأتى السلطان دمشق وأعطى أخاه الملك العادل حلب ووجهه إليها وأتى بولده الظاهر إلى دمشق

وسنة ٥٨٠ كتب إلى مصر لتأتيه العساكر وسار في ربيع الآخر إلى الكرك ونازلها مع عسكر مصر فلم يتمكن منها فرجع عنها وسار إلى نابلس وأحرقها ونهب ما حوتها وقتل وأسروا . ثم سار إلى سبسطية وهي على مرحلة ساعيتين عن شمالي نابلس فاستخلص ما فيها من أسرى المسلمين وسار إلى جنين وعاد إلى دمشق .

وسنة ٥٨١ حمل على الموصل وحصرها وتركها بدون ان ينال منها شيئاً وسار الى اخلاط وملكها في سلخ جمادى الاولى ثم اتى الموصل وتصلح مع صاحبها على شروط منها اعطاء السلطان بلاداً وان تكون السكة والخطبة في بلاد الموصل باسمه ثم اتى حران واقام بها مريضاً واشتد مرضه حتى آيسوا منه على انه عوفي سر يعاود الى دمشق في محرم سنة ٥٨٦. ثم احضر ابنة الملك الافضل من مصر واقطعة دمشق ونقل اخاه الملك العادل من حلب واقطعة مصر. وبعد ترتيب هذه الامور جهز عسكره للفتوحات فسار اولاً نحو الكرك وحصرها خيفة على الحجاج من صاحبها وارسل ابنة الافضل الى عكا. ثم سار من الكرك ونزل على طبرية وفتحها عنوة وملكها ولما وقعت طبرية بيده اجتمع ملوك الافرنج من كل انحاء سوريا وجمعوا جنودهم وقواتهم وساروا لخاربتة فخرج للنائمهم ويوم السبت في ٥ ربيع اول اقتتل الجيشان فنانكسر الافرنج اعظم كسرة بعد وقعة دموية مهولة لم يجر مثلاً في فلسطين منذ اتاها الافرنج وهذه الوقعة هي المشهورة في تاريخ المحروب الصليبية بوقعة حطين وفيها تكبد الافرنج اعظم الخسائر وضعفت قوتهم وبعد هذه النصر فرق السلطان جنوده ففتحوا الناصرة وقيصرية وحيفا وغيرها من البلدان حوالي عكا وارسل فرقة الى نابلس فامتلكت قلعتها بالامان وذهب الملك العادل وفتح مجد البابا (اليوم تدعى مجد الباع) ثم فتح يافا عنوة. اما السلطان فسار الى نينب وفتحها ورجل منها الى صيدا فاخلاها صاحبها فوصل اليها السلطان في ٢٠ جمادى الاولى واستلمها ومنها قصد بيروت فحصرها ثمانية ايام وفي نهاية جمادى الاولى استلمها بالامان ومنها سار جنوباً واخذ عسقلان في اواخر جمادى الآخرة وارسل عسكره ففتحوا الرملة والداروم وغزة وبيت لحم وبيت جبرين (وكانت من المدن العظيمة المحصنة) وغير ذلك. ثم ارتحل الى القدس ونازلها وبها عدد غفير من الافرنج فطلب اهلها الامان فابي السلطان تامينهم في البداءة على انه امنهم اخيراً على شروط شرطها عليهم واستلم المدينة واعادها اسلامية واقام بها ابنة كثيرة وكان هذا الفتح في رجب فتم قول من

تفآل وقال

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب
وبعد ان نظم امور القدس رحل الى عكا وارسل وفتح حصن هونين واقام
الحصار على عكا بشديد وادركه الشتاء فشئى امامها والبحر قائم واذ لم يبلغ
منها ارباً لشدت تحصين الافرنج لما ومدافعهم عنها ببسالة وحمية رحل عنها الى
حصن كوكب ووضع عليه من بفتح وقصد دمشق فدخلها في بداءة ربيع الاول
سنة ٥٨٣ فزينت له المدينة واقامت بها الافراح واستقبله الناس بسرور عظيم
واحتفال يليق بكريم فاتح مثله وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً. ثم كتب لهماً الى
يتجهز العساكر. وابث في دمشق خمسة ايام ورحل منها في انتصاف ربيع الاول
قاصداً الجهة الشمالية ونزل على بحيرة حمص فاجتمع اليه جنده فرحل بهم قاصداً
غزو بلاد الافرنج فنزل على حصن الاكراد وفتح ثم زحف على انطوطوس
(طوطوس) فاخلاها اهلها فدخنها في ٦ جمادى الاولى. ثم سار الى جبلة فلكها
في ٨ جمادى الاولى. ثم زحف الى اللاذقية في ٢٤ جمادى الاولى ونازل قلعها
واستلمها بالامان وجعلها لابن اخيه الملك المظفر تقي الدين. ثم فتح فتوحات كثيرة
يطول شرحها واخيراً نازل المعاملات النابذة لانطاكية فامتلك بعضها وتهادن مع
صاحب انطاكية الافرنجي لمكة ثمانية اشهر ورحل الى حلب ودخلها في ثالث شعبان.
ثم سار منها الى دمشق فدخلها في شهر رمضان فاشير عليه ان يترك العساكر
ليستريحوا فابي واجاب ان العمر قصير والاجل غير مأمون. هذا وقد كان اخوه
الملك العادل يضايق الكرك وكانت للافرنج فطلب اهلها الامان فاستشار
العادل اخاه صلاح الدين بهذا فاجابه اليه فصارت الكرك والشوبك للمسلمين
وفي منتصف رمضان سار السلطان من دمشق جنوباً فحل على صفد فاستلمها
ثم سار الى كوكب واستلمها ثم سار الى اورشليم وعيد فيها عيد الاضحى. وفي اواخر
سنة ٥٨٤ ذهب الى عكا فوافاه الافرنج من صور والبحر وقاتل شديداً
كان الفوز فيها للصليبيين وكادوا ياخذون عكا منه فخرج منها لمرض اعترأه. ثم

عاد ليجدها سنة ٥٨٦ وكانت قد تضايقت جداً واوشكت ان تفتح فاشتغل
بمجارة الافرنج عند ابوابها ودام الحرب كل هذه السنة ودخلت سنة ٥٨٧
والحرب على قدم وساق على انه في ١٠ جمادى الاولى تغلب الافرنج على الاسلام
وفي مستهل شعبان ساروا الى حيفا وملكوها ثم ملكوا قيصرية وارسوف ويافا
وقصدوا عسقلان فخرت بامر من السلطان (وكان السلطان مقبلاً بالنظرون).
ثم اخرب قوم السلطان حصن الرملة وكنيسته لد. ثم تقدم الافرنج وملكوا الد والرملة
ولما راي السلطان تقدم الافرنج السريع رحل من النظرين الى اورشليم واخذ في
بناء اسوارها وتحصينها بمجد وسرعة وكان الافرنج وعسكره لا يقطعون عن
المناوشات الى ٢٢ شعبان سنة ٥٨٨ حيث تهادن السلطان والافرنج لثلاث
سنين وثلاثة اشهر من يوم المهادنة اما شروط الهدنة فهي. ان يكون بيد الافرنج يافا
وعلمها وقيصرية وعلمها وارسوف وعلمها وحيفا وعلمها وعكا وعلمها وان تكون عسقلان
خراباً واشترط السلطان بان تكون بلاد الاسماعيلية في عقد الهدنة واشترط
الافرنج ان تكون طرابلس وانطاكية في هدينتهم وان تكون لد ورملة مناصفة بينهم
وبين المسلمين وقر الفرار على هذا وتوقفت الحروب والمغازي فاستقر السلطان
مدة في القدس واقام بها ابنة وجوامع ومدارس. ثم سار عنها في ٥ شوال قاصداً
دمشق وفي ٢٥ شوال دخلها وكانت غيبته عنها اربع سنين فاقام بها
العدل والانصاف وصرف عسكره وامراه وابقى عنده ابنه الملك الافضل. وسنة
٥٨٩ مات في قلعة دمشق بداء الحمى ودُفن في الدار التي مرض بها فاسف
الناس لفقده وبكوه بكاء مراً ورثاه اهل الفضل بالبالغ المراثي. وقد كان من
اجود الملوك ما فضلهم واحسنهم خلفاً ودعماً كريماً جباراً غازياً عادلاً
وبعد موت السلطان صلاح الدين قُسمت المملكة بين اولاده واخوته
فكانت دمشق نصيب الملك الافضل نور الدين علي. وسنة ٥٩٠ صارت
وحشة بين الملك الافضل واخيه العزيز (صاحب مصر) فجرد العزيز جنوده
واتى وحصر دمشق فاستجار الافضل ببعض اخوته وعمه الملك العادل فاتوا

دمشق وأصلحو بين الأخوين . ولما راق الجوال الأفضل أقبل على أدمان المخبر
والاشتغال بالملاهي ليلاً ونهاراً فكثر كلام الناس به وبلغ المخبر عمة الملك العادل
فارساً ووجه فارتدع وتاب وعكف على التقوى وولج إدارة مملكته لوزير
ضياء الدين بن الأثير فافسد الأمور ولم يحسن السياسة . وسنة ٥٩١ حمل العزيز
على بلاد الشام فاستجار الأفضل بعمة العادل فاجارهُ وحاربها العزيز ووصل
إلى مصر فقصده الأفضل لاستيلاء عليها فبعه العادل وكاتب العزيز العادل
سراً وسأله إرسال القاضي الفاضل ليصلح بينه وبين أخيه الأفضل فأتى القاضي
وأصلح بينهما بالاشتراك مع العادل . ولما تم الصلح رجع الأفضل إلى دمشق وظل
العادل في مصر ليصلح مملكة ابن أخيه لأن أحوالها كانت قد تضعفت .
وكانت أحوال دمشق في تآخر لسوء إدارة وزيرها فبلغ العزيز والعادل ذلك
فاتفقا على أخذ دمشق من الأفضل وإن يستولي عليها العادل وتكون الخطة
والسكة بها للعزيز وساراً قاصدين دمشق . فعلم الأفضل بندها فخصن المدينة
ولما اقترى بامنهما كاتب بعض أمراءها الملك العادل على أن يسلموه المدينة وفي ٢٦
رجب سنة ٥٩٢ دخل العادل المدينة من باب زوما والعزيز من باب الفرج فسلمها
الأفضل المدينة رسمياً وخرج منها بأهله . وفي ٥ شعبان صارت المدينة للعزيز
فسلمها بعمة الملك العادل فصارت سكتها وخطبتها باسم العزيز . ورحل العزيز
عنها حالاً راجعاً إلى مصر وكانت مدة ولاية الأفضل عليها ثلث سنين وشهراً واحداً
وسنة ٥٩٤ سار الملك العادل من دمشق وحارب الأفرنج ورجع إليها ثم
سار وحارب ماردن وفي أثناء غيابه مات العزيز صاحب مصر وأقيم ابنه فسار
إليه الأفضل وهناك أشير عليه أن يسترجع دمشق من العادل . فجمع الأفضل
جنداً وسار به فبلغ العادل المخبر فرجع مسرعاً إلى دمشق ودخلها قبل وصول
الأفضل إليها بيومين . ونزل الملك الأفضل على دمشق في ١٢ شعبان فانتشبت
بينهما القتال وبعد وقائع كثيرة بطول شرحها انكسر الأفضل وتبعه العادل إلى
مصر ودخلها في ربيع الآخر سنة ٥٩٦ وصادف فيها توفيقاً فاستقل بالمملكة

وقد تخلف عنه في دمشق ابنة الملك المعظم شرف الدين عيسى ولما استقل
العادل بصر نقوى الظاهر صاحب حلب واخذ يفتح البلاد واتحد مع الافضل
وانضم اليها بعض الامراء وساروا الى دمشق وحاصروها ولما اوشكوا يفتحونها
وقع الخلاف بينهم وسببه ان الظاهر والافضل اتفقا على ان دمشق عند ما تفتح
ترجع للافضل ثم تسير جنود الافضل وجنود الظاهر وتفتح مصر وتسير للظاهر
ولما كادت دمشق تقع في يدهم قال الظاهر للافضل ان دمشق تكون لي بحيث
املك ممالك الشام كلها ومصر تكون لك فقال الافضل ما على هذا اتفقا . فقال
الظاهر ولا بد من صبر ورثه فوقع الخلاف بينهما فرحل الظاهر عن دمشق
فاصدا حلب ورحل الافضل الى حمص وهكذا انتهى الحصار . وسنة ٥٩٢
زلزلت سوريا زلزلا عظيما فاندك به كثير من مدنها وقتل عدد وافر من اهلها .
وبعد رفع الحصار عن دمشق اتاهما العادل واصلىح امورها وسار نحو حلب
واصطلح مع الظاهر وغيره وجعل الخطبة والسكة باسمه فانتظمت له ممالك اخيه
صلاح الدين بكليتها فرجع واستقر في دمشق الى سنة ٦١٠ وفيها حمل الصليبيون
على القدس فخرج العادل لمحاربتهم وفي اثناء المحاربة عادت الزلازل على سوريا
وامتدت الى مصر والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرس والعراق وغيرها . اما
العادل فداوم محاربة الافرنج على انه لم ينجح فاصطلح معهم وسلمهم يافا وتنازل لهم
عن نصف لد والرملة . وبعد المصالحة قصد مصر وكان الافرنج يفتحون بها .
وسنة ٦١٢ عاد الى دمشق ثم رحل عنها لمحاربة الافرنج وتمهادن معهم . وسنة ٦١٤
افل راجعا اليها فاتاه رسول الخليفة بخبة وعلم فاخذها باحتفال عظيم ووصل
الى العادل ايضا تقليد بالبلاد التي كانت تحت حكمه فخطب بالامادل شاهنشاه
ملك الملوك امير المؤمنين . وبعد ذلك اخذ الملك العادل ببناء قلعة دمشق
وكانت قد تهدمت بالزلازل والحروب والزم كل واحد من الملوك اهل بيته
بعمارة برج من ابراجها واسرع في البناء حتى تمت بوقت قصير . وبقيت دمشق
للعادل طورا يقيم فيها وطورا يرحل عنها اما للحرب او للاقامة في مصر الى ان

وفدت سنة ٦١٥ فأتى لمحاربة الافرنج عند عكا فنزل بـرج الصفر ثم رحل الى
عاليقين عند عقبة افيق فاشتد عليه مرض اعترأه فأت هناك فأت ابنة الملك
المعظم عيسى وكان بنا بلس فنزل جثته الى دمشق ودفنها بها وكانت وفاته في
سابع جمادى الآخرة وعمره ٧٥ سنة ومدة ملكه في دمشق ٢٣ سنة وفي مصر ١٩
سنة وكان كثير الاولاد غنياً جداً

ويوم دفن الملك العادل بدمشق استولى ابنة الملك المعظم عيسى على
جميع ما كان لابيها من الاموال والخيول والسلاح وحلف له جميع الناس بالولاية
ولبت في دمشق يدبر امورها. هذا وقد كانت حروب الافرنج في مصر على قدم
وساق فاستولوا على دمياط وغيرها فخاف الملك المعظم ان تمتد فتوحاتهم في
فلسطين ايضاً ويستولوا على اورشليم ويتخذونها حصناً لهم فامر في سنة ٦١٦ بهدم
اسوارها وكانت بغاية المتانة فدكها ما موروه باوفر سرعة ورحل كثيرون من اهلها
الى دمشق وغيرها وكان اخو الملك المعظم الملك الكامل بمصر ينازل الافرنج
فلما اخذوا منه دمياط ابنتى مدينة عند ملتقى البحرين بمصر وسماها المنصورة (وفي
هذه السنة ظهر جنكيز خان التتاري واشتهر امره واخذ بالفتوحات)

وبعد ان دكت اسوار اورشليم سار الملك المعظم عيسى من دمشق الى بلاد
الساحل ونزل قيصريه ففتحها وهدمها ثم سار الى عنكاوا ونازلها ايضاً (وهي على
ساعة ونصف من حيفا جنوباً) ثم رحل عنها ونزل على الغور واقام بحروب
قبايلة الجددى وافل راجعاً الى دمشق

وسنة ٦١٧ عظم شأن الصليبيين في الديار المصرية وعجز صاحبها الملك
الكامل عن محاربتهم فكانت اخوته الملوك لينجدوه بمجنودهم فلبوا دعوته. وسنة
٦١٨ سار الملك المعظم من دمشق بمجنوده لينجد اخيه وكان قد اجتمع اليه كثير
من الملوك اخوته وامرائه فبلغوا مصر معاً واخذوا يحاربون الافرنج فانتهى اعمالهم
الاً بالفضل ولما نظر الملك الكامل ذلك طلب مصالحتهم بشرط ان يرد لهم
جميع ما ملكه صلاح الدين منهم وان يتركوا له دمياط في مصر والكرك

والشوبك في سوريا فابوا اولاً ثم التزموا الى القبول . ولما تم الصلح رجع الملك
المعظم الى دمشق فعصاهُ صاحب حماه وامتنع عن ايذاء ما عليه من الاموال
فسار المعظم بجنوده الى حماه ونازلها فتعسرت عليه فسار عنها الى المعرة وسلمية
وملكها ولبث في سلمية جااعلاً نصب عينيه منازلة حماه ثانية فبلغ الملك الاشرف
ما عمله اخوه المعظم بصاحب حماه فساءه الامر واتفق مع اخيه الكامل ان ينكرا
على اخيهما ما فعله فبعثا اليه بالرحيل وترك ما اخذه فاجاب بالسمع والطاعة
ظاهراً وهو مضر لها الانتقام . وسنة ٦٢٣ انفق مع بعض امراء البلاد وسار
ونازل حمص فحل بجبله وباع قضى عليه بالرجوع عنها فرجع الى دمشق فانه
اخوه الملك الاشرف الى دمشق طالباً المصالحة دفعاً للفلاقل وحسماً للفتن
فحفظه المعظم عند كاسير وطلب منه شروطاً وكان ظاهراً يعزه ويحمله ويكرمه
واخيراً في سنة ٦٢٤ سلم الاشرف لـ اخيه بكل ما طلب منه فاطلق سبيله فضى
الى بلاده وانكر الاتفاق فاتحد المعظم مع اقوام اقوياء وبات ينتظر الفرص
للاتقام من اخيه فبلغ الكامل ذلك فاخنشى العاقبة فاتحد مع امبراطور الافرنج
على ان ياتي الامبراطور عكا ويشغل المعظم ويعطيه الكامل لقاء هذه الخدمة
مدينة اورشليم فذهب الامبراطور الى عكا وانصل الخبر بالمعظم فارسل لـ اخيه
الاشرف واستعطفه تخفيفاً للعدوان وبينما كانت تجري الامور على هذا النمط
وفد شهر ذي القعدة فتوفي الملك المعظم عيسى في قلعة دمشق وعمره ٤٩ سنة
وملكه تسع سنين واشهر وكان عالماً فاضلاً متضعاً بعيداً عن الكبرياء لا يمنع
احداً عن الدخول عليه واحب العيشة البسيطة وكان يخطب لـ اخيه الكامل
دون ان يذكر اسمه معه

وبوم وفاة المعظم تولى نعت ابنة الناصر صلاح الدين داود وقام بتدبير
ملكه مملوك ابيه الامير عز الدين اييك فارسل الكامل للناصر يطلب حصن
الشوبك فتمنع الناصر عن اعطائه فاتي الكامل بلاد الشام واستولى على القدس
ونابلس وغيرها من البلدان وهم على انتزاع كل مملكة ابن اخيه فضايق لذلك

صدر الملك الناصر فراسل عمه الاشرف وطلب معونته فاتاه في ١٠ رمضان سنة ٦٣٥ فدخل معه قلعة دمشق واتفقا وسارا الى نابلس واسترجعاها فاقام بها الناصر وذهب عمه الاشرف الى غزة ساعياً بمصالحة الناصر والكمال معاً فلما اجتمع بالكمال تعاهدا معاً بان تكون دمشق للاشرف وهو يعوض عنها لصاحبها بعض بلاد من بلاده وانه من عقبه افيق جنوباً يكون حد بلاد الكامل وان يصير تغيير ولايات بعض الامراء . وفي بداية سنة ٦٣٦ رجع الاشرف واعلم ابن اخيه الناصر بما اتفق عليه مع الكامل فساء الخبر الناصر فسار مسرعاً الى دمشق فحاصره عمه الاشرف وكان الملك الكامل بمحاربة الافرنج فقبوا عليه فصالحهم وسلمهم اورشليم فاتصل هذا الخبر بالناصر فاخذ يشنع بعمه الكامل وجاراه الناس وحزنوا على تسليم اورشليم وتشددوا للقتال . ولما انتهى الكامل من محاربة الافرنج سار الى دمشق واشترك في حصارها وضيق عليها وبعد عناء فتحها واقطع الناصر عوضاً عنها واقام الاشرف بها وبقي الاشرف بدمشق حتى مات واقام بها ابنيه وقصوراً جميلة ولم يحدث في ايامه بدمشق ما يستحق الذكر الا انه في الملك الاخيرة من حياته صار وحشة بينه وبين الكامل فصهم على محاربته وطلب من الناصر داود ان ينضم اليه فيجعل ولي عهد على دمشق فابي الناصر فجعل ولاية العهد لاختيه اسمعيل صاحب بصرى وتوفي في محرم سنة ٦٣٥ وعمره ستون سنة وملك ماكنه على دمشق ٨ سنين وشهور وكان كريماً يحب التثنية والانبساط ودُفِنَ في تربة قرب الجامع الاموي ولم يخلف غير ابنة واحدة وبعد موث الاشرف استوى على دمشق اخوه الصالح اسمعيل فعند استقرار الملك له بعث الى الملوك اهلوا الى كينسرو صاحب بلاد الروم يدعوه ليوافقه على محاربة الملك الكامل فوافقه الا المظفر صاحب حلب فانه انتهى للكامل وكذلك الملك الناصر داود انتهى لعمه الكامل لانه وعده ان يرد اليه ملك دمشق وبعد هذه الامور سار الكامل لمحاصرة دمشق فوصل اليها في جمادى الاولى ونازلها فاحرق الصالح اسمعيل جي العنيفة (هو حي متسع واقع خارج سور المدينة

من جهة الشمال الغربي) واذ لم يمكنه الثبات سلم المدينة في ١٩ جمادى الاولى
 لآخيه فاقطعه اخوه عوضاً عنها بعلمك والبقاع علاوة على بصرى . وبعد ان
 لبث الكامل اياماً في قلعة دمشق اصابه مرض واشتد عليه وفي ٢١ رجب سنة
 ٦٣٥ توفي وعمره ستون سنة وكانت مدة ملكه في دمشق ٢٠ سنة وقبلها كان نائباً
 بها ٢٠ سنة ايضاً وكان عالي الهمة عمرت ديار مصر في ايامه اتم عمار وامنت
 الطرقات واذ كان يحب العلوم واهل العلم راجت اسواق المعارف في ايامه .
 ولما مات حلف العسكر بمصر لابنه الملك العادل ابي بكر بن الملك الكامل
 واقاموا على دمشق الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل ابي بكر
 نائباً عن ابن عمه صاحب مصر . وفي جمادى الآخرة سنة ٦٣٦ استولى الملك
 الصالح ايوب ابن الملك الكامل على دمشق واعمالها بتسليم الجواد يونس وعوضه
 عنها سنجار وغيرها من المدن . ولما استولى الصالح بدمشق سار ليجارب الملك
 العادل في مصر واستناب عنه بدمشق ابنه الملك المغيث فتح الدين سنة ٦٣٧
 طبع الصالح اسمعيل صاحب بعلبك بدمشق فاتهاا ومعه جنود حمص وهجم
 عليها وحصر القلعة وتسلمها من صاحبها وقبض عليه . ثم مات الملك العادل
 صاحب مصر فقام بعده الصالح ايوب فخافه الصالح اسمعيل ولكي يأمن غائلته
 اتفق مع الافرنج وسلمهم صفد والشقيف وغيرها ليعينوه على ابن اخيه صاحب
 مصر فعظم هذا الامر على المسلمين فاخذوا في التشنيع على الصالح اسمعيل وكان
 ذلك سنة ٦٣٨ . وسنة ٦٤١ كانت مراسلات الصلح بين الصالح ايوب والصالح
 اسمعيل فانتهت على غير اتفاق ولجل نقوية الصلات بين الصالح اسمعيل
 والافرنج اتفق مع الناصر داود صاحب الكرك وسلمها للافرنج طبرية وعسقلان
 واورشليم بما فيها من المعابد والزيارات . وسنة ٦٤٢ استنجد الصالح ايوب
 بالخوارزمية على عمه الصالح اسمعيل واتوا الى غزة فسارت اليهم عساكر دمشق
 مع عسكر حمص والافرنج فجرى القتال بينهم وبين عسكر مصر والخوارزمية
 فانكسر الصالح اسمعيل ومن معه فاستولى الصالح ايوب على غزة والسواحل

والقدس ورجع الصالح اسمعيل الى دمشق مكسوراً . وسنة ٦٤٣ زحف عسكر مصر الى دمشق وحاصرها فسلمها صاحبها الملك الصالح اسمعيل وخرج منها الى بعلبك وكان الخوارزمية معاضدين للصالح ايوب لظنهم بانه اذا استولى على دمشق يعطيهم من الاقطاعات ما يرضيهم فخاب املهم اذ لم يعطيهم شيئاً فأنحازوا الى الصالح اسمعيل وانضم اليهم صاحب الكرك وساروا معاً الى دمشق وحاصروها اشد حصار فغلت اسعار الاقوات بها وقاسى اهلها الشدة العظيمة والضيق الشديد بنوع لم يسمع مثله وطال حصار دمشق فانفق الحلبيون واهالي حمص مع الصالح ايوب وقصدوا الخوارزمية فرحلت الخوارزمية عن دمشق لمحاربتهم فانكسر الخوارزمية وتشتتوا شتاتاً فضعف امر الصالح اسمعيل فرفع الحصار عن دمشق وسار الى صاحب حلب فقبله واقام عنده فطلبه الصالح ايوب فابي صاحب حلب تسليمه . ثم سار نائب دمشق ونازل بعلبك واستولى عليها واخذ اولاد الصالح اسمعيل اسرى وارسلهم الى مصر فزينت مصر فرحاً . ثم وجهت العساكر الى بلاد الناصر داود صاحب الكرك والشوبك واعمالها فتغلبوا عليه وملكو بلادَهُ ولم يبق له غير الكرك فقط وكان ذلك سنة ٦٤٤

وبعد فتوح دمشق وبعلبك استناب الصالح ايوب على دمشق الأمير جمال الدين بن مطروح . ثم اتى الصالح ايوب الى دمشق واقام فيها بضعة اشهر وعاد الى مصر . وسنة ٦٤٦ اخذ صاحب حلب حمص فأتى الصالح ايوب الى دمشق لاسترجاع حمص على انه وهو في الطريق اصابه مرض الزمة البناء بدمشق وارسل عسكراً لاسترجاع حمص وما لبث الا وسمع ان الصليبيين يحاصرون دمياط فتصالح مع صاحب حلب ورجع الى مصر ومرضه يشتد عليه وقد عزل نائبه على دمشق واستناب عوضاً عنه جمال الدين بن يغمور . وفي شعبان ٦٤٧ توفي الصالح ايوب بمصر بعد ان ملك عليها تسع سنين وثمانية اشهر وقد اقام بها ابنة كثيرة في محلات عديدة . ثم نودي باسم ابنه الملك المعظم توران شاه وكان يحصن كيفاً فلما علم بتوليته مكان ابيه سار نحو مصر ووصل

الى دمشق في شهر رمضان وعيد بها ثم رحل عنها الى مصر فبلغها في ذي القعدة
واقام بالامر وكانت عساكر الصليبيين تضايق البلاد المصرية ويدهم دمياط
وغيرها فانتشب الحرب بينه وبينهم واستظهر عليهم في محرم سنة ٦٤٨ واسر ملكهم
القدس لويس الفرنسي . وفي ذلك الشهر عينه قتل الملك المعظم توران شاه
بيد بعض امراء ايو الذين عزلهم عن مناصبهم وكان اول من رفع السلاح عليه
بيبرس وهو الذي صار ملكا فيها بعد كما سيأتي واقاموا بعده شجرة الدر زوجة
ابيه الملك الصالح ايوب وخطبوا لها على المنابر وضربت السكة باسمها وكانت
نقش سكتها (المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل)
وكانت قد ولدت للملك الصالح ولدًا سي بخليل ومات صغيرا وارسل المصريون
الى دمشق ليوافقوهم على مبايعة شجرة الدر فلم يجيبوا بل كاتب امراء القهيرية
الذين بدمشق الملك الناصر يوسف صاحب حلب (وهو من سلالة صلاح
الدين الايوبي) فسار اليهم ودخل دمشق يوم السبت في ٨ ربيع الآخر وملكها
وعزل جمال الدين بن يغمر ورفع منزلة امراء القهيرية وكرمهم . ثم ان الامراء
بمصر عزلوا شجرة الدر ولوا عز الدين ايبك الطلافي عوضا عنها ولقبوه بالملك
المعز . ثم تغير رأي الامراء وقالوا لا بد من اقامة شخص من بني ايوب فاعتمدوا
على صاحب اليمن وهو الملك الاشرف موسى بن يوسف المعروف باقسي بن
الملك الكامل بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب فولوه في ٥ جمادى الاولى
وفي شهر رمضان جهز الملك الناصر يوسف جنودا وانضم اليه بعض
ملوك عائلته لمحاربة الملك الاشرف في مصر واجتمعوا في دمشق . وفي نصف
رمضان ساروا منها فالتقوا بعساكر مصر عند العباسية فانكسر المصريون فتبعهم
الدمشقيون الى مصر فتفوق المصريون هناك وتغلبوا بفوز مجيد اضعفوا به قوة
اعدائهم واستولوا على غزة . وسنة ٦٥١ وقع الصلح بين المصريين والدمشقيين على
ان يكون للمصريين لحد نهر الاردن وما وراءه للملك الناصر ثم انتقض العهد .
وسنة ٦٥٢ صار عهد جديد بان تكون بلاد الشام لحد العريش تابعة لصاحب

دمشق وما وراءها جنوباً للعزايك الذي كان على مصر وهكذا انصرف
المشكل بين الدمشقيين والمصريين

وفي ٢٦ جمادى سنة ٦٥٦ توفي الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى
بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب بظاهر دمشق بقرية البويضة شرقي المدينة
وعمره ٥٢ سنة وكان قد ملك دمشق مدة كما تقدم فخرج الملك الناصر من
المدينة الى البويضة ونقل جسده باحنفال ودفنه بالصالحية في تربة والد المعظم
وكان الناصر داود عالماً بارعاً في النظم والنثر ومن محاسن شعره قوله

عيون من السمير المبين تبين لها عند تحريك القلوب سكون
تصول ببض وهي سود فرندها ذبول فتور والجفون جفون
اذا ما رأت قلباً خلياً من الهوى نقول له كن مغرمًا فيكون

وقد احتمل في مدة حياته مشقات وعذابات كثيرة يطول شرحها. وفي هذه
السنة استولى التتر على بغداد فانقرضت دولة العباسيين وقتل آخر خلفائهم
المستنصر بالله وكانت مدة دولتهم ٥٢٤ سنة وعدد خلفائهم ٢٧ خليفة. وقد
حدث في دمشق وبلاذ الشام وباء عظيم وطال امره قال ابو الفداء واشتد
الوباء بالشام وخصوصاً في دمشق حتى لم يوجد فيها مغتسل الموتى. وكان
امر التتر يتقوى فحسب لهم الملك الناصر حساباً اذ رأى ضعفه لدى قوتهم
فارسل زين الدين محمد الحافظي من اهالي قرية عقربا القريبة من دمشق
بهدايا وتحف الى هولاكو ملك التتر وجامله

ثم ان البحرية المصريين كسروا عسكر الملك الناصر عند غزة والتجأوا الى الملك
المغيث صاحب الكرك فركب عليهم الناصر سنة ٦٥٧ ونزل على بلاد الكرك
فاناه من يستشفع بالمغيث فقال بشرط ان يسلمني البحرية الذين عندك فقبل
المغيث وسلم القوم غير ان بعضهم ومن جملتهم بيبرس فرأوا هارين الى الناصر
فامتهم وهكذا وجد الصلح بين الناصر والمغيث ورجع الناصر الى دمشق ظافراً
وعند عودته بلغه ان التتر وصلوا الى حلب وشنعوا بها

فرحل يحنوده نحو مصر ونزل بنا بلس اياماً ثم خلف بها جيشاً وسار الى مصر فاتى التتر وملكوا بلاد الشام الى غزة على انهم لما اتوا دمشق سلمهم اهلها المدينة بالامان فلم يلحقوا بها ضرراً ووضعوا على قضائها محيي الدين الذي اما القامة فامتعت عليهم فحاصروها ونصبوا عليها المجانيق وفي شهر جمادى الاولى تسلموها بالامان واعتقلوا محافظها ونهبوا ما بها واخربوا اسوارها. وفي ٥ شعبان سنة ٦٥٨ اخرج التتر من الاعتقال نقيب قلعة دمشق وواليها وضربوا عنقهما بداريا وشاع بين اهلها في دمشق خروج عساكر مصر لمقاتلة التتر فسرول بهذا الخبر. وفي ٢٧ رمضان هذه السنة وقعوا بالنصارى ونهبوهم لدقهم الناقوس واخربوا الكنيسة المريمية العظيمة فكانت ايام شدة وويل على المسيحيين. وفي اواخر شهر رمضان تجهزت العساكر المصرية للحاربة التتر وساروا فوقع القتال في الغور فانكسر التتر شر كسرة ووقع بهم السيف ففني معظمهم وسار الملك المظفر حتى دخل دمشق ففرح به المسلمون وانشرحت خواطرهم لخلاصهم من شر التتر. وفي حال دخول المظفر دمشق امر بشنق من انتهى الى التتر فشنقوا واخذ في تقرير احوال الشام وانا ط بنيا بة دمشق الامير علم الدين سنجر الحلي وبعد ذلك سار قاصداً مصر. وكان بيبرس بالاتحاد مع قوم قد دبر على قتل الملك المظفر واخذ يتوقع الفرص فتمكن زعماء بيبرس من قتل المظفر فقتلوه بنواحي غزة في ١٧ ذي القعدة وكانت مدة ملكه ١١ شهراً و١٢ يوماً وحلف لبيبرس في اليوم الذي قتل فيه المظفر وتلقب بالملك القاهرة ركن الدين بيبرس الصالح فقبل له ان القاهرة لقب غير مبارك فلقب ذاته بالظاهر وفي هذه السنة شرع نائب السلطنة بدمشق الامير علم الدين في عمارة القلعة وجمع لها الصناع وكبراء الدولة والناس وعملوا بها حتى النساء ولما بلغ الامير علم الدين ما اصاب الملك المظفر دعا اهل دمشق اليه وحملهم على مبايعته فبايعوه ولقب نفسه بالملك المجاهد وخطب له بالسلطنة وضربت السكة باسمه

ومن راجع هذا التاريخ يرى بان حوادث كثيرة عظيمة متتابعة قد طرأت على دمشق وغيرها في مدة ولاية الملك الناصر يوسف الذي ملك دمشق منذ سنة ٦٤٨ لان في مدة ملكه خرجت مصر من الدولة الايوبية وقامت فيها دولة المماليك وسقطت بغداد والدولة العباسية وفعل الوباء فعلاً ذريعاً في سوريا وخصوصاً في دمشق وفتح التتر البلاد واعدموا معظم اهلها وقتل النصارى في دمشق ودمرت معايدهم وخرجت دمشق من ايدي الايوبيين هذا فضلاً عما قتل من الملوك وقد اغار التتر على سوريا ثانية وانكسروا امام حمص الى غير ذلك

وسنة ٦٥٩ سار الملك المنصور واخوه الملك الافضل صاحب حمص الى دمشق ونزلا بدورها وصاحبها قد وهن امنه فلم يد خلا بطاعته كانا منازعين له وفي ١٢ صفر امت جنود الملك الظاهر بيبرس لمحاربة دمشق فخرج اليهم صاحبها والمنصور والافضل لم يخرجوا معه فانتشب القتال فانهمزم صاحب دمشق الملقب بالملك المجاهد ودخل القلعة ولما جن به الليل هرب الى جهة بعليك فتيبة خيالة الظاهر وقبضوا عليه وساقوه اسيراً فدخلت دمشق بملك الظاهر بيبرس واقيمت له الخطبة بها وبغيرها كحمص وحماه وحلب وهكذا انتهت دولة الايوبيين بدمشق وصارت الشام ومصر لدولة المماليك واستقر ابدكين البندقداري الصالح بدمشق لتدبير امورها وعاد المنصور الى حماه والاشرف الى حمص واستقرا بها

وبوم انكسر التتر كان الملك الناصر يوسف واخوه الظاهر وغيرها من الملوك الايوبيين عند هولاكو ملك التتر فقتلهم انتقاماً وورد خبر ذلك الى دمشق فحزن الناس واقاموا العزاء في الجامع الاموي اما الملك الناصر يوسف فهو من نسل صلاح الدين كما تقدم وملك اولاً بحلب ثم امتد ملكه كثيراً وصارت له سوريا الى غرة وكان شاعراً شجاعاً كريماً كثير الحلم ولحمه تمرد بعض مماليكه ففقدت امنية الطرقات في آخر مدته لانه لم يرد ان يقتل مذنباً حيث كان يقول الحي افضل من الميت . وبني في دمشق المدرسة الناصرية قرب الجامع ووقف لها وبني تربة بالصاحبة وكان موته ببلاذ العجم وعمره ٣٢ سنة

فصل

في تاريخ دمشق مدة خضوعها للمصريين وفتح تيمور لها الى استيلاء العثمانيين عليها
ذكرنا سقوط الدولة الايوبية في مصر ودمشق وان بيبرس استولى على
الامر واخضع دمشق وبعد وقت قصير من استيلائه عليها اتي برجل الى
مصر وادعي بانه من نسل الخلفاء العباسيين فعضد بيبرس وجهزه وسارا معاً
الى دمشق فنزل بيبرس في القلعة ونزل الخليفة على جبل الصالحية وبعد بضعة
ايام من نزولها سار الخليفة الى بغداد للاستيلاء عليها فصادفه التتر وقتلوه ونهبوا
ما معه وفرقوا جماعة واما الظاهر بيبرس فبقي في دمشق وعزل قاضيها وولي
القضاء لشمس الدين بن خلكان وسار الى مصر وكان نائب دمشق علاء الدين
طبرس فظلم بالرعية فارسل الظاهر بيبرس وقبض عليه واستناب عوضاً عنه
الامير جمال الدين النجيب الصالح

وسنة ٦٦١ الى الظاهر بيبرس بلاد الشام وقتل المغيث صاحب الكرك
واستولى على بلاده ثم خرب كنيسة الناصب وكانت من اعظم كنائس النصارى
بفلسطين واغار على عكا وغيرها وغنم الغنائم وافل راجعاً الى مصر . وسنة ٦٦٣
اتي لمحاربة الافرنج في سوريا وفلسطين ففتح قيسرية وارسوف وغيرها من المدن .
وسنة ٦٦٤ فتح صفد ودخل دمشق وجمع جيشاً عظيماً وارسله الى بلاد الارمن
فوصل العسكر الى سيس في ذي القعدة وبعد حصار طويل فتحوها عنوة وغنموا
مغنة عظيمة . ومن سنة ٦٦٦ الى ٦٦٨ كان الظاهر مشغولاً في الفتوحات
والاسفار ففتح يافا وانطاكية وغيرها من مدن الافرنج واخذ يضاف من الاسماعيليه
واتى دمشق مراراً . وسنة ٦٦٩ الى من مصر ونازل حصن الاكراد وفتحته
ثم فتح عكا فهناه محيي الدين بن عيد الظاهر بفتحها بقوله

يا مليك الارض بشرا ك فقد نلت الاراده

ان عكا لعربي هي عكا وزياده

ثم اخذ قلعة العليقة وبلادها من الاسماعيليه واتى دمشق وما لبث بها اياماً

الأورحل ونازل حصن القرين (قلعة عظيمة في بلاد عكا لها مسالك واحد خرج
 وآثارها الباقية الى عصرنا تشهد بما كان لها من العظمة والمتانة في الايام الماضية
 وقد زرتها في اوائل شهر تموز سنة ١٨٧٢ م) وتسلمته وهدمته ورحل الى مصر.
 سنة ٦٧٠ اتى الى دمشق وعزل نائبها جمال الدين وولى عوضاً عنه في مسهل
 ربيع الأول علاء الدين ايدكين الفخري . ثم سار الى حمص وحصن الاكراد
 ورجع الى دمشق فاغارت التتر على عينتاب وغيرها فاستدعى عسكرياً من مصر
 وسار بهم الى حلب ثم رجع الى مصر فدخلها في ٢٢ جادى الاولى ثم خرج منها
 في شوال الى بلاد الشام واتى دمشق بعساكره في شهر صفر سنة ٦٧١ وكانت
 قد قويت اخبار التتر فلقى الاهل والناس من الجهات الى دمشق ملتجئين
 وكان في جلستهم علي والد اسمعيل المعروف بابي الفداء المورخ الشهير (ابو الفداء
 هو ابن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب ولد هذه السنة في دمشق
 في دار ابن الرنجلي) ثم رحل الملك الظاهر عن دمشق لمحاربة التتر والافرنج
 وبعد ذلك عاد اليها ورحل عنها . وفي محرم سنة ٦٧٥ عاد اليها بعسكر متوافر
 وخرج لمحاربة بلاد الروم في ٥ رمضان وهي بيد التتر وعاد الى دمشق في ٥
 محرم سنة ٦٧٦ وفي ٢٧ منه توفي في دمشق فحنط ووضع في القلعة الى ان انتهت
 تربيعة المبنية بالقرب من الجامع (وهي معروفة الآن وبها مكتب رشدية) فنقل
 اليها وكانت منذ ملكه ١٧ سنة وشهرين وكان ينقش على سكتته بيبرس الصالح
 وفي اوائل شهر ربيع الأول سنة ٦٧٦ اقيم بعد الظاهر بيبرس ابنه الملك
 السعيد علي على مملكة مصر والشام سنة ٦٧٧ اتى دمشق وجرد العسكر منها
 صحبة سيف الدين فلادون الصالح وجرد ايضاً صاحب حماه فساروا ودخلوا
 الى بلاد سويس وشنوا الغارة عليها وغنموا وعادوا الى جهات دمشق فانفقوا على
 مخالفة الملك السعيد وخاعه من الملكة لسوء تصرفه وتدبيره وعبروا على دمشق
 ولم يدخلوها فارسل الملك السعيد وهو في دمشق واستعطفهم فلم ياتفتوا واتوا
 السير فركب الملك السعيد وساق فسبقهم الى مصر وصعد الى قلعة الجبل فحاصره

المخارجون عن طاعته فاخذت عساكره بالافتراق عنه والانضمام الى اعدائه
فرأى ضعفه وسلم بالتخلعه بشرط ان يُعطى الكرك فاجابوه الى ذلك فخرج في
ربيع الأول سنة ٦٧٨ فارسلوه من وقتو الى الكرك واجلسوا اخاه شلامس
عوضاً عنه وعمره سبع سنين وخطبوا له على المنابر وضربت السكة باسمه وصار
امير جيوشه الامير سيف الدين قلاطون فهذا الامير وجه بالامير شمس الدين
سنقر الاشقر الى دمشق وجعله نائب السلطنة بالشام

وفي ٢٢ رجب سنة ٦٧٨ خلع الصبي (شلامس) عن كرسي السلطنة بمصر
وجلس عوضاً عنه امير جيوشه وسَيِّ السلطان الملك المنصور قلاطون الصالح
فاقام العدل واحسن السياسة ودبر المملكة احسن تدبير
ثم ان الملك السعيد المخلوع الذي تولى الكرك مات بها فنقل جسده
ودفن في دمشق بتربة ابيه

ولما جلس قلاطون طمع نائب السلطنة سنقر في المملكة وعمل على التسلط
عليها ففي ٢٤ ذي القعدة حلف له الامراء والعسكر الذين عنده وتلقب بالملك
الكامل شمس الدين سنقر فعلم قلاطون فجهز عسكر مصر وارسله مع علم الدين
سنجر وغيره من القواد فاتوا دمشق فخرج اليهم سلطانها الجديد وانكسر امامهم
فدخلوا المدينة وسلطانها قد هرب وسار وانضم الى التتر وتقدم معهم الى نواحي
حلب. وفي ٢٠ صفر سنة ٦٧٩ عين الامير لاجين نائباً للسلطنة في دمشق والشام
وسنة ٦٨٠ اتى السلطان قلاطون دمشق وقتل جماعة من الظاهرية كان

قد قبض عليهم في ييسان وجرى هذا بينما كان جيش التتر يتقدم نحو دمشق
فالتزم السلطان ان صالح سنقر وصاحب الكرك وسار عن دمشق فاجتمع اليه
العسكر والامراء من كل جانب وجرت مواقع عظيمة مع التتر انكسر بها السلطان
اولاً ثم فاز بنصر مجيد وبدد جيش التتر تبديداً وكتب بنصره الى جميع الاطراف
فكان فرح وزينة عمومية

وفي شعبان سنة ٦٨٢ صار بدمشق سيل عظيم اخذ ما مر به من العمارات

وغيرها واقنع الاشجار واهلك من الخلق والخيول والجمال والمواشي شيئاً لا يحصى وقد جرى كل ذلك والسلطان في دمشق . وسنة ٦٨٢ سار السلطان وفتح حصن مرقب وذهب الى مصر . وسنة ٦٨٨ فتح مدينة طرابلس بعد ان لبثت بايدي الصليبيين ٨٥ اسنة ثم جهز عسكراً لفتح عكا فادركته المنية فأت في ٦ ذي القعدة هذه السنة وله في دمشق مآثر كثيرة

ووقت موت السلطان قلاوون جلس على سريره ابنه الملك الاشرف صلاح الدين خليل وسار بجند سنة ٦٩٠ وحصر عكا ووضع عليها المجانيق الكبيرة والصغيرة وفتحها في ١٧ جمادى الآخرة فخاف الافرنج واخلوا صيدا وبيروت وصور وعكا واطرطوس فاستلمها السلطان ولعبت بها ايدي الخراب . وكان هذا الفتح من الموفقات الغربية وبوأنتهى الافرنج من سوريا وفلسطين ورجعت البلاد للمسلمين وانقضت الحملات الصليبية وارتاحت اوربا واسيا من تلك الحروب الدموية التي دامت ٢٠٠ سنة . وبعد هذا الفتح الى الملك الاشرف دمشق واقام بها مدة وعاد الى مصر بعد ان خلع نائبة بدمشق واقام مكانه علم الدين سنبل الشجاع

وفي اوائل سنة ٦٩١ الى الملك الاشرف دمشق وذهب منها ونازل قلعة الروم الكائنة على الفرات وفتحها في ١١ رجب وافل راجعاً الى دمشق وصام بها رمضان وعزل نائبة فيها واستناب عوضاً عنه عز الدين ايبك الحوي ورجع الى مصر

وسنة ٦٩٢ تأمر مالميك السلطان قلاوون وقتلوا الملك الاشرف صلاح الدين خليل وجلس بعده واحد من القتل اسمهُ بيدرا فقتلوه بعد جلوسه بساعات وجلس بعده السلطان الاعظم الملك الناصر وهو ابن المقتول وكان جلوسه في اخر شهر محرم . وفي محرم سنة ٦٩٤ خلع السلطان الاعظم فجلس مكانه الامير زين الدين كتبغا المنصوري ولقب نفسه الملك العادل زين الدين كتبغا فخطب له في مصر والشام وضربت السكة باسمه . وبعد جلوسه الى دمشق وطاف

حواليها في اعمالها ثم رجع اليها وعزل نائبيها عز الدين واستناب عوضاً عنه
مملوكه سيف الدين غرلو . وفي محرم سنة ٦٩٦ سار السلطان بعساكره الى
مصر فلقية في الطريق لاجين نائبة في مصر وقصد خلعة فهرب وعاد الى دمشق
فالتقاء نائبيها بالاكراهم ودخل القلعة واهتم بجمع العساكر والتأهب لحرب لاجين
فلم يوافق عسكر دمشق على قصده فخلع نفسه واقام في القلعة وارسل يعلم لاجين
بذلك ويطلب منه الامان ومحملاً ياوي اليه فاعطاه لاجين صرخة فذهب اليها
فجلس لاجين على سرير السلطنة ولقب بالملك المنصور حسام الدين لاجين
المنصوري وسار الى مصر وعند وصوله اليها عزل نائب السلطنة بدمشق وارسل
عوضاً عنه سيف الدين تقي المنصوري

وفي ١١ ربيع الآخر سنة ٦٩٨ قام ممالك الملك المنصور حسام الدين
وقتلوه وكانت مدة ملكه سنتان وثلاثة اشهر واتفق كبار الدولة بعده على ترجيع
الملك الناصر المخلوع فاتوا به وارجعوا له الملك واستقر له الحال

وسنة ٦٩٩ سارقازان بن ارغون التتاري بمجموع عظيمة من المغل والكرج
والمنزقة وغيرهم وعبر الفرات ووصل بمجموعه الى حلب ثم الى حماه ثم سار وتزل
على وادي مجمع المروج فانفتحت العساكر الاسلامية مع السلطان وتزلوا بظاهر
حصص ثم ساروا الى جهة الاعلاء فاشتبهت المقاتلات مراراً وفي النهاية انكسر
المسلمون وانهمزمو وتمت بهم الهزيمة الى مصر فتبعهم التتار واستولوا على دمشق
وساقوا باثر المسلمين الى القدس وغزة وبلاد الكرك

وسنة ٧٠٠ رجع التتار يغزون بلاد الشام وتزلوا نواحي حلب فأتى السلطان
الى حماه واتت اليه العساكر في جيشها جيش جرار من دمشق فمطلت امطار
غزيرة غير معهودة فالتزم السلطان ان يرجع ويصرف عساكره وكذلك التتار
افلوا راجعين ولما عاد السلطان الى مصر اصدر امراً سلطانياً بان يتعمم اليهود
بعائم صفراء والنصارى بعائم سوداء والسامقة بعائم حمراء فأجري امره
وسنة ٧٠٢ حمل جمع من التتار على بلاد الشام واتوا وتزلوا على القرنيين

فخرجت اليهم الجنود وهزمهم ثم عادوا ايضا بمجوش جرارة تحت قيادة قطوش شاه نائب قزان فنزلوا على حماه وكانت العساكر الاسلامية مجموعة عند دمشق فسارت نواحي مرج الصفر فتقدم التتر وعبروا دمشق وتبعوا عساكر المسلمين الى مرج الصفر فصادف وصول السلطان من مصر بعساكر جرارة فالتقى العسكران وتسعرت نيران الحرب فانكسر التتر وقتل منهم عدد غفير وانهزم من بقي فتبعهم عسكر المسلمين الى الفرات واهلكوهم

وسنة ٧٠٨ ذهب السلطان الى الكرك فخلعه الجانشكير وتولى عوضا عنه في ٢٢ شوال ووافق الجانشكير امراء مصر والشام وأقرب بالملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصوري وما لبث الا وابتعد عنه عسكر دمشق ووجهوا للسلطان الاسبق يعترفون به وكان بالكرك فأتى دمشق ودخلها يوم الثلاثاء ثالث شعبان سنة ٧٠٩ فأنه عمال الجهات بعساكرهم وقدموا اليه طاعتهم فسار بعسكره نحو مصر ولما وصل الى غزة ارسل الجانشكير عسكرا لمحاربته ولما وصل عسكر مصر الى غزة مال الى السلطان وفضله على الجانشكير

ولما علم الجانشكير خيانة عسكره له خلع نفسه وأرسل يطلب الامان من السلطان فامنه واعطاه صهيون ومئة مملوك وسار الى مصر واستولى على عرش المملكة في غرة شوال سنة ٧٠٩

ثم ان التتر رجعوا الى محاربة سوريا فنظموا الفرات ونزلوا بالرحبة فأتى السلطان دمشق في ٢٢ شوال سنة ٧١٢ ورتب امور العسكر وسار الى الحج وفي ١١ محرم سنة ٧١٢ رجع من حججه الى دمشق واقام بها مدة وعاد الى مصر. وفي نحو سنة ٧١٩ استناب عنه بدمشق سيف الدين تنكز

وكان تنكز محبا للاصلاح والابنية فعمر باب توها ووسع طرقات المدينة وحسنها واقام ابنية كثيرة عمومية وخصوصية في دمشق والقدس ووقف عليها الاوقاف لتبقى عامرة وقد طالمت مدة نيابته وفي ايامه صارت جريفة في دمشق واتسعت دائرتها وذهبت فيها الاموال والنفوس وتدمر بها جانب من المدينة

ثم تكررت فاتهم النصارى بها فوقعوا تحت العذاب وغرموا بالالف الف درهم
وصلب منهم ١١ رجلاً واسلم كثيرون تخلصاً من البلاء والعذاب
وكان نفوذ تنكر عند السلطان عظيماً والسلطان يعزه ويكرمه ظاهراً
وبغيضةً ويحب الايقاع به باطناً فاكتشف تنكر على بعض ما أكنه له السلطان
فاستوحش منه وقصد مخالفة التتر ضده فبلغ السلطان هذا الامر فارسل سرّاً
في ذي القعدة سنة ٧٤١ وامر عامله في صفد ان يذهب سرّاً الى دمشق بدون
معرفة تنكر ويقبض عليه فأتى نائب صفد وفعل كما أمر وقبض على تنكر وساقه
الى مصر. وكان تنكر عظيم السطوة شديد الغضب قتل خلفاً كثيراً ووقف
الاقواف الكلية. وقد غضب يوماً على الكلاب في دمشق فقتل كثيراً منها
وفرّق بين ذكورها واناثها ليقطع نسلها وكان يكره صوت الضفادع فاخرجوها
من الانهر والآجام فقال بعضهم فيه يوم أخذ اسيراً

تنكر تنكر بدمشق تيمهاً وذلك قد يدل على الذهاب

وقالوا للضفادع الف بشرى بيمتو فقلت وللكلاب

وتولى نيابة السلطنة بعده في دمشق الطنبغاه الحاجب الصالحى وفي هذه
السنة اي ٧٤١ توفي في مصر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى
وعمره سبعون سنة وقد اتسع ملكه وخطب له في بغداد والعراق والموصل
وديار بكر والروم وضربت السكة هناك باسمه كما يضرب له بالشام ومصر وحج
مراراً كثيرة وكان عادلاً رحيماً ابطل مكوساً (ضرائب) كثيرة وكان الامن
والسلام سائدين في زمانه وبني من المعابد والجوامع شيئاً كثيراً وعهد بالملكة
ولده السلطان الملك المنصور واجلسه في حياته وكانت مدة سلطنة الناصر في
ولاياته الثلاث ٤٢ سنة وسبعة اشهر. وفي صفر سنة ٧٤٢ خلع السلطان
الملك المنصور واقيم اخوه الملك الاشرف وعمره ثمان سنين. ثم خلعوا الاشرف
واقاموا مكانه الناصر احمد سنة ٧٤٢ ثم خلعوا الناصر احمد واقاموا مكانه اخاه
الملك الصالح اسمعيل سنة ٧٤٣ وكان نائب دمشق وقتئذ ايد غمش فتوفي

واقیم مكانه الامیر طقزتمر

وفي ربيع الآخر سنة ٧٤٦ توفي الملك الصالح اسمعيل وجلس مكانه اخوه
السلطان الملك الكامل شعبان فعزل طقزتمر عن النيابة ووضع يلبغا الناصري
فاتفق يلبغا مع امراء مصر وخلصوا الكامل شعبان وولوا عوضاً عنه عمه
السلطان الملك المظفر امير حاج . وفي جمادى الاولى سنة ٧٤٨ قتل خاظر
السلطان على يلبغا فهرب من دمشق بامواله الكثيرة فوقع القبض عليه في
الطريق فات ودفن في قاقون . وفي جمادى الآخرة صار ارغون نائب حلب
نائباً على دمشق . وفي رمضان قتل السلطان الملك المظفر امير حاج واجلس
مكانه السلطان الملك الناصر حسن . وفي هذه السنة كان في دمشق غلاء
فاحش حتى بيعت غرارة المحنطة بثلاث مئة درهم . وتبعه في سنة ٧٤٩ وباء عظيم
اغتال الناس اغتيالاً

ودامت دمشق خاضعة لدولة الاتراك المماليك في مصر الى ان سقطت
وقامت الدولة المجرسية مكانها في مصر ايضاً واول الملوك المجرسة الملك
الظاهر برقوق وهو ابو سعيد برقوق بن انس بن عبد الله الجهاركي الاصل
جلس على كرسي السلطنة في ٩ ارمضان سنة ٧٨٤ فخضعت دمشق له كباقي الممالك
وفي ايام سلطنة الملك الناصر فرج كانت الحروب التيمورية منتشرة في
سوريا فان تيمور المغولي كان قد صار عظيماً وفتح مدناً وامصاراً واذاق الناس
اشد المصائب وسفاهم امر كاسات النوائب وكان يطبع في اخضاع جميع العالم .
وسنة ٨٠٢ زحف من عين ناب على حلب وفيها الجيوش الجرارة وفتحها
عنوة واخذ يتقدم في الفتوحات بسوريا . وفي اوائل ربيع اول سنة ٨٠٢ قصد
دمشق على انه عند حلوله يجلب فر من رجاله اسم احدها النيوغا الرودار
والثاني عيد القصار واتيا دمشق وحرضا اهلها على الرحيل منها خيفة بطش
ذلك الفانح الظلوم فمن الناس من قاومها وحاول رجها لادعائه بانها ينقطعان
قلوب الرعية ومنهم من سمع مشورتها وفر هارباً . ولما وصل الى مصر خبر ما حل

يجلب جهاز السلطان عساكره وسار بها نحو الشام فاطمأنت قلوب الناس وهرع
 بعض مهاجري دمشق الى اوطانهم وداوم السلطان السير حتى دخل دمشق
 في اوائل ربيع الاول فاخذ في تحصينها وتقوية اسوارها ووضع فيها المحراس
 ونظم امورها العسكرية اتم تنظيم ووضع جانباً من جيوشه الجحارة خارج اسوارها
 باكمل نظام ولبثت تلك العساكر منتظرة قدوم تيمور . وفي ١٠ ربيع الآخر وفد
 تيمور ببوشه الجحارة ونزل في داريا فاخذت المناوشات تجري بين العسكرين
 وبعد ذلك ارسل تيمور فرقة مؤلفة من عشرة آلاف مقاتل لمحاربة الجنود
 الاسلامية عند اسوار دمشق فانكسرت هذه الفرقة وقتل معظم رجالها فعلم
 تيمور ان لا قدرة له على فتح المدينة . بيد ان التزل فعمد الى استعمال الحيلة
 وارسل ابن اخيه الى السلطان الناصر بالمدينة فتظاهر هذا بالبغضاء لحال
 تيمور والانحياز الى المدافعين فصدقوه وقبلوه اما تيمور فتظاهر بالرحيل عن
 دمشق ونفهر عنها ففرح الدماشقة . ثم وقع الانشقاق بين عساكرهم وتفرق راي
 امراء الجند فالتزم السلطان ومن معه من الجنود ان يرحلوا عن دمشق فرحل
 السلطان نحو مصر ظاناً بان دمشق في امن فعلم تيمور بسفر السلطان فايقن
 بالنفوز السريع وعاد الى دمشق وضيق عليها فتشبث اهلها بالدفاع متكئين على
 الله وعلى فحجته من السلطان وبعد يومين خاب الامل فاجتمع الاعيان والعلماء
 والامراء وتشاوروا في امرهم فقرروا على تسليم المدينة لتيمور فاخبروا رهطاً
 منهم لاجل التسليم من جانبهم قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون المؤرخ الشهير
 فخرج الرهط وعرضوا تسليم المدينة على تيمور فقبل طلبهم . وامن المدينة واستلم
 مفاتيحها ودخل من الباب الصغير (باب الشاغور) واوصى عساكره بعدم
 اذى الاهالي ومضرتهم اما القلعة فكانت متمنعة عليه وفيها بعض الجند تحت
 قيادة قائدهم الباسل شهاب الدين احمد الزردكاش فبقي قبالتها ابراجاً اعلى
 منها واخذت عساكره تقتاع الحجارة من اسافلها فوهن عزم من بها فسلموها له في
 ٢١ رجب تحت شروط ودامت محاصرتها ٤٢ يوماً

ولما دخل تيمور المدينة اخذ يطالب اهلها باموالهم فجمعها ونكب الاهالي
نكبة عظيمة واخنا راشقياء القوم لجمع الاموال ثم امر بتعذيب امرائها اشد عذاب
واطلق العنان لجنده لينهبوا ويسلبوا ويفتكوا ويحرقوا فاذا قوا الاهالي من
الشدة ما لا يحتمل . قال صاحب عجائب المقدور في اخبار تيمور . وحين ملا تيمور
جرباب طبعه من نفائس الاموال ودنه واستندر خلفاءها شيئاً فشيئاً صافياً ورائقاً
حتى صفاها بطنه امر بتعذيب هؤلاء الامراء الكبار (قد ذكرهم قبل هذه الجملة)
فعذبوهم بالماء والملح وسقوهم الرماد والكلس وكوهم بالنار واستخرجوا جنى
الاموال منهم استخراج الزيت بالمعصار ثم اطلق عنان الاذن لعسكره بالنهب
العام والسبي الطام والفتك والقتل والاحراق والتقييد بالاسر على الاطلاق
فجهم اولئك الكفرة الفجرة على ذلك اشد الهجوم وانقضوا على الناس بالتعذيب
والثريب والتخريب انقضاخ النجوم واهتروا وربوا وفتكوا وسبوا وصالوا على
المسلمين واهل الذمم صولة الذئاب الضواري على ضواحي الغنم . وفعلوا ما لا يليق
فعلة ولا يحجل ذكره ونقله واسروا المخدرات وكشفوا غطاء المسترات واستنزلوا
شموس الخدور من افلاك القصور وبدور الجبال من سماء الدلال وعذبوا الكبار
والاصاغر بانواع العذاب وبدا للخلق ما لم يكن في حساب وصنفوا في استخراج
النفائس من النفوس باصناف العذاب مسائل يقضي منها العجب العجائب وفرقوا
بين الوالدة وولدها والروح وجسدها وذهلت كل مرضعة عما ارضعت وجازوا
كل نفس بما صنعت وبغير ما صنعت وفر المرء عن اخيه وامه وابيه وصاحبه وبنيه
وصار لكل يومئذ شان يغنيه وذل العزيز الكريم وهان الخطير الجسيم وطم البلاء
وعم القضاء وطاشت الحلوم وتبلدت الفهوم وتراكت غير الغيوم فاقسم بالله لقد
كانت تلك الايام علامة من علامات يوم القيام واسفرت تلك الساعة عن
اشراط الساعة واستمر هذا البلاء العام نحواً من ثلاثة ايام الى ان يقول

ثم انهم (يريد اصحاب تيمور) لما انهوا العيث والعبث وقضوا في حجب فسادهم
التفت واثموا بالفسق والجبدال والرفث ورموا في البيوت النار وفي القلوب

الجمرات وإفاضوا ما أراقوا من دماء المسلمين الواقعين في الأهصار ورمىوا في
 أشواط الأحراق فأرسلوا في حرم المدينة شوطاً من نار وكان فيهم من روافض
 الخراسانية فأطلقوا النار في جامع بني أمية فتشتتت النار بلهيبها وساعدتها الريح
 بهبوبها فتساقطت في معو الآثار ريجاً وناراً واستمر على ذلك باذن الله ليلاً ونهاراً
 فاحترق ما بقي من النفائس والنفوس وانجى بلسان النار ما سطر على لوح
 وجود المدينة من الدروس وامست تلك المغاني لا تسمع فيها لا غيبة ولا الهمس
 واصبحت حصيماً كأنها لم تغن بالامس وذلك بعد ان اظهروا من الاموال
 واوثقوا منه الاحمال الى ان قال . وبعد ان امست النار تلعب بانحاء المدينة
 وتهلك ابنياتها الحسنة الجميلة سار تيمور عنده يوم السبت الواقع في ٢ شعبان سنة
 ٨٠٢ قاصداً الجهة الشمالية التي منها وفد وقد اجلا معه بعض الاعيان واصحاب
 الفضل واهل الصنائع وكل ما هرب من كالنساجين والخياطين والذين يصنعون
 السيوف البواتر من اشتهرت بهم دمشق . اه . ومنذ اجلا تيمور عملة السيوف
 خسرت دمشق هذه الصناعة التي اشتهرت بها ولم ترجع اليها ولولا اضطرار
 الاهلين للمنسوجات ما رجعت صنعتها للمدينة ايضاً

ومصيبة دمشق هذه هي اعظم المصائب التي دهمتها منذ وجدت بين المدن
 فان اموالها فقدت بالكلية وعمرانها اضحى خراباً وسكانها لعب بهم السيف والنار
 والسبي والتشتيت ولم يبق منهم الا بقية قليلة وهي التي سمعت المندرين المار ذكرها
 وهاجرت ربوع دمشق ومن حفظه الله من تلك البلايا والشدائد بعد ان قاسى
 من العذاب اشكاً ومن الويل امره

وفي اوائل سنة ٨٠٤ نزع تيمور عن سوريا بالكلية فاخذت تلك البقايا
 المتفرقة ترجع الى وطنها وتقيم ما تقدر عليه من الابنية وتوارد الناس الى دمشق
 من كل جانب فعمر بعض خرابها ورمم ما تهدم من اسوارها وما لبثت الا
 ورجعت مدينة تذكر بين المدن واكثر من اتي وسكنها اقوام من حماه . وقد
 رجعت اليها بعض صنائعها على انه لفقدان فطاحل العمال بكل فن وصناعة

كانت مصنوعاتهم دون ما كانت عليه كما ان المدينة قد تاخرت في الحالة
والعمران عما كانت عليه قبل افعال تيمور بها ولكن لحسن موقعها التجاري
وخصب اراضيها وكثرة مياهها ونوارد الحجاج اليها من جميع الاقطار كل سنة
ذهابا وايابا اخذ عمرانها يتقدم شيئا فشيئا ولم يمض عليها من الزمان مئة الا
رجعت مدينة من اعظم مدن سوريا بعد حلب وبقيت تحت سلطة دولة المماليك
الجراكسة يتناوبها نوابهم الى ايام قانصوه الغوري الذي قتل سنة ٩٢١ وملك
بعده ابنه الملك الصالح تومان باي وقتل بعد تملكه بثلاثة اشهر وبه انتهت دولتنا
الأتراك والجراكسة المماليك في سوريا وعدد من وطى عرش الملكة من الدولتين
٤٦ ملكا وخضعت البلاد بعدهم للسلطان سليم العثماني

فصل

في تاريخ استيلاء العثمانيين على دمشق الى وقتنا الحاضر

ان السلطان سليم بعد ان تغلب على قانصوه سلطان مصر في مرج دابق
جاء حلب واستولى عليها وصلى بجامعها الكبير فاعطاه الخطيب لقب خادم
الحرمين الشريفين الذي كان يختص بملوك مصر فخلع السلطان عليه حلته
وكانت تساوي خمسين الف درهم . ومكث السلطان بحلب مدة وسار الى حماه
وسلم ادارتها الى كوزلجي باشا وجعل حمص سنجقا ثم استولى على دمشق ونصب
فيها العلم السلطاني واقام بها اربعة اشهر فحضر اليه امراء العرب واصحاب
مقاطعات سوريا ووجه جبل لبنان فاكرمهم وفي مدة اقامته في دمشق كان
يكثر التردد الى الجامع الاموي

وسنة ١٥١٦ م رجع السلطان سليم الى الشام بعد ان مهد الاقطار المصرية
والشامية فمضى عليه الامير ناصر الدين بن الحنش صاحب صيدا والبقاعين
فسأله الامر وارسل يفحص عنه واذ لم يجد الا القبيض على بعض الامراء المعنيين
واخذهم معه الى الاستانة ثم ارسل اليه راس ابن الحنش فخلى سبيلهم

وسنة ١٥٨٤ م نهبت خزينة السلطان مراد في جون عكار فلما مر ابراهيم باشا والي مصر ان يتوجه بعساكره لمقاومة آل سيفنا وغيرهم من امراء لبنان فخرجت الجنود من دمشق لنجدته وبرز الجميع في مرج عرجوش فهاجم الامراء وفروا ثم سار الى عين صوفر فانه عقال الدروز بالتقدم فقبلها وصرف العساكر الدمشقية فعمدت الى وطنها غائبة. وسنة ١٦٠٠ سار جيش من دمشق واستولى على حلب فذهب نصوح باشا والي حلب واستنجد بحسين باشا والي كلس وتعاضدا معا واخرجوا العساكر الدمشقية من حلب واقعا بهم

وسنة ١٦٠٦ م جمع احمد باشا المحافظ والي دمشق جنوده وسار بهم لمحاربة الامير يونس الحرفوش والامير احمد الشهابي فاستنجدوا بالامير فخر الدين المعني فانجدها ولما عرف بذلك احمد باشا يئس من الفوز وقل راجعا الى دمشق وسنة ١٦٠٧ م كتب يوسف باشا سيفنا الى السلطان احمد ان يجعله سر عساكر الشام متعهدا ان يتهرب علي باشا جان بولاد الذي كان يتعب الدولة فلباه السلطان الى ما طلب فاخذ يوسف باشا يجمع العساكر الى حماه وخرجت عساكر دمشق لمعونتة فاني علي باشا وحارب يوسف باشا ففر يوسف باشا من وجهه الى طرابلس وارسل حرمته الى دمشق وتشتت شمل عساكره. ثم بارح يوسف باشا طرابلس واتى دمشق واخذ يبيش الجيوش في وادي بردى فجمع ١٠ آلاف مقاتل واما علي باشا فاتحد مع الامير فخر الدين المعني وسارا للحرب فاجتمعا بجيش يوسف باشا في عراد نواحي حماه. اما علي باشا فاستمال بعضا من قواد عساكر الشام فاتوا اليه فانكسر العسكر الدمشقي ونهقر فتيبة علي باشا الى قرية المنق فحافوا الي دمشق وقلوا ابواب المدينة فدفع يوسف باشا لقاضي دمشق مئة الف غرش فداه عن المدينة وفر منهزما الى عكار فحرق علي باشا من هرب عدوه وامر جنوده فاخذوا ينهبون خارج المدينة فخرج اعيان دمشق واستعطفوا خاطر علي باشا واعلموه بالمبلغ الموضوع له عند القاضي ودفعوه له معه خمسة وعشرين الف غرش جمعوها منهم فكف قومه عن النهب

وسار بهم الى البقاع

وسنة ١٦١٢ ذهب احمد باشا المحافظ من دمشق الى حلب واعرض الى واليهابها يصاد الامير فخر الدين المعني موعاد الى دمشق في سنة ١٦١٢ واخذ يحرك الفتن في بعض جهات لبنان وقصد محاربة الامير علي الشهابي فاستنجد الامير بالامير فخر الدين فافجئ ولما علم الوزير بذلك اصطحب مع خصمه ورجع بجيوشه الى دمشق . ثم انقذت نيران العدوان بين المحافظ والامير فخر الدين المعني فانهى احمد باشا المحافظ الى الباب العالي بان الامير فخر الدين تغلب على بلاد حوران وعجلون وغيرها وحاصر دمشق فغضب السلطان سليم فارسل من قوره اربعة عشر باشا مع خمسين الف مقاتل لاهلاك المعنيين وامر ان تكون هذه الجنود تحت قيادة احمد باشا المحافظ ولما بلغت الجنود محل ماموريتها استدعى المحافظ الامير يونس الحرفوش واستأله اليه وسار بجيوشه من دمشق للقتال فاخذت تجري المواقع الحربية بين الامير وعسكر الدولة في محلات كثيرة وكان اشد الحرب عند قلعة الصبيبة وقلعة شقيف ارنون ولما اوشك الامير ان يسقط فر من صيدا الى اوروبا وولج ادارة المحاربة باعوانه وبعض اقاربه فظلمت رحي الحرب دائرة وتغلبت جنود الدولة على محلات كثيرة واحرق دبر القهر وغيرها من قرى لبنان . وسنة ١٦١٤ ضعف المعنيون واطاعوا فرجع المحافظ الى دمشق وما لبث بها مدة قصيرة الا وعزل عنها وعين عوضا عنه جركس باشا . وسنة ١٦١٥ دخل جركس باشا دمشق باحتفال وقدم له المعنيون طاعتهم ثم سار بامر الدولة من دمشق لمحاربة شاه العجم وبعد مدة عاد اليها سالما . وسنة ١٦١٦ امر بخراب قلعة شقيف ارنون فدكت الى الارض ولم تزل خرابا الى يومنا هذا . وسنة ١٦١٧ عزل محمد باشا الجركسي وولي عوضا عنه احمد باشا ثم عزل وولي عوضا عنه مصطفى باشا . وسنة ١٦١٩ عزل وولي عوضا عنه سليمان باشا . وسنة ١٦٢١ عزل وولي عوضا عنه مرتضي باشا وبعد توليته بوقت قصير عزل وولي مكانه مصطفى باشا . وسنة ١٦٢٢

كان رجل من اعيان دمشق اسمه كرد حمزة فاوشى الى مصطفى باشا بالامير
فخر الدين المعني فصار الباشا بنحو عشرة آلاف مقاتل لمحاربة الامير واجتمع
الجيشان وواجه المجدل فاشتبك القتال بينهما فدارت الدائرة على العسكر
الدمشقي وقتل منه عدد وافر وسقط الوزير اسيراً بيد الامير فاكرمه واعزّه ونصاحها
ورجع الوزير الى دمشق ولما استقر بها امر بهدم دار كرد حمزة وضبط اهله
فكان كذلك وبعد وقت قصير عزل مصطفى باشا ووجهت الولاية على محمد باشا
فأتى الى حماه ومعه كرد حمزة ثم أتى القنيطرة وقصد دخول دمشق فلم يقبله اهلها
وما نعوّه الدخول الى مدينتهم وارسل مصطفى باشا لصدّ فرجع الى حماه
واستكتب مصطفى باشا قضاة دمشق واعيانها وعلمائها محاضرين لبقائه على الولاية
وارسلها الى الباب العالي فلم تقبل بل تقررت الولاية لمحمد باشا فسار محمد باشا
الى دمشق على طريق الزبداني ودخلها من باب وخرج مصطفى باشا من باب
آخر وما لبث محمد باشا في دمشق مدة قصيرة الا توفي بها فتولج الاعمال بعده
موقتاً ابراهيم اغا الدفتردار. ثم رجع مصطفى باشا الى دمشق وتقررت ولايتها
له. وسنة ١٦٣٤ انعمت الدولة على الامير فخر الدين المعني بولاية سوريا كلها
من حدود حلب الى حدود القدس ولقبته بسلطان البر وربطت عليه اموال
الولاية كلها فدخلت دمشق بحملة اقطاعه فاخذ يدبر الامور ويبني القلاع
والحصون في انحاء البلاد. وفي هذه السنة اشتد الغلاء في دمشق فارسل اهلها
يشكون حالهم للامير ويطلبون تديره فلباهم وارسل لهم حلالاً ألفي حمل
حمل حنطة وفي اليوم الثاني مثلها وجمع جبال حوران ودواجها وامر اصحابها ان
ينقلوا الحنطة الى دمشق ففعلوا فامر ان يكون رطل الخبز بقطعتين فكان
كذلك فانفرج كرب الناس. ثم أتى بنفسه ونزل بهجة دمشق غربي المدينة
فخرج جميع الاهالي للملاقات واخذوا يدعون له بالنصر وطول البقاء. ثم انه
اتخذ الفأ من الانكشارية ليكونوا بخدمته وطلب من وجوه البلدة مال جزية
النصاري فاجابوه وسلموه دفترها. ولما قويت شوكة الامير ودانت له البلاد

حدّثته نفسه ان يستقل بها ويجعل ذاته سلطاناً مطلقاً عليها فاخذ كجك احمد يوشي بالامير امام رجال الدولة العظام في الاستانة وبين مقاصد (كان كجك احمد جانياً للاموال الاميرية بوادي التيم تحت يد الامير فوقع خلف بينهما فترك خدمة الامير وسار الى الاستانة فنقدم في المراتب حتى رقي الى درجة الوزارة وصار له كلمة مسموعة) فبلغ السلطان مراداً ذلك وساءه وزاد تهيجاً بكتابة وردت عليه من حلب تنبي عن مقاصد الامير وما بناءه من القلاع والحصون فوجه حالاً عساكره لمحاربة الامير تحت قيادة كجك احمد فاني كجك احمد دمشق بجيوشه ودخلها في شتاء سنة ١٦٢٢ واخذ يجمع العساكر من حدود بلاد الروم الى حدود بلاد مصر . وسنة ١٦٢٤ انمض بالعساكر الى خان سعسع ودعا اليه بعض المناصب وارجعهم الى اقطاعاتهم . اما الامير فجهز جنوده واصطلت نيران الحرب بينهما فدارت دائريها على عسكر الامير ووقع اسيراً مع اولاده فاخذهم الوزير الى دمشق وارسلهم منها الى الاستانة واطلق الامان في سوريا فراقمت الاحوال مدّة . ثم ثارت الفتن فقال الوزير للسلطان ان السيب من دسائس الامير فخر الدين فخنق السلطان على الامير وقتله مع اولاده الا واحداً منهم

وسنة ١٦٥٠ كان على دمشق بشير باشا فحل على الامير ملحم المعني والتقى بوادي القرن فانكسر ورجع الى دمشق خاسراً . وسنة ١٦٥٤ عزل بشير باشا وتولى عوضاً عنه محمد باشا الكبير . وسنة ١٦٦٠ تمنع المعنيون والشهابيون عن اداء الاموال فسار اليهم محمد باشا الكبير بمجنوده ففروا من وجهه فاخذ المال من الاهالي ورجع الى دمشق . وسنة ١٦٩٣ عصى الامير احمد المعني على الدولة وظفر بعساكر صيدا فامر السلطان وزراء سوريا ومنهم اسمعيل باشا والي دمشق ان يسيروا لمحاربة فساروا وكانوا جموعاً كثيرة فاخفى الامير من وجههم ففصلوا عنه ولم يجدوه فاخذت العساكر تعيث بالبلاد واخيراً انصرف كل الى محله . وسنة ١٧١١ وقع خلاف بين الامير حيدر الشهابي ومحمود باشا النبي فاستنجد محمود

باشا بنصوح باشا والي دمشق وبشير باشا والي صيدا. فوجهها عساكرها وقبل وصولها
 اشتبك القتال بين الامير ومحمود باشا فانكسر محمود باشا فعلم الوزير ان بذلك
 فافلا راجعين كل الى محله. وسنة ١٧٣٢ قدم عثمان باشا والي على دمشق (وكان
 قبلاً والي على صيدا) فاحضر معه بعض الامراء اللبنانيين الذين كانوا عند رهيبة
 على مال مند سنة ١٧١٤ فارسل الامير حيدر الشهابي واستفكهم. وسنة ١٧٣٢ كان
 على دمشق سليمان باشا العظم والي فاخذ قوم الامير ملحم الشهابي يهربون في البقاع
 فحق منهم الوزير وخرج من دمشق بعسكر جرار لمحاربة الامير وحل في البقاع
 فارسل الامير واستعطف خاطره واعذر عن قومه وتعهد له بدفع خمسين
 الف غرش غرامة ووضع عند اخاه مصطفى رهناً فقبل الوزير بذلك وافل
 راجعاً الى دمشق واخذ ببناء خانو المعروف بخان سليمان باشا. وسنة ١٧٤١
 كانت دمشق تحت ولاية اسعد باشا العظم فجهز عسكره وسار لمحاربة الامير ملحم
 فوصل الى البقاع وكان لما بلغ الامير قصد الوزير جهز عساكره ووافاه بسرعة
 واذا علم اسعد باشا بان قوة الامير تفوق قوته افل راجعاً بمجنوده الى دمشق
 فتأثره الامير حتى ابواب دمشق. وسنة ١٧٤٨ ولي اسعد باشا الامير علياً على
 بلاد بعلبك فاغناظ الامير ملحم واخذ ينهب ويحرب في البلاد فجمع اسعد باشا
 جنوده وسار بهم من دمشق واتى وخيم في صحراء بر الياس ففطن الامير لذلك
 وجمع عسكره بسرعة واتى وخيم بهم في المغيثة. ثم انتشبت بينهم نيران الحرب
 فانكسر اسعد باشا الى سهل الجديّة فتبعه الامير فرحل الى دمشق ودخلها
 مكسوراً. وبعد ذلك مدة قصيرة سار اسعد باشا الى الحج فاغتنم الامير الفرصة
 ودهم بلاد بعلبك وعزل عنها واليها الامير حيدر الحرفوش. ولما رجع اسعد
 باشا من الحج وعلم بما جرى من الامير في غيابكم له السوء واخذ يترصد الفرص
 للايقاع به على انه لم تطل مدته. وسنة ١٧٥٧ كانت دمشق تحت ولاية عبد الله
 باشا الشيباني ومن سنة ١٧٥٨ الى سنة ١٧٦١ كان طاعون عظيم في البلاد
 هلك به خلق كثير. وسنة ١٧٦٢ كانت دمشق تحت ولاية عثمان باشا الكرجي

فهذا لما صار على دمشق صارت منه امور مستنكرة مع اهالي غزة وكان على مصر علي بك وغزة تلوذ به فانكر على عثمان باشا ما قبله وجهاز خازن داره محمد بك المعروف بابي الذهب لمخاربه ولا انتقام منه فصار ابو الذهب بعساكره الكثيره سنة ١٧٦٨ قاصداً الحرب واذ بلغ الدولة العلية خبر ذلك عينت لقتال العساكر المصرية ودفع غائلتها عن البلاد الشامية والي حلب عبد الرحمن باشا ووالي كلاس خليل باشا ووالي طرابلس محمد باشا فلما قدم ابو الذهب بعساكره نزل قرب داريا الكبرى فخرج للقائه الوزراء الاربعة مع العساكر الشامية وصارت المعركة في سهل داريا فدارت الدائرة على الوزراء ثم ورد كتاب من ابي الذهب الى علماء دمشق واعيانها يطلبهم لمواجهة بشأن تسليم المدينة وتوعدهم بجرقةاى اسراهم اذا ابوا ذلك فالتبسوا منه الهلة حتى يجتمعوا ويشاوروا اهل المدينة وباقي اعيانها وعلمائها بهذا الشأن . وفي تلك الليلة التي هي ليلة الجمعة في ١٤ صفر سنة ١١٨٥ هـ هربت الاعيان وعثمان باشا وولده وروساء العساكر البادية ولم يبق في دمشق مقاتل فاستولى على الناس الخوف والهلع وذهبوا الى العلماء وتوسلوا اليهم ان يواجهوا ابا الذهب ويسلموه دمشق ويدفعوا عنهم غائلته فتوجهوا لمقابلته فلما دخلوا عليه قابلهم بغاية الاكرام فقالوا له ان البلد لمولانا السلطان مصطفى خان فتسلمها انت واحقق دماء المسلمين وكف عن اموالهم . فامتهم ورفع القتال عنهم . ثم بعد ايام حارب القلعة وضر بها بالقتال وكانت بها مصطفى اغا البطرجي فضررت القنابل بالمدينة واهلها ضرراً بليغاً فرجع الامر اليه فامر برفع الحصار واذ تحقق عنده بان عثمان باشا قد فر من المدينة بن معه عزم على العود الى مصر . وبعد ان نصب من قبله قاضياً ومفتياً من اهل البلد رحل عن دمشق قاصداً مصر . وعلى اثر خروجه منها عاد اليها عثمان باشا والاعيان والعساكر ورئيس البيرلية يوسف اغا بن جيري من جبل الدروز ومعه ٥٠٠٠ درزي وانزلهم في البلدة بامر عثمان باشا وهكذا انتهت هذه الحمادة سنة ١٧٧٠ حضر احمد الجزار الى دمشق وخدم عند واليها عثمان باشا .

وفيها وقع حرب بين ظاهر العمر الزيداني صاحب عكا واحزابه امراء المتناولة في بلاد بشاره والامير يوسف الشهابي فانكسر الامير يوسف فخاف درويش باشا والي صيدا وذهب الى دمشق ملتجئاً وما لبث بها مدة قصيرة الا ونوفي واليهما عثمان باشا فارس لت الدولة عوضاً عنه عثمان المصري الوكيل والياً على دمشق ولما بلغها ارسل ودعا خليل باشا والي القدس الى محاربة ظاهر العمر وامر الامير يوسف ان يستعد لمساعدة خليل باشا فوقع القتال قرب صيدا فتغلب ظاهر العمر وفر خليل باشا الى دمشق بعد ان قتل من عسكره الف وخمس مئة مقاتل . وسنة ١٧٧٣ وقع نفور بين عثمان باشا والامير يوسف الشهابي فخرج عثمان باشا من دمشق بعسكره ونزل في البقاع بصحراء بر الياس فلما بلغ الامير ذلك جمع عسكراً ونزل به في المغيشة ثم انحدر لقتال الوزير وحدث بينهما مواقع لم يتم بها الظفر لاجد منها . ثم استنجد الامير بعلي بن ظاهر العمر وبالشيوخ ناصيف النصار كبير بني علي الصغير فانجده بجيش جرار ونزلوا في قرية الفرعون . ولما بلغ عثمان باشا ذلك دخله الهلع والرعب ونقل عسكره ففر هارباً تلك الليلة الى دمشق تاركاً المدافع والخبام والعلائف فغنمها عدوه . وبعد ذلك عزل عثمان باشا وتولى دمشق محمد باشا العظم . وسنة ١٧٨٢ زحف الوزير احمد باشا العظم من دمشق بجنوده لمحاربة الجزار بالاشتداد مع الامير سيد احمد الشهابي ونزل قرب قلعة قب الياس وهناك اصطلت نيران الحرب فانكسر بعسكره ونهقر حتى دخل دمشق ثم اصطلى هو والجزار واخربا قلعة قب الياس لانهم اعتبروها اصل الفتن . وسنة ١٧٨٧ وجهت ولاية دمشق على احمد باشا الجزار فصار اليها واستلم زمامها فصار والي دمشق وصيدا وسنة ١٧٨٨ عزل عن ولاية دمشق ووجهت ولايتها الى ابراهيم باشا . ثم قلب الحال ورجعت ولاية دمشق الى الجزار فكان يضع بها نائباً من قبله ويستقر في عكا وكان قد اخذها من الزبادنة

وكان الجزار ظالماً عاتياً متقلباً سفاكاً للدماء بلاصاً للعباد قاسياً وقد فاز

بشبهة كذبة وخشية الناس لشهره وجوره مات في عكا سنة ١٢١٩ هجرية ودُفن بها
وكان لا يسمع للدولة العثمانية ولا يطيع أوامرها وقد فرح الناس لموته كل الفرح
فقال الشيخ مصطفى الرومي مؤرخاً

ملك الجزائر ولا عجب ومضى بالخزي وبالاثم -

وبميتهم الباري عنا أرّخ قد كف يد الظلم -

وعند موت الجزائر كان بسجنه اسمعيل باشا فاخرجه الشيخ طاهما الكردي
واجلسه عوضاً عن الجزائر مدعيًا بان الجزائر باعة بالولاية قبل موته . وكتب
اسمعيل باشا الى اصحاب الولايات والمناصب ببشرهم بولايته . اما نائب الجزائر في
دمشق فلم يرد ان يعرف اسمعيل باشا واليًا فكتب للامير بشير عمر الشهابي
المفتي بالكبير يطلب منه محافظة الطرقات وان يدهُ برأيه فاجابه الاميراني
فعلت كل شيء قبل ورود رسالتك واما اسمعيل باشا فلم اعرفه لان الدولة لم
تنصبه . وبعد برهة الى ابراهيم باشا واليًا على دمشق فسار مع عساكر الامير
بشير وقتل اسمعيل باشا والي عكا ووضع عوضاً عنه سليمان باشا فرجعت
دمشق ايالة على خدمتها وكان ذلك سنة ١٢٢٠ هـ الموافقة سنة ١٨٠٥ م

وسنة ١٨١٠ م او سنة ١٢٢٥ هـ كان وال في دمشق اسمه يوسف باشا
فعزلته الدولة وارسلت فرمان الولاية على دمشق الى سليمان باشا والي عكا فتمنع
يوسف باشا عن تسليم الولاية وقصد حرب سليمان باشا وارجاعه فلم يفر به رغوبه
لان سليمان باشا ضم الى جنده عساكر الامير بشير الشهابي وبعد موقعة جرت
بنواحي قطنا والجديّة سلم اعيان دمشق لسليمان باشا وهرب يوسف باشا
فدخل الامير بشير مع سليمان باشا الى دمشق واستلمها المدينة

ونقلب الوزراء على دمشق حتى صارت ولايتها لدرويش باشا وولاية عكا
لعبد الله باشا الخزندار فجرت وحشة بينهما لان درويش باشا كان يدعي بانه والي
دمشق وصيدا وعبد الله باشا كان يمضي بانه والي جميع سوريا وكانت نتيجة هذه
المباينة انقطاع المواصلات والاستعداد للحرب فطلب عبد الله باشا مساعدة

الامير بشير فدهُ بالجنود اللبنانيين . واما الدولة العلية فاذا كانت ترغب في اذلال عبد الله باشا بعثت باوامرها الى والي حلب ان يساعد درويش باشا والي دمشق على انه سبق فتوح الحرب ورود الاوامر لوالي حلب فسارت جنود عبد الله باشا وجنود لبنان مع الامير بشير وولده الامير خليل وهزموا عساكر دمشق التي خرجت للقائهم ونفذوا نحو قرية المنزة فكانت المدافع تطلق عليهم كراتها والرصاص يطر فوقهم فثبت رجال الامير بشير بالنزال ونفذوا رغماً عن نيران الاعداء وبعد معاناة المتاعب الكلية تمكنوا من الاقتراب من حيطان قرية المنزة وتسلفوا عليها واشعلوا فيها النار والقتال مستمر فلما نظر خيالة عسكر دمشق دخان المنزة مرتفعاً وخيالة عسكر عكا تضايقهم والرصاص من مشاتير يهلك رجالهم وخيولهم ولوا منكسرين كما ولت عساكر المشاة من داخل القرية فتبعهم عسكر عكا الى قرب دمشق فالتزم بعضهم ان يلقوا انفسهم في المياه طلباً للنجاة واما الامير فلم يسمح بدخول عسكره الى دمشق خوفاً عليها من النهب فرجع بالعسكر واقام به في سهل المنزة . اما قتلى عسكر دمشق فكانوا بينفون على الالف ومئتي نفس على ما قيل وقتلى عسكر عكا وجاعة الامير نحو ٤٠ نفرًا . ولما راي درويش باشا انكسار عساكره تحصن بقلعة دمشق وليث بها ينتظر قدوم النجدة عايناه من والي حلب وادنه فلما عرف الامير بشير بان النجدة آتية بسرعة وان الدولة العلية قد صدرت امرها بتولية درويش باشا على دمشق وعكا وانها قد عزلت عبد الله باشا عن ولاية عكا رحل بجنوده بعد ان ارسل وخاطب مصطفى باشا والي حلب خطاباً لطيفاً وقد جرت هذه الحوادث المعروفة بوقعة المنزة سنة ١٨٣١ م الموافقة سنة ١٢٣٥ هـ ولم يزل قوم من الذين عاينوها احياء (١)

(١) انه في كل هذه المدة لم يكن راحة لاهل السبيل في دمشق لان تعديات الجندية كانت كثيرة لعدم خضوعها للنظام واذ كان اصحابها اولو السطوة لا يسألون عما يفعلون دخل في سلكها كثير من الاهالي ثم انقسمت المدينة الى حزبين حزب انكشاري وحزب

وسنة ١٢٤٧ هـ الموافقة ١٨٣١ م ابتدأت الحوادث المهمة والانقلابات العظيمة في سوريا وكانت نتيجتها انتقال البلاد الى حكومة مصر وادخال انوار التمدن اليها وكان في هذه السنة والى على دمشق اسمه سليم باشا كان قبلاً صدرًا اعظم واشترك في اهلاك الانكشارية في الاستانة وتنظيم العسكر الجديد فهذا الوالي احدث في دمشق ضريبة طفيفة واجبر الاهالي على دفعها للخرينة وفرضها على المخازن والدكاكين وغيرها وحيث لم يسبق لاهالي دمشق عادة ان يعطوا شيئاً عن ذلك حتى ولا عن دكاكينهم وبساتينهم نادوا على واليهم بالعصيان وقصدوا الايقاع به . والذي زاد جراتهم هو ان هذا الوالي عند ما اتى دمشق اتى بعسكر منظم فظنوا ان قصد الايقاع بالانكشارية فخاف القوم العاقبة فقصدا ان يظفروا به قبل ان يتعشى بهم (١)

ولما ثار الاهالي على سليم باشا اخذوا يضربون الطبول الكبيرة ويطوفون في انحاء المدينة ولما عرف سليم باشا بانه لا بد من الايقاع به دخل القلعة مع قبيقولي وكانت العداوة بينها عظيمة وشديدة حتى انه لم يمض يوم الا وتحدث فيه مشاجرة وفي بعض الاحيان كانت تغلق الخوانيت ويجري الدم بين الثائرين وحياتا كانوا يجربون احياء برمتها وكانت التعديات على اهل العرض والذمة كثيرة جداً وكانت المرأة المحسنة لا تجسر ان تخرج من بيتها بدون ان يحرسها حارس قوي وان لم يكن حارس فتلتزم ان تلبس ملابس رثة وتخفي ظهرها ليظنها من يراها حيزبوتاً وكان كل صاحب مهنة يصحب اسلحته معه الى محل عمله ليكون على استعداد حتى اذا جدّ شر ينضم الى حزبه وكان اهل الذمة بحالة يرثى لها وكثيراً ما وقعت التعديات عليهم وكانوا يتكيسون باصحاب السطوة من المسلمين لصيانة انفسهم اما الحكومة فكانت بيد رجل يجلس بباب السرايا بسمونة تفكجي باشي فكان يقضي ويمضي بحسب امياله فمن شاء ظلم ومن شاء رحم غير مختش لوم لا ثم وقد قلت بضاعة المعارف لرواج بضاعة السيوف والعصي

(١) لم يكن للدولة العثمانية وقتئذ مكوس على دمشق سوى مال الجمارك على الداخل اليها من خارج اية دمشق لا على الصادر منها وبلغ دخل ذلك نحو الف كيس سنوياً وكان لها على النصارى واليهود مال جزية الراس يزيد وينقص بحسب عدد الاشخاص ومال عنب الكنائس واما المسلمون فلا يدفعون شيئاً البتة وتجموع الدخل لم يكن يتيف على ٢٢٠٠ كيس منها تعاضم

فرقة من جنوده والباقون لبثوا خارجها لعدم وجود علف لهم ولدواهم داخل القلعة واشتعلت نيران الحرب ففاز الاهالي على العساكر الذين خارج القلعة وقتلوا اكثرهم والتجأ الباقيون مع احد ضباط الباشا الاشداء المستسى قاضى قران الى الجامع المعلق قرب المناخية وكانوا يحاصرون به وسليم باشا يطلق الكرات على المدينة من ابراج القلعة واخيراً تقدم الاهالي واخربوا السوق الجديد واقاموا مناريسهم وشددوا الحصار واخربوا جانباً من سور القلعة الجنوبي ما بلي الغرب والباشا ثبت في الحصار ولكن لما نفذ ما عنده من المؤونة اضطر الى اكل الدواب فنفدت بدون ان يرى نافذة للفرج فاضطر الى التسليم وطلب الناميين من اهل البلد فامنوه فخرج من القلعة الى بيت في العصرية فنية على انه بينما كان مطهئاً هاج عليه الاهالي ثانية مدعين بانه عامل على مكينة لهم فدافع عن نفسه اشد دفاع واخيراً تقبلوا سفن الحبل الذي كان فيه والقوا عليه النار فاحرقوا واخذوا جثته وعرضوها للناس فرجة

اما قاضى قران فبعد دفاع عظيم تمكن من النجاة هو ومن معه وفر سالمًا وعند حدوث هذه الحوادث وقع الخوف على النصارى من تعديات جهالة المسلمين . ولكن علي اغا الخزن اكبتي الذي كان من ذوي الباس والسطوة والبعده عن التعصب وهو من اكبر اغوات دمشق اخذ على نفسه صيانة النصارى واليهود من تعديات الاسافل فصانهم وحفظهم بحيث لم يلحق باحد منهم ضرر ولما قتل سليم باشا اجتمع الاهالي واقاموا حكومة مؤقتة واخذوا يتوقعون بطش الدولة بهم ولكن لحسن حظهم بلغ الدولة تقدم ابراهيم باشا في سوريا فصرفت نظرها عنهم واعدت الجيوش التي هيأتها للانتقام منهم لمحاربتهم وارسلت والياً على دمشق اسمه علو باشا فزال الخوف والهلع من قلوب الاهالي

وبينما كان اهالي دمشق مشغولين مع سليم باشا كان ابراهيم باشا بن محمد علي باشا يجارب عكاً ولما انتهى منها وساق عبد الله باشا اسيراً الى مصر توجه بجنوده مع الامير بشير الشهابي وعساكر لبنان للاستيلاء على دمشق واتوا

وعسكروا في داريا

واما علو باشا والي دمشق فلما عرف بقدم ابراهيم باشا عليه خرج من دمشق بعشرة آلاف مقاتل من الدماشقة والاكرد فالتقاء ابراهيم باشا ووجه عرب الهنادي على خيالة الاكرد واصدر امره لعساكر النظام ان تقابل جموع العساكر الدمشقية وتطلق البنادق عليها في الجو . فلما التقى العسكران واطلق جنود ابراهيم باشا نارا دائمة جزع الدماشقة لذلك وخافوا لانهم لم يعمدوا شيئا مثل هذا من ذي قبل اما الهنادي فتبعوا الاكرد وقتلوا كل من لحقوه منهم . وفي المساء عقد الدمشقيون مجلسا كبيرا مؤلفا من وجوه الاهالي فقرروا انهم يوافقون تسليم المدينة لابراهيم باشا فارسلوا اليه رهطا من جنانهم علي آغا عرمان متسلما القلعة وطلبوا منه الامان فامتهم فسلموه مفاتيح المدينة ورجعوا وفي اليوم الثاني دخل ابراهيم باشا بجنوده المدينة من بوابة الله ومعه الامير بشير والامير خليل ولم يوقع باحد ضررا

واقام ابراهيم باشا بدمشق الى ٥ صفر ثم سافر نحو حمص واخذ معه بعض اعيان المدينة وترك بها المعلم بطرس كرامة لترتيب مجلس الشورى ولما تمكن ابراهيم باشا من فتح سوريا جعل دمشق عاصمتها واقام فيها مجالس القضاء وجعل على ولايتها شريف باشا المصري وكان من مساعديه بحري بك وقد كان الاجانب يمنعون قبلا عن الدخول الى دمشق ولكن لما تولى البلاد ابراهيم باشا اخذ يتقاطر السياج اليها . وفي ايامه اناها اول قنصل اجنبي وكان انكليزيا ورفع الراية الانكليزية فوق بيته واتخذ ترجانا له المرحوم نعمة الحضيرة وهو اول ترجان للاجانب في دمشق وكان رحمه الله من اصحاب الوجاهة والذكاء والغنى بين المسيحيين وله شهرة في التقوى وحسن الادارة وقد توفي سنة ١٨٢٨ بعد ان اقام بخدمة بامانة وجد . ومن ثم اخذ يتقاطر قناصل الدول والتجار وياتون بالبضائع الافرنجية ويبيعونها بدون ان يصادفوا معارضة . ودامت حكومة ابراهيم باشا في دمشق الى سنة ١٨٤٠ م . وفي تلك

السنة انتت مراكب الدول المتحدة واخذت عكا عنوة بعد ان حاربتها ثلث ساعات فقط فالتزم ابرهيم باشا ان يترك سوريا للدولة العلية فخرج منها وسار الى مصر برا عن طريق العريش . ويوم خرج من دمشق قتل علي اغا الخزناكتي وغيره من الاعيان . ولا يلقى بالمؤرخ ان يتغاضى عن ذكر ما اجراه ابرهيم باشا من الاصلاحات في سوريا فانه اجتهد بامر تعميم زراعة توت الحرير ونشط الصنائع وسعى في ترويج التجارة واوجد الامن في الطرقات وقرّر حق التملك ومنع الرشوة والمحاباة وكان يرسل ماموريه الى جهات سوريا ليخبروا الاهالي الذين كانوا قد نسوا الاعمال الزراعية حتى يزرعوا اراضيهم وادخل في البلاد زرع الارز والنبيل وادخل دودة القرمز الى غير ذلك من المآثر الحسنة

وبعد ان رحل ابرهيم باشا عن سوريا اخذت الدولة العلية ترسل ولايتها الى دمشق بجاري عاديها فارسلت اولاً علو باشا المار ذكره وكان السنيور وود قنصل دولة انكلترا الفخيمة رقيباً على اعماله وكان حسن التدبير والسياسة وعلى جانب عظيم من الدعة واللفظ والاستقامة فحذب القلوب اليه ونفذ كلمته وحصل على اعتبار جميع الناس على اختلاف مذاهبيهم . وقد انتفعت البلاد به . وفي تموز سنة ١٨٥٢ اتى دمشق الهواء الاصفر من جهات الحجاز وهو اول هواء اصفر حدث بهذه المدينة فات به نحو ٢٠ الف نفس وكان وقتئذ صوم رمضان تمتد المسلمين . ولم تخذ الكرتينيات لانها لم تكن معروفة في سوريا

وسنة ١٨٥٤ انتشبت الحرب بين الدولة العلية بالاشتراك مع الدول المتحدة والروسية فاني الانكليز واخذوا يعينون اقواماً من دمشق للخدمة فانتظم بجند منهم كثير من اطعمهم بالاجور الزائدة . (في اواخر هذه السنة ولد مؤلف هذا الكتاب في مدينة دمشق) . وفي مدة هذه الحرب التي انتهت في سنة ١٨٥٦ بعهدة باريز راجت الاشغال بدمشق واي رواج وكثير ربح الاهالي والمرجح ان ذلك من المال الذي صرفته دولتنا فرنسا وانكلترا في الممالك العثمانية وبعد انتهاء الحرب بين الدول وروسيا حدث بين مسيحيي دمشق حادث

مزعج اشغل افكار مسيحي سوريا اجمع وذلك ان البطريرك اكليمندوس الروم الكاثوليكي اعلن وجوب انتقال حساب كنيسة الشرقي الى الحساب الغربي فهذا الانتقال جعل شعباً في الشعب واحداث اموراً مهمة ليس من متعلقات كتابنا هذا المبحث فيها ودامت المجادلات والمناقشات الى سنة ١٨٦٠ م حيثما ثارت الفتنة في جبل لبنان بين الدروز والنصارى وامتدت شرارتها الى دمشق وجرى بها ما جرى من الفتك الذريع بالنصارى وهي المعروفة بحادثة ستين ولي في ذلك رسالة وافية سانشرها اذا وفق المولى

وفي اليوم الثامن من المحادثة اتى معمر باشا والياً على دمشق فارسل المنادين ينادون بالامان ومنع التعدي فخذت الفتنة ورجع كل من الثائرين الى محله وبعد ايام حضر فواد باشا اموراً مفوضاً من قبل الدولة لاصلاح احوال سوريا بعد ان حضرت مراكب الدول العظيمة الى بيروت لصيانة النصارى وقصاص المتعدين فاتي دمشق حالاً وارسل احمد باشا (الذي كان على دمشق منذ المحادثة) الى الاستانة . ثم اعيد الى دمشق حالاً وقتلوه فيها باطلاق الرصاص وقتلوا معه الفائد الذي حضر مذبحه نصارى حاصبيا والبيكباشي الذي حضر مذبحه نصارى راشيا

وحال وصول فواد باشا الى دمشق دخل القلعة ونظر النصارى المصابين جراحاً عراة بحالة تفتت الاكباد وحرارة الشمس تفعل بهم نهارة وبرد الليل ليلاً فائربو منظرهم الحزن وابكاه فامرهم بعينات يومية لسد جوعهم وبأكسية لستر اجسامهم واخذ يلاطفهم بكلام عمومي ويعدهم بتخصيل حقوقهم ومقاصد المتعدين عليهم

وفي اليوم الثاني اصدر اوامره المشددة بجمع مسلوبات النصارى فكانت تجمع بسرعة على انه لم يصير جمعها بترتيب اذ لم تقيد بدفاتر فلم يصل منها الا ما قل واما الجواهر والحلى الثمينة فالبعض ممن نهبوا حرزوا عليها واخفوها والبعض باعوها لليهود بالخمس الاثمان . ثم سمح للنصارى بهاجرة الشام فرحل كثيرون

منهم الى بيروت وغيرها من الاسا كل وافرع لمن بقي منهم في دمشق ما يلزم من بيوت المسلمين واسكنهم فيها وكان خرجهم من خزينته الحكومة بانصال وقد وردت لهم مساعدات كثيرة من المحسنين في اوروبا واميركا

ثم انتخب فواد باشا مجلساً للمخص عن قاموا بالثورة فحكم المجلس على بعض من اشتركوا في الحادثة بالقتل والنفي فشنق نحو سبعين رجلاً وقتل بالرصاص مئة واحد عشر رجلاً ونفى بعض الاعيان والعلماء والوجوه ونحو اربعة الاف نفس من العوام ومن كان منهم شاباً ادخل بالسلك العسكري

وبعد ان انتهت امور جبل لبنان على الوجه الذي نراه عليه الآن وراقت الاحوال في دمشق وانعم على النصارى بتعويضات عن مسلوباتهم ومخروقاتهم رجع فواد باشا الى الاسنانة وصار صدراً اعظم وانصرف الفرنسيون ومعتمدو الدول وبوارجهم من بيروت فاخذ المهاجرون من دمشق يرجعون اليها شيئاً فشيئاً على انه قد استوطن منهم كثيرون في بيروت ومصر والاسكندرية ولا يزالون هناك. ثم اخذ نصارى دمشق يبنون كنائسهم ودورهم ودكاكينهم ولم تمض بضعة سنين الا اصبحت احياءهم عامرة. وقد ارتفعت اجور البنائين ومن لهم تعلق بالبناء حتى بلغت اجرة العامل خمسين غرشاً يومياً هذا فضلاً عن ارتفاع اثمان مواد البناء فلتحق بالنصارى اضرار بليغة بسبب ذلك

وخلف معمر باشا في ولاية دمشق المرحوم شرواني باشا الذي كان في مجلس التحقيقات عقب حادثة دمشق فاحدث تحسينات كثيرة وسنة ١٨٦٤ تشكلت ولايات المملكة العثمانية فصارت دمشق عاصمة ولاية سوريا ووجهت ولايتها الى مخلص باشا ثم لعنه المرحوم راشد باشا ودام على سوريا ست سنين واجرى بها اصلاحات كثيرة وردع اصحاب التعدي من العربان والنصيرية ودخلت في ايامه المبادئ الماسونية في دمشق (وكان ماسونياً) وراجت اسواق المعارف والآداب وكثرت المدارس والجمرائد في بيروت. وفي اول توليه كانت الاعمال رائجة والارباح كثيرة وقد احبب الناس حباً شديداً ولم يزالوا

يذكرون أيامه ويتأسفون على فواتها
 سنة ١٨٧١ تولى
 دمشق صبي باشا ثم حالت باشا ثم اسعد باشا ثم حمدي باشا ثم ناشد باشا
 ثم ضيا باشا والي اطنه حالاً وفي غيابه احيات وكالة الولاية لدولتو عزت باشا
 مشير العرضي الهايوني الخامس وذلك سنة ١٨٧٧ م وكانت حرب بين الروسية
 والترك فجرد كثيراً من العساكر من سورية وارسلها الى ساحة القتال ثم
 عين عمر فوزي باشا والياً ولم يلبث ان طلب الى الاستانة وفي اوائل سنة ١٨٧٨
 اتى جودت باشا والياً على سوريا وفي تشرين الثاني طلب الى الاستانة فاقيم وزيراً
 للزراعة واتى مكانه مدحت باشا الوالي الحالي فدخل دمشق يوم الثلاثاء في ٢
 ك ١ سنة ١٨٧٨ ففرح الناس بقدمه لما سمعوا عنه من الاستقامة والدراية واملوا
 الاصلاح في ايامه . ومنذ سنة ١٨٦٠ الى الآن اي نهاية سنة ١٨٧٨ حدث
 بدمشق امور مهمة ففي سنة ١٨٦١ و ١٨٦٢ و ١٨٦٣ كانت الاتمال بهاريجة
 والمصنوعات جيدة والذهب كثير بايدي الناس وسنة ١٨٦٤ دهبها الجراد
 فانلف اكثر مزرعاتها ومنذ ذلك الوقت اخذت الاعمال بالتأخر شيئاً فشيئاً
 والاهالي بالضعف المالي ودخل بينهم روح التفرنج فكاد يهلك ثروتهم وفي صيف
 ١٨٦٥ اتاها الهواء الاصفر فات به نحو عشرة الاف نفس وسنة ١٨٦٧ الموافقة
 سنة ١٢٨٧ كان غلاء شديد وتوقفت الاشغال ودام ذلك الى سنة ١٨٧١ وهبط
 سعر الحنطة فلتحق ضرر عظيم باصحابها وسنة ١٨٧٢ انحبست الامطار فصار غلاء آخر
 واشتد ضيق الاهالي وفي اذار هطلت الامطار والثلوج فسدت الطرقات واشتد
 الغلاء حتى بيع جفت الحنطة (٢٥ اقة) بمئة غرش ونيف وكان البعض ياكلون
 بقول الارض لفقرهم . وسنة ١٨٧٥ عاودها الهواء الاصفر واستقام شهرين فات
 به تسعة آلاف ومئتان منهم ٢٥٠ نسمة من النصاري (واول من مات بهذا الوباء
 امرأة الخواجه نقولا السبط وكانت من الفريديات بالتمذيب والجمال) . وفي
 اواخر ايار في تلك السنة هطلت سيول مفعمة فطاف نهر بردى فاقنلع
 الجسور المتينة وعلت المياه فوق سطح المرجة ذراعاً ونصفاً ودخلت دائرة الحكومة

وسوق الخيل والمحاربة حتى دخلت العمارة فاخذ الصيادون بصيدون الاسماك
من اسواق المدينة التي دخلتها المياه . وسنة ١٨٧٦ و ١٨٧٧ اخذت الاحوال
تناخرا تأخراً متصلاً بسبب الحروب الاهلية وحروب الروس والدولة العلية حيث
غاب كثيرون الى ساحة القتال واسباب أخر دعت الى الفقر عدلنا عن ذكرها
حباً بالاختصار . وسنة ١٨٧٨ كانت بدايتها كالتي قبلها على انه في واسطها وقع
الصالح بين العثمانيين والروسين فراجت الاشغال قليلاً ثم صار غلاته فيبيع جنت
المخنة بخمسة وسبعين غرشاً والشعير بخمسة وخمسين وكانت الامطار في اولائها
كثيرة والثلوج متصلة حتى ان الناس لم يروا الشمس مدة شهرين ونصف وقد
قال الشيوخ بانهم منذ مدة ابرهيم باشا لم يروا في دمشق امطاراً كهذه
وفي الربيع اتى الجراد فاتلف المزروعات الصيفية واضر بالاشجار ثم تبعه
مرض ابوهدلان فافنى الابقار

اما الراحة فسألك الآن في دمشق والاهالي عائشون بالحبّة والالفة مع
بعضهم اسفون من جرى حادثه سنة ١٨٦٠ التي سوّدت تاريخ مدّينهم

خاتمة مختصرة

خضعت دمشق للسلطين العثمانيين حتى الآن وأول من دخلت في ملكه
السلطان سليم الأول ابن بابزید وهو الذي اخذها من ملوك مصر وبعده
السلطان سليمان الثاني ثم بقية السلطين

ولا يخفى انه بعد انحطاط قدر انطاكية العظی نقل البطارقة الانطاكيون
كرسيم الى دمشق سنة ١٥٢٩ وقد استوى على ذلك الكرسي كثير من البطارقة
الدمشقيين والحلبيين وغيرهم وفي ايام ولاية ابرهيم باشا على دمشق دخل اليها
مرسلو البروتستانت وقد انشأوا فيها وفي قراها عدة مدارس . وسنة ١٨٧٢
دخل دمشق الرهبان اليسوعيون واخذوا يشتغلون بنشاطهم المعتمد

البنات

في اوصاف دمشق

فصل

في ابنية دمشق

ابنية هذه المدينة شاهقة مائتة بعضها ببعض لا فتحة بين الدار والاخرى حتى كان المدينة بناء واحد

وهذه الابنية التي تشاهدها كابرار عالية مبنية بحجارة بسيطة من وجه الارض الى ما فوقه بثلاث اواربع اذرع وما فوق ذلك من لبن او لبن وخشب وكلها مازورة بطين احمر اوشيد ولا منظر لها من خارج واما من داخل فهي دور فسحة مزخرفة بانواع الزخارف والنقوش وفي صحنها برك مخفوفة بالليون وغيره من الاشجار مع كثير من النباتات العطرية ذوات الازهار الجميلة والروائح الذكية . ولنساء دمشق غرام زائد بالازهار فيحرصن عليها الحرص الشديد

ولا تدخل داراً من دور دمشق الا تجد في حجرها فرشاً جميلاً قيمة بحسب اقتدار صاحبه وهو معمول بحسب الطراز الشرقي اي من مقاعد ومساند وسجادات وبسط وما اشبه على انه في السنين المتاخمة فرش بعض الاغنياء بيوتهم بالاثاث الغربي ولكنهم ابقوا في البيت حجرة فرشها شرقي وفي بعض الدور قاعات رفيعة مدهونة باجل الادهان في وسطها برك يجري اليها الماء بانصال وما يزيد دور دمشق حسناً لطف اهلها العجيب وانسهم الغريب فانهم يستقبلون كل من زارهم بالبشاشة والملاطفة والترحاب والدعة ويحفلون به ويعزونه ولا يبدون لديه الا المعروف غنياً كان ام فقيراً ولا سيما اذا كان غريباً عن ديارهم وامصارهم واذا تعرف الغريب باحدهم عرفه بكل اصحابه باقصر وقت فصار كواحد من السكان

اما طراز ترتيب الدور داخلاً في هذه الايام فهو غالباً ايوان وعلى كل من جانبيه حجرة وبقية الحجر تقابل بعضها بعضاً وعليها علال لها نوافذ كثيرة يغشاها البلور يسمونها فرنكات وكل دار لا بد لها من صحن وفي بعض الدور اقبية تحت الارض يضعون بها الموائد

ومن اشهر دور المدينة القديمة دار عبد الله بك العظم واقعة بطرف سوق الزورية الشمالي وهي كبيرة جداً وتحتوي على اجمل الفاعات الشرقية وفيها بضع برك واسعة فلما يوجد نظيرها ويقصد هذه الدار اهل السباحة للفرجة . قيل ان بها ثلاث مئة وستين حجرة بين سفلية وعلوية وقد بنيت منذ اكثر من مئة وعشرين سنة

ومن الدور الحديثة في حي النصارى ما بين باب توما وطالع القبة دار حبيب افندي الصباغ بناها المرحوم متري افندي شاموب وتم بناؤها سنة ١٨٦٦ وهي متسعة جداً مرصوفة بالرخام فيها كثير من الاعمدة المرمرية البيضاء وكثير من المقاصير والحجر والفاعات الجميلة المزخرفة وحديقتها تحتوي على اجمل الازهار قيل ان نفقتها بلغت ٢٦ الف ليرة . ولما توفي بانيتها اشتراها حبيب افندي صباغ باربعة آلاف ليرة

ودار المرحوم انطون افندي الشامي وهي اجمل واوسع من الاولى تم بناؤها سنة ١٨٦٦ ايضاً وبلغت نفقتها ٣٠ الف ليرة . ولما زار دمشق ولي عهد امبراطور روسيا سنة ١٨٦٩ نزل بها وشهد بانها احسن الدور التي شاهدها بسياحته في المشرق . وموقعها الى الجنوب من الاولى

ودار يوسف افندي عنبر موقعها في حي المتكئة قال من ساج بلاد سوريا ان ليس لهذه الدار نظير على الاطلاق حتى انه يعز وجود نظيرها في اوربا لانه فضلاً عن اتساعها العظيم وانتظام هندستها وسعة بركها وكثرة مياهها ورصف ارضها بالرخام الملون ترى جدرانها قائمة على كل دوائرها من رخام ملون منقوش باجل النقوش بنوع لم يوجد له مثيل في دمشق وخلافها الى ان قال

وهذه الدار تستحق الفرجة وامعان النظر لما بها من دقة صناعة البناء والنقش
وانها بنقوشها الكثيرة اشبه بقلعة بعلبك وقال غيره ان دار الخواجه عنبر لو
احضوت على عظم الحجارة مع ما بها من غرائب صنعة النقش لساغ لنا القول ان
بعلبك جد يد بنيت في عصرنا وقال آخر من لم يمكنه التفرج على نقوش بعلبك
الحميالة يقدر ان يستغني عنها بالتفرج على دار الخواجه عنبر . وكان الشروع
في بنائها سنة ١٨٦٧ واشتغل بها العملة بضع سنين ولم تكمل بعد لان احوال
بانها قد تاخرت وما بني منها كانت نفقة ٤٢ الف ليرة ومواد البناء والاجور
رخيصة ولو شرع في بنائها يوم بنيت دار المرحوم انطون الشامي المار ذكرها
لكلفت ٩٠ الف ليرة ومن عرف رخص مواد البناء في دمشق وبخس اجور
العملة علم حالة الدار التي كلفت تلك المبالغ العظيمة

ودار شمعايا افندي ودار الخواجه اسلامبولي ودار الخواجه ازبونا ولم
يصرف على الواحدة منها اقل من ٢٠ الف ليرة وكل هذه الدور بحج اليهود وقد
بنيت بين سنة ١٨٦٥ وسنة ١٨٧٢

ودار سعيد افندي قوتلي بجوار الجامع الاموي من جهة الشمال ودار اخيه مراد
افندي بزقاق العواميد نزل بها الكراندوق نقولا الروسي وشهد بها ما شهد
ولي عهد المانيا بدار الشامي . ودار حسن آغا البارودي ودار سعادة محمد سعيد
باشا وكل هذه حديثة العهد انفتحت عليها المبالغ العظيمة ويوجد دور كثيرة معتبرة
اعرضنا عن ذكرها اكتفاء بالاشهر

وكان عدد دور دمشق بالتقرير الرسمي سنة ١٨٧١ م الموافقة سنة ١٢٨٨ هـ
نحو ١٤٦٩٦ دارا لكل الطوائف

اسواق دمشق

اسواق دمشق كثيرة العدد وهي على نوعين مجموعة ومتفرقة وكلها تحتوي
على ٦٩٠٠ دكان اما الاسواق المجموعة فيطلق عليها اسم المدينة وفيها اصحاب

التجارة وارباب البيع والشراء الاغنياء وتباع بها الاقمشة والبضائع الثمينة وغيرها
وهي اولاً سوق العلوية يعلمون بها العلب الخشبية وما اشبهها (٢) سوق الدقاقين
وبها يدقون الاقمشة الحريرية (٣) سوق البنورية وهي سوق العطارين تباع بها
السكاكر والمربيات والحلويات وهي سوق جميلة مرتبة (٤) سوق الحبالين يباع
فيها المرس والخيطان والحبال (٥) سوق اليعجبية تباع فيها العبي (٦) سوق
الحقن ويقال لها السوق الطويلة لطولها وهي جزء من الطريق المستقيم القديم
وبها تباع الدما والعبي والاموال المانيفاتورة التي يستعملها الفلاحون (٧) سوق
الظن وبها يباع الظن والغزل عمل البلاد . وكل هذه الاسواق الا سوق
البنورية على خط واحد ممتد من الشرق الى الغرب (٨) سوق باب الجابية
وفيها تباع العطار (٩) سوق السلاح ويقال لها سوق التين ايضاً (١٠) سوق
العقادين وكان فيها عقادون فقط واما الآن ففيها صاغة ايضاً (١١) سوق
الصاغة وهي سوق على حداثها متصلة بالعقادين ولها اربعة ابواب ودكاكينها
مفصول بعضها عن بعض بالواح خشبية فقط (١٢) سوق القباقيب وبها يعملون
القباقيب والصناديق والصواني الجميلة المطعمة بالصدف وهذه السوق تمتاز
عن غيرها بكون سقفها معقوداً بالمحجارة (١٣) سوق الخراطين (١٤) سوق
الفوافين وبها تباع الاحذية العربية (١٥) سوق الحرير وكان يقيم فيها
باعة الحرير واما الآن ففيها عملة الكنادر وباعة المانيفاتورة (١٦) سوق القلقبية
(١٧) سوق النورية ويقال لها سوق الغزولية ايضاً (١٨) سوق الخياطين وبها
باعة الاجواخ والمنسوجات وغيرهم (١٩) سوق باب البريد وهي اجمل اسواق
المدينة كلها واحسنها وبها تباع منسوجات هذه البلاد ومنسوجات بلاد الافرنج
الثمينة ولا تخلو من مئات بل من الوف من الناس وفي وسطها قبة شاهقة قائمة على
اعمدة عظيمة عليها كتابات كثيرة بالعربية والكوفية ومن جملتها هذان البيتان
عرج ركا بك عن دمشق فانها بلد نذل لها الاسود وتخضع
ما بين جايها وباب بريد ما قر يغيب والف بدر يطلع

(٢٠) سوق العسرونية بها تباع الاواني الباورية والخزفية وهي مكشوفة لا سقف لها (٢١) سوق باب القاعة مكشوفة ايضاً (٢٢) السوق الجديدة وهي مشهورة كباب البريد وبها كثيرون من باعة الجواهر ومن يخيطنون الملابس الافرنجية وغير ذلك (٢٣) سوق الاروام وهي سوق الدالين (٢٤) سوق الشنوان وهي جزء من سوق الاروام (٢٥) سوق القيلة وبيع فيها الخناس المستعمل وغير المستعمل والاثاث المستعمل والاسلحة وغير ذلك (٢٦) سوق السروجية وتعمل بها ادوات الخيل (٢٧) سوق الزرابلية وقد احترقت منذ عشرة سنين الى الآن اربع دفعات (٢٨) سوق الدرويشية وهي ممتدة من راس سوق الاروام الى باب الجابية جنوباً (٢٩) سوق السنانية وبها قوم يعملون العلب وغيرهم تجاس وصباغون (٣٠) سوق الارز وهي سوق صغيرة متصلة بالبنورية

هذه هي الاسواق المجتمعة واما المتفرقة فكثيرة جداً لانه لا بد من سوق او اكثر بكل حي كبيراً كان ام صغيراً ومن هذه الاسواق ما هو مجموع او متصل ببعضه ببعض ايضاً كسوق علي باشا الجديدة تم بناؤها منذ اربع سنين وفي راسها الغربي قراءة خانة وهي الوحيدة في دمشق وسوق الخيل وسوق الجمال وسوق الخضروية تباع فيها الخضز والفواكه بالجملة وسوق الحمير وسوق الحمايرية وبها يعملون الحماير والصناديق البسيطة للفواكه وسوق المناخلية والبوابيجية وكل هذه متصلة مشهورة وسوق العمارة وهي سوق طويلة مشهورة تباع فيها لوازم القوت وغير هذه الاسواق مما يطول شرحه وفي راس سوق السنانية الجنوبي سوق تجتمع فيها الوف من الاغنام كل يوم باكرًا فياتي الجزارون ويشترون لوازم يومهم ويمتد من راس هذه السوق الجنوبي طريق متسع مستقيم طوله نحو ميلين يخترق الميدان من الشمال الى الجنوب وعلى جانبيه دكاكين وقهاوى وحواصل الخنطة وهذا الطريق مكشوف وكان مختلف العرض وغير مرتب وفي ايام ولاية المرحوم راشد باشا تحسن وصار صالحاً لسير المركبات وزرع على جانبيه اشجار من الازدرخت على بعد متناسب ولعدم الاعناء بهذه المغروسات يبست ولم يبق منها الا بقية قليلة

جداً وعرض هذا الطريق ينيف على خمسين قدماً ففي الوسط طريق للعربات والدواب وعلى جانبها رصيفان من حجارة عرض كلٍّ منهما عشر أقدام وهما لسلوك الناس وبين كل رصيف والطريق الوسطى قناة صغيرة مكشوفة عملت لجر الماء صيفاً لرش الطريق الوسطى ولسير الماء شتاءً الى البوايع ولو اعتُني بتلك الاغراس بعد راشد باشا لاضى الميدان من احسن اقسام المدينة واجملها وكل الاسواق التي يطلق عليها اسم المدينة مستقيمة عريضة جميلة مرتبة لا ترى الشمس في الصيف ولا الامطار في الشتاء لانها مسقوفة الا ما استثنيناها وكل يوم يرى فيها الوف من الرجال والنساء للبيع والشراء وفي ايام الاعياد الشهيرة تغص تلك الاسواق بمجاهير الناس وارض هذه الاسواق كانت من قبل مرصوفة بحجارة على انه لتماذي الايام تغطت بنراب ولكثرة رش المياه عليه صيفاً وتواصل دوس الاقدام صار كبلال لا يصدر عنه الغبار فلذلك ترى البضائع دائماً نظيفة وقبل سنة ١٨٦٣ كانت اسواق المدينة ضيقة حيث كان لكل دكان مصطبة امامه وفي السنة المذكورة اعنى المرحوم شرواني باشا بتنظيم طرقات دمشق وتحسينها ورصفها بالحجارة على طراز جديد فاقطع تلك المصاطب من امام الدكاكين فعرضت الاسواق وتحسن منظرها وما بقي قابل الاصلاح اتمه المرحوم راشد باشا

ولما اصلى شرواني باشا الطريق خارج المدينة من جهة مسجد القصب نقش تاريخ ذلك على سبيل بين مسجد القصب وبرج الروس وقد اثبتناه هنا وهو

بني طرق الهدى رشدي البرايا	وزيراً الياس الدنيا جالا
تدارك جُلُفاً من بعد ضعف	فناالت من عدالتو اعتدالا
والف مجلس التحسين نظماً	فعم بنفعو الشام ارتجالا
وكلف صالح الافعال سعياً	بصالحها فكان الاسم فالاً
فجدد عندما التاريخ حياً	سبيلاً قد جرى عذباً زلالاً

اما دكاكين المدينة فكلها عقود وعمات هكذا حذرًا من الحريق وطرارها شرقي على انه قد عمل بعضها يوم تصلحت الاسواق بحسب طراز الافرنج. واسقفه الاسواق شاهقة وكلها جملونات خشبية (الأسواق القباقيب) وفي اسواق المدينة كثير من الخانات والحمامات والجوامع وقليل من القهوى

كنائس دمشق واديرتها

لكل طائفة من طوائف النصارى في دمشق كنيسة او اكثر وكلها (الكنائس الميدان) تجددت بعد سنة ١٨٦٠ وقد كان اكثرها قبل الحادثة عامراً مشيداً وما لم يكن موجوداً انشئ بعدها فلطائفة الروم الارثوذكس ثلث كنائس ثنتان في المدينة وواحدة في الميدان فالاولى الكنيسة الكبيرة مبنية على اسم مريم العذراء وتعرف بالكنيسة المريمية وهي قديمة العهد يظن بان اسمها وضعت منذ ايام ارخاد بوس قيصر المار ذكره وقد كانت عظمة ولما فتح المسلمون دمشق كانت من القسم الذي استولى عليه خالد بن الوليد بالسيف فاخذها المسلمون واهملوها فخربت ولما تولى الخلافة الوليد بن عبد الملك الاموي كان يلاصق الجامع الاموي كنيسة على اسم مار يوحنا فاخذها من النصارى وازادها الى الجامع ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز استدعى النصارى اليه ان يعرضهم معبداً عوضاً عن المأخوذ منهم فعرضهم بالكنيسة المريمية فعمروها عمارة عظيمة وبقيت هكذا الى ٢٧ رمضان سنة ٦٥٨ هـ اذ اخرجها المسلمون عند ما ثاروا على النصارى وبعد مدة استاذن النصارى واعادوها كما كانت ثم في سنة ١٤٠٠ م اخرجها تيور كغيرها من عمارات المدينة ثم ارجعت وكانت مبنية من حجارة كبيرة على غاية من المتانة (ولها اقبية كبيرة تحت الارض قتل بها سنة ١٨٦٠ عدد وافر من الذين التجأوا اليها) وكانت تقسم الى كنيستين الاولى على اسم السيدة وبها ايقونة جميلة يسمونها المسكوبية والثانية كنيسة مار نقولا وسنة ١٨٦٠ احترقت الكنيسة المريمية وخربت خراباً تاماً وسنة ١٨٦١ شرعوا في تجديدها وعلوها كنيسة واحدة

يبلغ طولها نحو ٧ ذراعاً وعرضها نحو أربعين وقد اعتنوا ببنائها فانت من اجل
كنائس سوريا ومصر. والثانية كنيسة مار يوحنا الدمشقي وهي على بعد
قليل من الاولى الى جهة الشمال الشرقي وموقعها في الاسية بناها المرحوم المطران
ايوانيكوس المساميري الدمشقي بامداد روسيا غنيب حادثة سنة ١٨٦٠ على
اسم مار يوحنا الدمشقي وقد كانت قبلاً داراً لفرنسالاتو روسيا ولما ارتد بانها
الى الكنيسة الكاثوليكية التي خرج منها استرجعها الروم بامر الباب العالي بهمة
المرحوم انطون افندي اللاذقاني وغيره وكان ذلك بعد تكريسها بوقت قصير
وهي كنيسة صغيرة بلاصفها مدرسة لطائفة الروم الارثوذكس بناها غبطة
البطريرك ايروثيوس الحالي اما كنيسة الميدان فموقعها في القرشي ثم
بناها في اواخر سنة ١٨٦٢ وهي كنيسة صغيرة وفيها مدرسة للذكور
وللكاثوليك ثلث كنائس واحدة في المدينة وثمان في الميدان اما كنيسة
المدينة فكبيرة وموقعها في حارة الزيتون بجانب السور الى الجنوب الغربي عن
الباب الشرقي كانت قديماً معبداً او ملكاً لليهود الفرائين الذين انقرضوا من
دمشق ثم اشتراها الكاثوليك وفي ايام ابراهيم باشا المصري ابن محمد علي وضع
اسمها المرحوم البطريرك مكسيموس مظلوم بمساعة بحري بك وكان بناؤها
بين سنة ١٨٣٢ وسنة ١٨٤٠ م على اسم السيدة وسنة ١٨٦٠ احترقت ثم جددوها
فصارت احسن مما كانت وهي كنيسة الروم في الاتساع او اصغر منها قليلاً على
اسمها اشد مناعة وقوة وقد أنفق على بنائها مال كثير قيل بانها ثلاثون الف ليرة.
ومن الذين اسعوا ببنائها الاسعاف الزائد المرحومان متري شلوب وانطون
الشامي ولها قبة شاهقة جداً وبجانب الكنيسة دار البطريركخانه وسنة ١٨٧٢ انشأ
غبطة البطريرك غريغوريوس باحدى زوايا دار الكنيسة من الشرق مدرسة
متينة البناء المذكور طائفته وفي دائرة هذه الكنيسة حديقة واسعة جميلة
واما كنيسة الميدان فالاولى في محلة باب المصلى على اسم القديس جاورجيوس
والثانية في القرشي على اسم سيدة النياح وهما صغيرتان بناها المرحوم البطريرك

مكسيوس ايضاً بعد بنائه الاولى ببضع سنين

وللسريان الكاثوليك كنيسة على اسم مار موسى الحبشي واقعة على الطريق السلطاني الى الغرب عن الباب الشرقي على بعد قليل منه وهي صغيرة جميلة وبنايتها مدرسة وبطركخانة احترقت سنة ١٨٦٠ وتجدد بناؤها بمساعي المرحوم المطران يعقوب الريشاني مطران تلك الطائفة

وكنيسة مار سركيس واقعة بجانب الباب الشرقي بلصق السور مخصصة بطائفة الارمن القدم وهي قديمة العهد جداً احترقت سنة ١٨٦٠ ثم تجددت وفي دائرتها مدرسة صغيرة لذكور تلك الطائفة وبقرتها بيت يسكنه مرتببات الطائفة

وكنيسة السريان اليقويين موقعها في حارة حنانيا بالقرب من الباب الشرقي وهي كنيسة صغيرة وقد جددت سنة ١٨٦٠ على اسم القديس جاورجيوس وكنيسة الارمن الكاثوليك واقعة امام دير الرهبان العازريين من جهة

الشرق وهي صغيرة جداً وقد انشئت بعد سنة ١٨٦٠ على اسم القديس غريغوريوس وكان مكانها فرن وقد اخرب فيه المؤلف في اول يوم من حادثة ٦٠ وللطائفة البروتستانتية كنيسة تان بنت الاولى منها مسر موط الانكليزية سنة

١٨٦٨ . وبنت الثانية سنة ١٨٦٤ بمهمة القس يوحنا كروفورد الاميركاني والقس روبصن الانكليزي وفي دائرتها مدرسة للذكور . وفي حنانيا كنيسة

صغيرة على اسم القديس حنانيا يقال بانها في المحل الذي كان به بيت حنانيا اما اديرة دمشق فجميعها مخصصة بالطوائف الباباوية وكلها تخموي على

كنائس شهيرة حسنة

اولها دير الاء العازريين موقعة بين داري الشامي وشلموب وهذا الدير متسع مستطيل يمتد من الشمال الى الجنوب ويسمى دير اليسوعيين ايضاً وقد كان صغيراً ومنذ ٢٥ سنة بوشر بتوسيعه وبناؤه بناءً متيناً فتم في سنة ١٨٦٠ فدهمه الحريق وكان فيه مدرسة للذكور واخرى للاناث وفي دائرته طبيب يعالج مجاناً كل من ياتيه من اي طائفة كانت وصيدليته تعطي الادوية مجاناً ايضاً وعند

تجدد بعد سنة ١٨٦٠ زيد انساغا من الجهة الجنوبية وتحسنت كنيسة كثيرًا فصارت اجمل مما كانت قبلاً وهندستها بحسب طراز كنائس المغرب ومحرابها متجه الى الغرب وهذا الدبر يقسم قسمين قسم للراهبات وفيه مدرسة البنات وقسم للرهبان وفيه مدرسة يومية للصبيان. ولرهبان هذا الدبر وراهباته الاعناء الزائد في تربية الاولاد ولا سيما الايتام هذا فضلاً عما لهم من الابادي البيضاء في عمل الخير لانهم فضلاً عن فضائلهم التي ظهرت لحد الآن دون ان يقدر المتقن ان يرى فيهم بمكبرته عبياً تراهم يبذلون الجهد الجهد والكد الاكيد في ايام الازمنة والامراض القتالة في خدمة المرضى والمصابين بنوع يحل على التعجب والتعجب ويجبر المؤرخ ان يذكر ذلك لئلا يضيع ذكر المحسنين وقد ذكرت ما ذكرته شهادة للحنى واجابة لدواعي الذمة

ودبر الابهاء الفرنسي سكانيين وموقعة الى الشمال من سابقه على بعد قليل وقد تأسس بحسب ما قيل من نحو ٢٢٥ سنة وتجدد عقب سنة ١٨٦٠ بعد ان اصابه بما اصاب غيره فانسعت دائرته وتحسنت كنيسة المعقودة بالحجارة تحسیناً مهماً واضعياً لها قبة شاهقة العلو في راسها صليب نحاسي كبير. وفي هذا الدبر دائرة للرهبان ومدرسة بسيطة وقد انفقوا على بنائه ١٢ الف ليرة على ما قيل ودبر مار انطونيوس وهو مقابل الذي قبله من جهة الشمال ويختص بالطائفة المارونية وقد احترق سنة ١٨٦٠ وتجدد بعدها وكنيسة متوسطة الانساع وهي على اسم القديس انطونيوس البادواني وفي هذا الدبر راهبان احدهما الاب الشهباء الخوري يوسف كرم

وفي الصالحية كنيسة صغيرة تخص طائفة السريان الكاثوليك وهي حديثة ايضاً. وعلى هذا النمط تكون كنائس النصارى في دمشق سبعة عشر كنيسة اما كنائس اليهود فكثيرة جداً حتى يكاد يوجد في بيت كل غني حجرة كبيرة مفرزة للعبادة العمومية واما الكنائس العامة فعشرة اشهرها كنيس سوق الجمعة

جوامع دمشق

الجوامع في دمشق كثيرة العدد ومتفرقة في كل انحاء المدينة وتبلغ ١٥٣ جامعاً هذا فضلاً عن مقابر الاولياء الشهيرة والمدارس العديدة التي تقام بها الصلاة وإذا قصدنا ذكرها بالتفصيل ضاق عنها هذا الكتاب فنقتصر على ذكر الجوامع الأكثر شهرة واعتباراً وهي

اولاً الجامع الاموي وهو من اكبر جوامع المسلمين واقدمها واشهرها واجملها واثبتها بناء امير المؤمنين ابن عبد الملك ابن مروان كما تقدم وذلك بين سنة ٨٩ و ٩٦ هـ وجمع اليه اشهر الصنائع من مملكتي المتسعة واتاه باثني عشر الف صانع من بلاد الروم ايضاً فاني عظمياً جليلاً متقناً بالنقوش الحسنة والفسيفساء البلورية المدهونة بالوان الدهان الجميلة وانفق عليه ما لا جزيلاً لا يقل عن مئتين وخمسين الف ليرة

وكان في مكان هذا الجامع هيكل عظيم في ايام الاراميين علي اسم الهم رامون وكان لذلك الهيكل مذبح جميل امر آحاز ملك يهوذا بان يعمل مثله في هيكل سليمان في اورشليم. ثم اتخذ اليونانيون معبداً لآلهتهم وكذا الرومانيون وفي ايام ارخادبوس قيصر الروماني تخرب بعضه فبناه بناءً جميلاً وحوله كنيسة مسيحية علي اسم مار يوحنا المعمدان ولما فتح المسلمون دمشق دخل نصف هذه الكنيسة بمجوزتهم والنصف الآخر وهو الغربي بقي للنصارى فكانوا يصلون فيه وكانت كنيسة مار يوحنا هذه من الكنائس الكبيرة العظيمة جداً التي لا يوجد لها نظير في سوريا الا بانطاكية وكانت متسعة جميلة متقنة مزينة بافضل نقوش البناء وغيره ومحاطة بسور عظيم شاهق جداً وابوابها جميلة وعلي عتبة بابها الجنوبي كتابة باليونانية بقلم كبير لم تزل الى يومنا وترجمتها بالعربية : ملكوتك ايها المسيح ملكوت ابدى وسلطانك يمتد مدى الادوار

ولما قصد الوليد بناء الجامع لزمه القسم الذي بيد النصارى فطلبه منهم

وعرض عليهم مالا لبناء كنيسة غيره فابوا فاخذوه جبراً وهدمته واذا رأوا ذلك طالبوه بالمال فاجاب اعطاءه. وفي ايام خلافة عبد العزيز عرضوا عليه الامر فعرضهم بالكنيسة المريمية ونفقة بنائها من خزينته وقد دهم هذا الجامع نكبات كثيرة وتهدم اكثره بالحريق كما ذكرنا ذلك في اوقاته في الباب الاول فليراجع وطول هذا الجامع من الشرق الى الغرب مئتا خطوة وعرضه من الشمال الى الجنوب نحو مئة وخمسين خطوة وله من داخله رواق على جهات الاربع قائم على اعمدة وسواري متقنة وارضه مرصوفة بالرخام الملون وفي صحته بركتنا ماء على كل منها قبة قائمة على اعمدة متينة وحرمة مستطيل على طول الجامع ويمتد من الشرق الى الغرب وسقف الحرم قائم على اعمدة عظيمة شاهقة وفي وسط السقف قبة شاهقة جداً مغطاة بالرصاص وهي اعلى ابنية المدينة كلها سوى مواذن الجامع الثالث وترى من مسافة بعيدة وعلى راسها هلال عال ويسمونها بقبة النسر لعلوها وقيل لانها تشبه النسر لكون الرواقين في شألهما وبمينها كاجنحة لها وفي وسط الحرم قبة بغاية الجمال والمهابة وتسمى قبة النبي يحيى وهي قائمة على اعمدة متقنة الصنعة وفيه ايضا اربعة محاريب لاصحاب المذاهب الاربعة بنيت سنة ٧٢٨ وبانيها تذكر المار ذكره

وفي الجامع كثير من الحجر المخصصة بالزيارات منها مشهد الامام علي والحسين وعائشة وغير ذلك ما يستغرق التكلم عن مفرداته صحفاً كثيرة

وكل يوم يجتمع به عدد غفير من العلماء والمدرسين والائمة والسامعين والفارثين وله خمسة وسبعون مؤذناً يتناوبون الاذان بمواذنه الثالث باجل الاصوات وفيه كثير من المصاحف منها واحد بخط عثمان بتبرك به الناس ويقسمون عليه. وفي كل ليلة ينار المسجد بالوف من الفناديل حتى تخال الليل نهارة اما المواذن الثالث فهي اولاً ماذنة عيسى واقعة بشرقي الجامع لا مثيل لها في العلو وتعلو عن قبة الجامع نيف ومئة قدم واذا صعدت اليها يمكنك ان ترى دمشق وما حوّلها من القرى الى بعد شاسع وامامها من الغرب ماذنة اقصر منها

قليلاً ويقال لها الغزالية وهما قديمتان جداً كانتا في زمن الرومانيين واليونانيين على ما ذهب اليه بعض المؤرخين قال البصوري كان بكل زاوية منارة وبني ذلك اليونانيون للرصد فسقطت الشاليتان وبقيت القبلتان اهـ . واما الثالثة وهي الشالية ويقال لها مأذنة العروس بناها الوليد فانت بغاية الاتقان والجمال ومع انها اقصر من سابقتها تفوقها حسناً وجمالاً وقد تغزل فيها الادباء وذكرها محاسنها باشعارهم من ذلك ما قاله الفتح بن شهيد لنوم قاسوا حجارة ومساجدها بدمشق

قاسوا حجارة بجاني فاجبتهم هذا قياس فاسد وحياتكم
فعروس جامع جلق ما مثلها شقان بين عروسنا وحياتكم

وقد اشتمل هذا الجامع على اربعة مشاهد في كل جهة مسجد برمقة الحسن وبمقنة البهاء اما ابوابه الخارجية فسبعة ففي جهة القبلة باب العبرانية ويسمى باب الساعات وباب الزيادة قال فيه ابن نباتة

ارى الحسن مجموعاً بجامع جلق وفي صدره معنى الملاحه مشروح
فان يتغالى بالجوامع معشر فقولوا لهم باب الزيادة مفتوح

وفي جهة الغرب باب البريد وفي جهة الشرق باب جيرون وهو اكبر الجميع ومن جهة الشمال اربعة ابواب احدها صغير يفتح تجاه قبر الملك صلاح الدين والثاني كبير يفتح الى الكلاسة والثالث اكبر منه يسمى باب الفراديس والرابع الى الشرق ويسمى باب السلسلة او باب الكاملية . وفي هذا الجامع كثير من التحف الثمينة والساعات والمزاول لمعرفة الاوقات وايرادائه وافرة لكثرة اوقافه ثانياً جامع السنانية وموقعه امام باب الجابية بناه سنان باشا عندما استولى السلطان سليم العثماني على دمشق وهو حسن وشهير لوقوعه في نصف المدينة

والجامع المعلق موقعه بين العمارة والمحاربة وهو قديم ومتين
وجامع السويقة وهو قديم ايضاً وشهير على انه قد تخرب بعضه في هذه الايام
وجامع المصلى في باب المصلى بالميدان وهو متسع جداً وقديم ويقال بانه
اول جامع بني في الاسلام بناه ابو عبيدة يوم كان محاصراً دمشق

وجامع الشيخ محيي الدين بالصالحية جدّدهُ السلطان سليم العثماني عندما
 أتى دمشق ويقصدهُ الناس للزيارة كل يوم الجمعة وهو من أشهر جوامع الصالحية
 وجامع نكية السلطان سليم بالمرجة بناهُ السلطان سليم فاتى بغاية الجمال
 وجامع البدرقية في محلة القيرية بالقرب من الجامع الأموي وهو قديم جدّاً
 وكان في أيام الرومانيين دار الاسقفية ولم تنزل جدرانهُ القديمة باقية الى يومنا
 وتحسب من اثار المدينة واذا اعمت النظر حواله وانت سائر في الطريق
 ترى اعمدة بغاية العظمة والغلظ واقعة الآن في الجدران وعددها ليس بقليل
 ومنها يمكنك ان تستدل على اهمية هذا المحل القديم وما كان عليه من الفخامة وقد
 ظن قوم بانه كان قبلاً محل دائرة الحكومة لا الاسقفية الا ان المؤرخين يقولون
 ان دائرة الحكومة بدمشق كانت بباب البريد

وبالاختصار ان معابد الاسلام في دمشق كثيرة جدّاً فنقتصر على ذكر
 عددها لتبيان فضل المدينة

جوامع لاكثرها منارات شاهقة ١٥٢ . مساجد ٧١ . تكات ١٤ . ترب
 اولياء ومحلات زيارات مشهورة ١٦٤ . مدارس ٢٩ . ومجموع ذلك ٤٧١

حمامات دمشق

اجمع الذين ساحوا في جميع انحاء الممالك العثمانية وبعض الديار الشرقية على
 تفضيل حمامات دمشق عن غيرها لما فيها من الاثان والنظام والهندسة وغزارة
 المياه واتقان الخدمة والاكرام والاعتناء وبخس الاجرة بالمغتسل وترتيب حمامات
 دمشق واحد فان الحمام ينقسم الى دائرة خارجية في وسطها بركة مستديرة ينسكب
 فيها الماء من اربعة او خمسة انابيب وحولها مصاطب يخلع عليها المغتسلون
 ثيابهم ويقدم لهم ما يلزمهم من البشاكير والمناشف وما شاكل ذلك ودائرة
 للاستحمام تنقسم الى قسمين خارجي وداخلي ولكلٍ منها اجران ولكل جرن انبوب
 ماء حار وفي بعض الحماميم لكل جرن انبوبان واحد ماء حار وآخر

بارد اما سقف دائرة الاستحمام فهو عقد ذو زوايا صغيرة مستديرة يغطيها بلور
وسقف الدائرة الخارجية قبة شاهقة

وعدد حمامات دمشق ٥٨ حمامًا متفرقة في انحاء المدينة اشهرها حمام
الخياطين وحمام القيشاني وجدرائه مصفحة بالقيشاني وحمام النوفرة وموقعه بالقرب
من الباب الاموي الشرقي وحمام المسك وهوانق الحمامات واجملها موقعه في حارة
النصارى جدده بعد سنة ١٨٦٠ المرحوم منري شلحوب واصلى قناة مائه وحمام
الخراب وحمام الناصري في الشاغور. وحمام البكري. وحمام القمبرية وحمام الشيخ
ارسلان في باب توما. وغير ذلك من الحمامات المنتشرة في جميع الانحاء

قهواي دمشق

في دمشق ما ينيف على مئة وعشر قهواي بين كبيرة وصغيرة . وهي منتشرة
بانحاء المدينة ومن اشهرها قهوة السكرية في باب الجابية . وقهوة الفاحين بالقرب
منها . وقهواي الدرويشية كلها في الدرويشية . وقهوة العسرونية وهي متسعة كبيرة
موقعها براس العسرونية بنيت منذ اربع سنين . وقهوة المناخلة . وقهوة الجنبنة
بسوق الخيل . وقهواي العمارة بالعمارة . وقهوة الجاويش بالقيصرية . وقهوة الرطل
بباب توما . وقهوة باب السلام . وغير ذلك وثن فنجان القهوة بها بغير سكر
خمس بارات فيقصد بها الناس لاجل التسلية والاجتماع بعضهم ببعض

وفيها قهواي يسمونها كازينات وهي في سوق الخيل والمرجة وفي الصوفانية
خارج باب توما وثن فنجان القهوة عشرون بارة في بعض هذه القهواي وعشر
بارات في البقية فيقدر الغريب من اي رتبة كان ان يصادف شيئاً من اسباب
الراحة واذا قصد الاختلاط بالناس يجد لطفاً ودعة من مجادتهم وهذا من
دلائل اجماع الاهالي على محبة الغرباء

وفي الاربع السنين الاخيرة تجددت قهواي كثيرة في المرجة فصار الناس
يجمعون بها ليلاً ونهاراً في الفصول الثلاث وفي بعضها نهاراً في فصل الشتاء

وكان للهاوي اعتبار كلي في الايام السالفة لان جماعة الانكشارية كانوا يجلسون
بها ويصرون عددهم الحربية فوق الوجاق وكانوا يعتبرون تلك الصور كراية
يحمون عنها وكان من قتل قتيلاً وتوصل الى وجاق القهوة سلم

خانات دمشق

خانات دمشق كثيرة وعددها ١٢٩ خاناً متفرقة في انحاء المدينة وهي على
نوعين نوع يختص باصحاب التجارة وهو في المدينة (اي مجموع الاسواق) ونوع
للدايم والاية المكارين وبعض الفقراء وهو متفرق بكل الانحاء
اشهر خانات التجار خان اسعد باشا وهو اعظم خانات الشام بناؤه جميل
من حجارة مدماك ابيض ومدماك اسود وفي صحفه بركة كبيرة مستديرة حسنة
المنظر وفوقها قبة عظيمة شاهقة العلو قائمة على سواري عظيمة متينة ويقسم الى
قسمين سفلي وعلوي وفي كل منهما حوانيت للتجار بعضها كالفاعات ويقصد هذا
الخان اهل السياحة للتفرج عليه لما به من الجمال وصناعة البناء ومن الغرائب انه
حوى ادق صنعة من عمل الحجارين وقد اظهر بعضهم الاندهاش من انقان بابه
وجاله وعلى جانبي بابه فستقتان حسنتان يشرب منها النسيم واذا دخلت اليه
تجد عن يمينك ويسارك سلمين حجرين يوصلان الى الطابق العلوي وفي هذا الخان
حوانيت اكابر التجار وخصوصاً الذين يتجرون الى العراق العربي وبلاد النجف اما
بانو فهو اسعد باشا العظم وذلك من نحو قرن ونصف تقريباً . وخان العمود
امامه . وخان سليمان باشا في الجبالين ويقال له خان الحماصة لان تجار حمص
ينزلون فيه وهو ثاني خان اسعد باشا في الجمال والاتساع . وخان الزيت . وخان
المرادنية . وخان الخياطين او خان الجوخ . وخان الزعفرانية . وخان الشيخ قطنا .
وخان الجوار . وخان المرادية . وخان الجمر ك وكان اولاً مركزاً للجمر ك وستة
١٨٦٤ نقل الجمر ك منه فاشتراه متري افندي شلوب وعمله سوقاً ثم اشتراه
شمعايا افندي والآن يُعرف به وفيه بعض كبار الصيارفة وكل هذه الخانات

قديمة جميلة متقنة . ويوجد خانات غير هذه اعرضنا عن ذكرها
اما النوع الثاني فاشهر خاناته بسوق الخيل والعمارة وباب المصلى والشاغور
والعابية ويمكن الغرباء النزول بها ولا يلتزمون ان يدفعوا اجرة الحجرة اكثر
من ١٥ غرشاً في الشهر

لوكنات دمشق

ليس في دمشق الا لوكنة واحدة للمرحوم ديتري كره موقعها في سوق
الخيل وهي جميلة مرتبة لا يلتزم المسافر ان يدفع فيها يوماً اكثر من خمسين غرشاً

فصل

في اقسام دمشق

نقسم دمشق الى قسمين بالنظر الى القدمية قسم داخل السور وقسم خارجة
فالاول قديم جداً والثاني بني في العصر الاسلامي شيئاً فشيئاً وهو جزء كبير
من الشاغور والميدان الفوقاني والتحناني والقنوات والمخصة وحارة الجديدة
والعقبة والعمارة الداخلية والعمارة البرانية ومسجد القصب وكل هذه واقعة الى
الغرب وبعض الشمال والجنوب من السور واما الى الشرق فلا عمارة على الاطلاق
واما بالنظر لما هو معروف في دفاتر الحكومة فنقسم دمشق الى ثمانية اثمان وهي اولاً
ثمان القيصرية ويدخل فيه حارة النصارى وحارة اليهود . ثانياً ثمن الشاغور . ثالثاً
ثمان الميدان الفوقي . رابعاً ثمن الميدان التحتي . خامساً ثمن القنوات . سادساً ثمن
العقبة . سابعاً ثمن العمارة . ثامناً ثمن الصالحية . وكل ثمن يقسم الى احياء

ابواب دمشق

نقدم ان قسماً من دمشق خارج الاسوار وقسماً داخلها فالذي خارج الاسوار
له مخارج كثيرة العدد لا يعتبرونها ابواباً للمدينة واما الذي داخل السور فله
ثمانية ابواب وهي قديمة العهد جداً فمن الشمال اربعة ابواب وهي باب توما جدده
زنكي المار ذكره في ايام السلطان محمد بن قلاوون وذلك سنة ٧٦٤ هـ . وباب

السلام جدد سنة ٦٤١ هـ . وباب العمارة وهو باب الفراديس له تاريخ لم يتمكن من قراءته . وباب البوابجية وهو باب الفرج جدد في ايام سيف الدين ابي بكر بن ايوب سنة ٦٠٦ هـ وهذا الباب مشهور جداً وكانوا يتفاءلون به بالخير وقد ذكره الشيخ عبد الغني النابلسي بقوله

قل ما تشا عن جلقٍ وانسب لها ولا حرج
فالخير واليمن بها وبابها باب الفرج

ومن الغرب بابان الاول باب السرايا بقي كما كان قبلاً الى سنة ١٨٦٢ م عندما اصلحت الطرقات في ايام شرواني باشا فهدم . والثاني باب الجابية جدد سنة ٥٦٠ ومن الجنوب باب الشاغور وهو المعروف بالباب الصغير ومن الشرق الباب الشرقي وهو من زمن الرومانيين كان له على كل جانب باب صغير عمل امامة الاسلام ابراجاً ولها باب آخر من الجنوب قريب من الباب الشرقي وهو مسدود في هذا الوقت ويسميه النصارى باب بولس لانهم يقولون بان بولس الرسول دلي من نافذة فوقه يوم ثار عليه الاضطهاد اما المسلمون فيسمونه باب كيسان

حصون دمشق

اشهر حصون دمشق قلعتها وهي قديمة جداً يظن بانها اسست من بداعة العصر الاسلامي وهذه القلعة واقعة غربي المدينة ما يلي الشمال وطولها من الشرق الى الغرب ٢٣٠ خطوة وعرضها من الشمال الى الجنوب ١٧٠ خطوة وابراجها عالية جداً حتى يكاد يبلغ علوارفعها نيف وتسعين قدماً وقد كان قبلاً يسكنها الناس ويقيم بها ملوك دمشق ونوابها وكانت تجنوي على القصور والقاعات المتقنة ودامت كذلك الى ايام ابراهيم باشا واما في ايامنا هذه فاضحي كل ذلك خراباً ولم يبق بها الا مخازن المهمات للعساكر الشاهانية وقد داهمها الخراب مراراً واعيد بناؤها كما ذكرنا ذلك في محلاته . وهذه القلعة بابان كبيران وباب صغير مردوم وهي بغاية المنانة وحرها خندق عميق تجري فيه المياه ويمر نهر بانياس في

وسطها . وسنة ١٨٦٢م انشأت الحكومة قلعتين صغيرتين واحدة في حارة النصاري في محلة طالع القبة والثانية في الميدان الفوقاني قرب الجزمانية وسنة ١٨٧٣م انشأت محلاً آخر في المرجة عن شمال طريق المركبات المؤدي الى بيروت ووضعت به الذخائر القابلة للاحتراق وهذه المحلات وان تكن صغيرة يمكن ان تحسب من الحصون . وفي دمشق اكثر من عشرة منازل للعساكر الشاهانية يسمونها قشلاً وكلها بالقرب من سراي العسكرية وتسع نحو عشرين الف جندي مهمتهم

فصل

في مياه دمشق ومنزلها

قيل ان دمشق تشرب من سبعة انهر وكثر لغط الناس بذلك وهذا اكيد على ان هك الانهر تنفرع من واحد في الاصل وهو نهر بردى وبعد ان تسقي البساتين والمدينة يرجع الفائض منها اليه ويسير به ويصب في بحيرة المرح شرقي المدينة على بعد ١٥ ميلاً منها . ومخرج هذا النهر من جنوبي قرية الزبداني ومن هناك يسير في سهل الزبداني المتسع الخصب وبعد ان يقطعها ياخذ بالانحدار في وادي بردى المسمى بوادي البنفسج ووادي الذهب ايضاً ويمر بسوق وادي بردى ومن هناك تفرق منه شعبة صغيرة تسير في قناة قديمة محفورة في الصخر لتسقي الاراضي المرتفعة والباقي يسير في ذلك الوادي وتنسكب فيه عين كثيرة فتسقى به البساتين والحدائق التي على ضفتيه ولما يصل الى قرية الفيحة ينضم اليه نبعها المساوي له في الغزارة . ومن هناك يسير النهر الى قرية بسيمة وبينها وبين الفيحة على بعد عشرة دقائق من بسيمة عين الخضراء وما ادراك ما عين الخضراء نبع زلالي لجبني يخرج من سفح الجبل ويسير في قناة قديمة وعلى احد جوانبه مرجة صغيرة كسبتها يد الطبيعة ثوباً سندسياً والنهر من جانبها الآخر يزيد جلالاً والجبال الشاهقة حولها تعطيمها مهابة حتى اضمحت سلواناً للغريب وصفوا للغريب وفي كل اسفاري بسوريا لم ارم ماء كماءها في النقاوة والجودة . وقد اعثنى الاقدمون

وجروا ماءها بقناة بسية ونقروا تاريخ ذلك على صخر هناك على انه لطول الایام
اندرست احرفه ولم يبق منها الا ما قل جدا

ثم يمر بالاشرفية والجديدة والهامة وعند جسر الهامة ينقسم النهر الى قسمين
علوي وسفلي فالعلوي يسمى يزيد (قال التاجي ان نهر يزيد بسفح الجبل
المعروف بفاسيون بدمشق حفره يزيد بن ابي سفيان (اخو معاوية) والسفلي
يظل اسمه بردى وبالقرب من دمر ينقسم من بردى قسم آخر يسمى النهر الدبراني
يسير نحو داريا مارا تحت جسر طريق المركبات المؤدية الى بيروت

واذا سرت مع النهر على طريق العربات وقصدت الوجه الى دمشق
يكون بردى عن يمينك ويزيد عن يسارك يبعد عنك قليلا فعند وصولك الى
جسر الخشب الذي يبعد عن دمر نحو ميل واحد ينقسم نهر ثورا ويكون عن
يسارك ايضا وبعد هنيهة يقسم نهر القنوات ثم نهر بانياس وما يبقى يظل اسمه
بردى اما القنوات وبانياس فيدخلان المدينة في اقنية ويتشعبان في دورها
ومعابدها وشوارعها وحماماتها وما يزيد منها يضم الى بردى . والنهر الدبراني
يقسم منه شعبة عند وصوله الى داريا وتسير باقنية وتسقي جزءا من الميدان واما
يزيد فيدخل الصالحية ويسقي بساينها ودورها وما يبقى منه يسير فيسقي بعض
القرى واما ثورا فيجوز بين بساين الشام الشمالية ويسقيها ويدخل منه شعبتان
الى المدينة وما يبقى تسقي منه بعض القرى واما بردى فحين يدخل المدينة ويصل
الى القلعة يقسم منه نهر يسمى عقربا فيدخل مع بردى المدينة ويدبران ارحية
كثيرة بها وبعد ذلك يخرجان من باب توما وتصير المياه الزائدة عن المدينة
تنضم اليها ثم يتفرقان على القرى لسقاء البساتين وبعد ذلك تنضم بقايا جميع
النهر الى واحد يصب في بحيرة المرج وبهذا الاعتبار يقال ان الشام تشرب من
سبعة انهر وهي : بردى . يزيد . الدبراني . ثورا . قنوات . بانياس . عقربا .

وقد جمع ذلك بعض الفضلاء بقوله

شوقي يزيد ودمع الصب ما بردا وبان يأس من المحبوب حين بدا

ومدعي قنوت والعدول حكى ثورا يلوم النني في عشقه حسدا
على مغنية بالجحك جاوبها وخلصا مات في خلخالها كهدا

منتزهات دمشق

اجمع الباحثون واهل السياحة على ان دمشق كلها نزهة وعدوها جنة الارض
لنضارتها وكثرة مياهها وبساتينها وحدائقها . واجل اوقاتها ربيعها واجل اشهر
ربيعها اذارها حتى قالوا : دمشق في اذارها جنة في ازهارها . ومع ان طرقات
المدينة مقحطة لارتفاع الجدران وعلاوها والنصاق البناء ترى داخل كل دار
نزهة محصورة واذا صعدت على مرتفع او على سطح ترى الاشجار والبساتين تحيط
بالمدينة من كل جانب احنياط الهالة بالقر واذا خرجت من ابواب المدينة
لا ترى الا حدائق غناء ومياهًا جارية واشجارًا نامية وطيورًا مغردة وحقولًا جميلة
خضراء ونسيمًا رقيقًا حتى لا تسير بجمل الا وتجد فيه من اسباب الحظ والانسياط
ما يسرك وينشرح به خاطرك ومع ان كل مكان خارج دمشق بحسب روضة
تجد في كل ناحية جنائن وحدائق خصوصية يقصدها القوم رجالًا ونساء المنزهة
فمن منتزهات دمشق المرجة والصوفانية والطويلة والصالحية التي قبل فيها
الصالحية جنة والصالحون بها اقاموا

وغير ذلك مما يطول شرحه اقتصرنا بالالماع اليه لشهرته

واذ كانت دمشق بهذه الدرجة من التزاهة فبالقدر يج قوي في اهلها حب
السرور والانشراح وصاروا لا يضي عليهم يوم بدون شيء منه بالنزهة ومهما
كانت غمومهم يتركونها خارج ابواب المنتزهات فيضحون كمن لا هم لهم وربما تعجب
الغريب اذا رآهم منصبين على الصفو بهذا المقدار وقال بانهم لقوم كسالى يابون
الاشغال وينفرون من الاعمال ولكن ان بحث في احوالهم واطال الاقامة بينهم
يرى ان لا شيء عندهم ما توهم وما يراه منهم من حب الانشراح انما هو ناجم عن
امر خدمة الجسد المتعب من الشغل فبالنزهة راحة بعد تعب الاشغال

اما التنزه عندهم فله محلات معلومة وايام معدودة وهي سبع ثلاثات وسبعة
سبوت وخمسة خمسة وتبتدي في اوائل شهر اذار عندما تاخذ الاشجار تطلق
ازهارها ففي الثلاثات يخرجون الى الصوفانية ويجتمعون على شطوط الانهر
التي بها ويزورون الشيخ ارسلان وفي السبوت ينتشرون للتنزه في المرجة الوفا
نساء ورجالاً وكانوا في الايام السالفة لا يشتغلون في السبوت بل ينتزهون
وفي الـخمسة يقصدون محلاً في جبل قاسيون اسمه الاربعين ويقومون به
باسباب الانشراح . واذا دخل غريب دمشق في الايام المذكورة من احدى
هذه المحلات يظن بان سكان دمشق نحو مليون نسمة كما انه لو جاز في اسواقها
يوم الجمعة او يوم وقفة عيد ظن ذلك الظن نفسه

ومن ايام التنزه العمومية وقت النيروز ويتبتدي في ١٢ اذار فيخرج الناس في
ايامه باكراً الى البراري والبساتين ويرجعون بعد الشروق بوقت قصير

فصل

في تربة دمشق ونباتاتها واشجارها وهوائها

تربتها * الاراضي المحيطة بدمشق جميعها سهول حمراء التربة جيدة فيها كثيرة
المخصب واصحابها اولو جد واعناء كلي في امر الزراعة وقد برعوا بهذا الفن وفاقوا
به جميع السوريين ومع انهم يزرعون الارض الواحدة في السنة مراراً تراها دائماً تاتي
بمستغلات متنوعة وذلك لكثرة الجود وجودة التربة وغزارة المياه ومناسبة الفصول
محاصيلها * محاصيل دمشق الحنطة والشعير والباقياء والقصه والجلباء
والكرسنة والقطاني والذرة الصفراء والبيضاء والفول واللوبياء والباقياء والشمر
واليانسون والمصفر والقنب والبندورة والباذنجان الاسود والكرنب والقرنبيط
والملفوف (بخنء) واللفت والشوندر والبصل والكراث والثوم والفجل والفلقاس
والرشاد والارضي شوكي والبطاطا والخيار بانواعه والفناء والكوسا والبطيخ
بانواعه والسلق وغير ذلك وكل هذه الاصناف يكبر حجمها جداً وكثرة محصولها
تباع باثمان بخسة جداً وينبت بدمشق ايضاً انواع الزهور الشرقية وخلافها مع

كثير من العقاقير الطبية

اشجارها * لكثرة اشجار هذه المدينة أصبحت كلها غياضاً مرتبة ذات منظر
هي الى الغاية ونقسم اشجارها الى قسمين مثمرة وعقيمة فالمثمرة منها المشمش بانواعه
كالحموي والبلدي والسندياني والكلاي . والنفاج بانواعه والتوت والخوخ
بانواعه والدراقن بانواعه والعنابية والوز والقراصية والجوز والكثيرى بانواعه
والسفرجل والربان بانواعه والزيتون بانواعه والكرم بانواعه والآس والين
والزعبول والليمون بانواعه الى غير ذلك من الاشجار المثمرة وكل اثمار هذه
الاشجار كبيرة الحجم وتباع باسعار بخسة لكثرتها

واما العقيمة فهي الحور والصفصاف والغار والدلب والدردار وكل ذلك
كثير الوجود واكثره يزرع على شطوط الماء للانتفاع باخشابه

هواؤها * هوا دمشق جيد حسن في كل الفصول الا الخريف فان
الهواء فيه يتغير ويصير مضرًا بالصحة والكثرة المياه في دمشق تتولد فيها الامراض
العفنية في ذلك الفصل وفي بعض الاحيان تفسو فيها حميات قتالة يموت بها
كثيرون من الناس ومما يساعد امتداد هذه الامراض عدم نظافة الطرقات
والمامل بان الوالي الحالي اهتمت بمدحت باشا لا يغفل عن هذا الامر

فصل

المعارف في دمشق

تالآت هذه المدينة بنور المعارف في الايام الغابرة ونالت قصب السبق في
مضمار الآداب ولا سيما في زمن الدولة الاموية فقد شاد خلفاء تلك الدولة وغيرهم
المدارس والمكاتب وانفقوا عليها الاموال الجزيلة ووقفوا عليها الاوقاف الكثيرة
فانصب اهلها على العلم فافتحو ونبغ منهم جم وافر من العلماء الاعلام ممن افتخر
بهم المشرق على انه لكثرة ما طرأ عليها من الحروب والثغلبات السياسية دالت
دولة العلم فيها فاهامت مدارس وتشتت شمل مكاتبه . ولكن لما ظهرت تباشير
الامن في الايام المتاخرة عزم بعض ذوي الفضل الذين لم تغل دمشق منهم قط

على ارجاع شوكة العلم وتعزيز شأنه واخذوا يبذلون ما بوسعهم لجمع شذيت
المكاتب والممول انهم يفوزون رغماً على كل مانع يحول دون مقصدهم المبرور .
اما عدد المدارس في هذه السنة وتلاميذها فهو كما يأتي مفصلاً

مدارس النصارى

مدارس المذكورة تسعة وهي مدرسة الروم الارثوذكس وكلها يومية تدرس
فيها العربية بفروعها والتركية والفرنساوية واليونانية والجغرافيا والحساب
وفيها سبعة معلمين ومئتان وتسعون تلميذاً ونفقتها السنوية نحو اربعين الف غرش
تجمع من ابناء الطائفة ومن ابرادات مخصصة بها ولها نشرة سنوية تبين اعمالها .
والمدرسة الانجيلية وتدرس فيها العربية بفروعها والتركية والانكليزية والحساب
والجبر والهندسة واللوغرثمات والفلسفة الطبيعية وفيها ستة معلمين ومئة
وعشرون تلميذاً ونفقتها من مجمع كنيسة اراندا القسوسية . والمدرسة البطريركية
الكاثوليكية انشأها غبطة البطريرك غريغوريوس وانفق عليها ما ينيف على
الف ليرة وكان افتتاحها في غرة اذار سنة ١٨٧٥ وتدرس فيها العربية والتركية
والفرنساوية وفيها عشرة معلمين ومئتان وخمسون تلميذاً ودخلها السنوي من
التلامذة ثلاثة عشر الف غرش ونفقتها ستة وعشرون ألفاً والبطريرك يدفع
الفرق من ماله الخاص . والمدرسة الكاثوليكية السريانية وتدرس بها العربية
والفرنساوية وفيها معلم واحد وخمسون تلميذاً . ومدرسة الارمن القدماء
وتدرس بها الارمنية وفيها معلم واحد وخمسة وعشرون تلميذاً . ومدرسة السريان
اليغوبيين تدرس بها العربية والسريانية وفيها معلم واحد وخمسة وعشرون
تلميذاً . والمدرسة العازرية وهي مدرسة متقنة تدرس بها العلوم الدينية والعربية
بفروعها والفرنساوية واللاتينية والحساب والتاريخ والجغرافيا وفيها ثمانية معلمين
ومئة وستون تلميذاً . ومدرسة الفرنسيسكانيين تدرس فيها العربية البسيطة وفيها
معلم واحد وخمسون تلميذاً . والمدرسة الانكليزية اليهودية وهي مخصصة باليهود
وتدرس بها العربية والعبرانية والتركية وفيها ثلاثة معلمين وخمسة وعشرون تلميذاً

واللصاري ثلاث مدارس اخرى في الميدان وهي المدرسة الكاثوليكية وفيها معلم واحد وستون تلميذاً والارثودكسية وفيها معلم واحد وخمسة واربعون تلميذاً. والانكليزية وفيها معلم واحد وخمسة واربعون تلميذاً وفي جميع مدارس الذكور ١١٤٥ تلميذاً و٤١ معلمًا

مدارس الاناث سبع وهي : مدرسة الروم وتعلم فيها العربية والفرنساوية والحساب والجغرافيا وفيها اربع معلمات ومئة وخمسون تلميذة. والمدرسة الانكليزية وتعلم العربية والانكليزية والحساب والجغرافيا وفيها خمس معلمات و١٢٠ تلميذة بعضهم من اليهود. والمدرسة الميسوعية تعلم بها العربية والفرنساوية وفيها اربع معلمات ومئة واربعون تلميذة والمدرسة العازرية وهي اتقن مدارس الاناث بدمشق وفيها خمس مئة بنت واربع عشرة معلمة. والمدرسة الانكليزية الاسلامية انشئت سنة ١٨٧٨ وفيها معلمة واحدة وخمس وثلاثون تلميذة. ومدرسة الكاثوليك في الميدان وفيها معلمتان وستون تلميذة. والمدرسة الانكليزية في الميدان وفيها معلمتان وخمس وخمسون تلميذة. وفي الجميع ١٠٧٠ تلميذة و٢٢ معلمة ونفقة هذه المدارس كلها كل سنة ثلاثة آلاف ليرا نصفها من اهل الوطن ونصفها من الاجانب

مدارس المسلمين

مدارس المسلمين في هذه المدينة كثيرة منها ما هو لدرس العلوم الدينية واللغة والفقه ومنها ما هو لدرس مبادئ القراءة اما مدارس النوع الاول فعدد طلبتها نحو ٧٠٠ ولا يمكن الجزم في ذلك لان اكثر العلماء يدرسون في بيوتهم او في الجوامع واما مدارس النوع الثاني فقد احصتها الحكومة سنة ١٢٨٨ هـ فكانت ٧٤ مدرسة للذكور وفيها ١٢٠٠ تلميذ و٢٨ مدرسة للبنات فيها ٢٤٩ بنتًا. وللحكومة اربعة مدارس رشدية فيها ٢٥٠ تلميذاً ومكتب حربي استعدادي فيه ستون تلميذاً ومدرسة حربية كلية فيها مئة تلميذ. وفي هذه السنة اي سنة ١٨٧٩ اقام حضرة صاحب الدولة والابهة مدحت باشا جمعية دعاها الجمعية الخيرية واناط بها امر تعميم المعارف بين الامة الاسلامية فانشأت حالاً ثمانى مدارس

مرتبة وفي نيتها ان تنشئ مدارس اخرى للذكور والاناث وقد توارث الطلبة عليها
فبلغ عددهم نحو الف ومئة ونفقة هذه المدارس من اهل الاحسان . وقد انشئ
مدرسة للبنات بلغ عدد تلامذتها ١٥٠ قيل وفي نية ابناء انشاء مدارس عالية
عمومية لجميع الطوائف

مدارس اليهود

اليهود اثنتا عشرة مدرسة بسيطة فيها ٣٥٠ تلميذاً ويدرسون فيها مبادئ
دينهم باللغة العبرانية والعلم عندهم في درجة دنية مع انهم اغنياء وفي وسعهم ان
ينشئوا مدارس عالية

الجمعيات الادبية

في دمشق جمعيتان ادبيتان فقط وهما جمعية رباط المحبة وهي فرع من
جمعية اتحاد الشبان المسيحيين بلندن تأسست سنة ١٨٧٤ ومقصدها مضادة
روح الكفر والملكات الردية كالسكر ونحوه وتهذب الشبان المسيحيين وتقويتهم
في المبادئ الدينية المسلم بها من جميع الطوائف النصرانية ومساعدة المرضى
والمحتاجين ولا تتعرض للامور السياسية على الاطلاق وعدد اعضائها ٢٨ من
قانونيين واكراميين ومراسلين . والجمعية التاريخية وقد انشئت سنة ١٨٧٥
وغايتها البحث في العلم والتاريخ ولا تتعرض للمسائل السياسية ولا الدينية وعدد
اعضاءها ينيف على السبعين

مكاتب دمشق

قد ذكرنا انفاً انه كان في دمشق مكاتب شهيرة ولقد لعبت بها ايدي
الخراب فلم يبق منها الا القليل ومن اشهر ما بقي منها الى يومنا هذا المكتبة العمرية
بالمدرسة العمرية بالصالحية فيها كتب نفيسة وكما خط واكثرها نادر الوجود .
ومكتبة الشيخ خالد بالفناوات في بيت الشيخ عمر المحضرة وكل كتبها خط . ومكتبة
عبد الله باشا بمدرسة عبد الله باشا وكتبها خط منها تاريخ الشام لابن عساكر في
ثمانين مجلداً . ومكتبة الاشماسية بمدرسة قرب الجامع الاموي وكل كتبها خط

أما مكاتب النصارى فكان فيها من الكتب العربية واليونانية ما لا وجود له في غيرها ولكن دهمها الحريق سنة ١٨٦٠ فلم يبقَ منها شيء . سنة ١٨٧٦ سعى الدكتور بطرس الميركاني بتأسيس مكتبة عمومية توفى للطائفة الانجيلية فجمع مكتبة صغيرة حوت كتباً مفيدة ولم تنزل العناية مبدولة في توسيعها وتحسينها

فصل

في صنائع دمشق ونجارتها

وُجِدَتْ الصنائع في دمشق منذ زمان طويل واعتنى بها الدماشقة فافلحوا وحُسِّبَتْ مدينتهم من الطراز الأول بين مدن الصنائع الشرقية حتى صار اسمها عالماً لبعض المصنوعات المتقنة كما سترى . ثم سقاها الزمان كما سقى غيرها من مدن المشرق وتناوبتها النكبات فامست وليس لها من صنائعها الكثيرة إلا اثر بعد عين لان قسماً منها هاجرها والى رحلة في بلاد الافرنج كصناعة الوشي المسمى عندهم دمسقوى الآن . وقسم ركب طريق الفارظين كصناعة السيوف الدمشقية التي فقدت منها منذ تغلب تيمور عليها . وصناعة القيشاني التي فقدت في القرن الماضي لانحصار عملها في قوم افناهم الزمان ففويت معهم ولم تنزل مصنوعاتهم الى الآن شاهدة بذكائهم وحسن انقائهم لها . وصناعة دهان البيوت وقد فقدت ايضاً في اواخر القرن الماضي واولائل الحاضر ولم تنزل آثارها في بيوت كثيرة من المدينة وقد مرَّ على بعضها نيف وثلاث مئة سنة ولم تنزل برونقها كانتها عمات امس وفقدت ايضاً غير ذلك كثيراً من الحرف مما لا يجدي تعدادُه إلا الاسف

أما النسم الباقي فيكاد يكفي الدماشقة وينمهم عن غيرهم اذا سعلوا في انقائه وترويح . ويقسم الى خمس حرف اولها النسيج وهو اهم عندهم لكثرة العاملين فيه ولانه محور اعمال المدينة ومصدر تجارتها وثانيها الدباغة وثالثها الصباغة والرابعة ورابعها البناء ومعلقاته وخامسها الخياطة ولكل منها فروع كثيرة ولا نقدر ان نعين وقت دخول هذه الصنائع الى دمشق على اننا نرجح انها

كانت قبل الإسلام وإن المسلمين أخذوها عن سكان المدينة الأصليين ونسنتج هذا من بعض الأدلة التاريخية منها أن العرب وجدوا فيها كثيراً من الصنائع المقيمة وقت الفتح وكانت مصنوعاتهما في غابة الانقار أيام الدولة الأموية وهي أول دولة إسلامية قامت في دمشق . ومنها أن كثيراً من صنائع الدماشفة كالصباغة والبناء وإهم فروع النسيج لم يزل منحصراً في الأمة المسيحية . هذا ولا يمكن إلا أن نقول أن العرب قد حسّنوا أكثر صنائع دمشق وأدخلوا بعضها حديثاً فمن ذلك عمل القيشاني الذي لا يوجد منه ما هو مصنوع منذ أكثر من ست مئة سنة فلا مرأه أنه من مخترعات العرب . على أن البعض حاولوا نسبة اختراعه إلى غيرهم وقالوا أن الروم علّوا ما يشبهه وهو الفسيفساء البلورية الموجودة في الجامع الأموي وفي كنيسة بيت لحم الكبيرة وفي قبة الحرم الأقصى بالندس الشريف . وذلك مردود لأن بين الفسيفساء والقيشاني بوناً عظيماً في الجوهر والصنعة . وما زالت صنائع دمشق تزدد حسناً وانتشاراً إلى أن فتحها تيمور الفاتك في ربيع الآخر سنة ٨٠٣ هجرية فأمّن أهلها وقبّل ما قدّموه له من نفائس الهدايا مما يصنع في مدّ يدهم ثم نكث إيمانه بعد عهده وأطلق العنان لرجالو فنهوا المدينة وعثوا فيها وأثخنوا في أهلها وأضرروا النار في أرجائها . أما الصنائع فكانت مصيبتها مضاعفة لأنه لم يكتف بها لحقتها من الضرر بخراب المدينة بل اختار كل من كان ذا شهرة فيها وأخذ معه لما قام عنها . وقد ذكر ذلك جماعة من المؤرخين منهم صاحب كتاب عجائب المقدور إذ يقول "وبعد أن أمست النار تلعب بأنحاء المدينة وتهلك أبنيتها الحسنة الجميلة سار تيمور عنها يوم السبت في ٢ شعبان سنة ٨٠٣ قاصداً الجهة الشمالية التي منها أتى وقد أجلى معه بعض الأعيان وأصحاب الفضل وكل ماهر بفن من النساخيت والخياطين والذين يصنعون السيوف البواتر من اشتهرت بهم دمشق" . وبما أن تيمور أجلى أحدى العملة اقتصر الصنائع بعدهم على التقليد وكانت صنائعهم تحط جودة وقيمة بتوالي الزمان ولكنها بقيت في المرتبة الأولى بالنسبة إلى صنائع سورية

اما صناعة النسيج فحافظوا عليها كل المحافظة لشدة ازومها وكثرة دخلها
وانساع منجرها ولا سيما في الايام السالفة قبل ان انتشرت البضائع الافرنجية في
بلادنا . وبقيت صناعة نسيج الحرير على غاية الاتقان مع انه لم يحصل تحسين في
آلاتها وسبب ذلك انحصارها في الامة المسيحية التي لا املاك لها بل تعيش من
صنائعها ورخص الحرير في الايام السالفة واقتصار الاهالي على استعمال منسوجاتهم
اما الآن فقد نكبت صنائع دمشق اعظم نكبة ولا سيما صناعة النسيج لسبب
غلاء الحرير وكثرة انتشار البضائع الافرنجية مع عدم متانتها . وهذا مما دعا
الحاذق السيد عبد المجيد الاصفر ان يقلد الالاجه بالغزل ليتمكن ابناء الوطن
من استعماله ولضيق ذات يده انضم الى السيد حسن الخانجي فامدّه وبعد الجهد
نال مراده وراج عمله بين الخاص والعام واقتدى به بعض العامة وزادوا عمله
انقانا فاضى نسيج الديما صناعة مهمة يعيش بها الوف . ومنذ نحو عشرين سنة
استنبط رجل من بيت مرتضى شكلاً جديداً منقوشاً نقشاً جميلاً فراج كثيراً ثم تبعه
السيد درويش الروماني وقلد القلاووظ الافرنجي المعرق بمساعدة الخواجه
جرجي ماشطه على ان النساء ايبن لبسهُ لانه غير مشرف بوسام افرنجي فعدل عن
عمله . ومنذ مدّة وجيزة رأى الحاذق الخواجه يوسف الخوام انصباب القوم على
لبس البطلون واحتياجهم الى نسيج خفيف يناسب الصيف فغير وزاد في نول
الديما واتى بنسيج احسن من النسيج الافرنجي وارخص فنال ثناء الجميع ولو اهتم
جميع الصناع اهتمامه في اصلاح صنائعهم لفازوا فوزاً واغنى البلاد عن النسيج
الافرنجي في برهة قليلة

اما انوال النسيج فقد قلّ عددها في وقتنا الحاضر عما كان في بداءة هذا
الجيل وما بقي منها فهو ١٦٠٠ نول الاجه و ٦٥٠ قطني و ٢٢٠٠ ديماء و ١٥٠
شالات حرير وشالات غزل و ٢٥٠ كفيات حرير وكفيات غزل و ٥٠ زنار
طرابلسي حرير و زنار طرابلسي غزل و ٥٠ فوط وملابى حرير وغزل وبوشبه الخ
و ٢٠٠ كريشه وهرمزي وسلطانية ومجتمع هذه الانوال ٥٢٥٠ نولاً

وهذا الانوال مع ما يتعلق بها كافية لتشغيل ستة عشر الف نسمة
اما صاغة دمشق فلم اطول باع في صنعهم وكذلك الدباغون و يبلغ
عدد هم نحو خمس مئة نسمة واما التجارون فقد نجحوا نجاحاً مهماً في صنائعهم في
الايام المتأخرة حتى صاروا الاعمال الاوربية وفاقوها اتقاناً وكذلك البنائون
والفخاتون والسرجيون واما الحدادون فاعمالهم متأخرة

وسنة ١٨٦٠ اجتمع بعض الاعيان وعملوا كرخانة تدبر آلياتها المياه وانفقوا
عليها ما لا جزيلاً على انه لعدم حسن غزلها توقف حالها مدة فتناقص ثمن اسهمها
ولكن في المئة المتأخرة صار تشغيلها ويازها كل يوم من الفطن نحو سنين رطلاً
وفي دمشق صنائع كثيرة اعرضنا عن ذكرها اكتفاء بما ذكر

تجارتها

نجمت تجارة دمشق في الازمنة الغابرة اعظم نجاح وازدادت تقدماً بعد سقوط
تدمر ونحوت شجارة الهند اليها وجمعت بين منجر اوربا واسيا لحسن مركزها فصبت
فيها انهر الثروة وتكفل موقعها الحسن مع الصالح التجارية ان يعيها عامرة
بعد كل بلية تحيق بها ومصيبة تدهمها حتى اصبحت مع كبر سننها وعظم شيخوختها
كعروس تبلي بين مدائن سوريا وبما انها باب الحجاز كان كل سنة يتقاطر اليها
الحجاج افواجا من بلاد العجم وبر الاناضول والرومي والعراق وغيرها فتروج
تجارتها على انه منذ اتصاف هذا القرن اخذت تمخط الخطا سريعا لان قوات
خارجية ضادتها وتغلبت على مركزها التجاري وسلبته واول نكبة دهمتها تسببت
عن سير سفن البخار في البحار فخرت تجارتها البرية مع الاستانة
والروم ابلي وبر الاناضول وغيرها وتحوّل ذلك الى الموانئ البحرية وعندما
فتحت ترعة السويس حلت بلية عظي وطامة كبرى على تجارة دمشق لانها سلبت
كل ما بقي لها من التجارة البرية وفتحت باباً قريباً للحجاز فامتنع الحجاج عن الاتيان
اليها فخرت جداول الذهب الغزيرة التي كانوا يسكبونها بها ذهاباً واياباً حيث
كان ياتيها كل سنة ثمانية آلاف وثلث ويجهزون منها للحجاز وفي ايامهم يجهزون

منها الى بلادهم وياخذون البضائع والاقمشة اما هدايا واما للتجارة واذا انفق كل حاج ٥٠ ليرة يكون ما ينفقه الحجاج سنوياً اربع مئة الف ليرة ولا يخفى كم كانت تستفد دمشق من هذه المبالغ وقد كان كثيرون من اهلها من ذوي العيال الكبيرة الذين لا ثروة عندهم يتعيشون من البيع بالامانة للحجاج او من ائزال البعض في بيوتهم . وقد كملت في هذه السنة اضرار ترعة السويس بتجارة دمشق لان ما بقي لها من تجارة العراق فُتِحَ له طريق على السويس فتنحّول الى موالي سوريا ومع هذه الاضرار التجارية التي دهمت تجارة هذه المدينة لم يزل لها تجارة متسعة بنسوجاتها وغيرها مع داخلية المملكة العثمانية وتجارة قليلة مع الممالك الاجنبية اما ما يصدر عنها من المنسوجات الى الاستانة وازمير ومصر وبغداد وحلب وارمينيا وجهات سوريا وانحاء المملكة العثمانية فيبلغ مبالغ عظيمة وفضلاً عنه يصدر عنها الى جهات سوريا كثير من العبي وادوات الخيل والحبال والمواد اللازمة للزراعة والمشمش والقمردين وغير ذلك وما يصدر عنها الى اوربا فهو الصوف والخرق والعظام وبزر المشمش ولها تجارة واسعة مع اهل حوران في الحنطة وغيرها ويصدر عنها كل سنة جانب عظيم من الطحين والبرغل الى بيروت اما وارداتها فكثيرة جداً كالانابي والادوات والغزل والمنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية والكتانية والدودة والنيل والارز والسكر والقهوة وغير ذلك مما يطول شرحه

فصل

في اطوار الدماشقة وبعض عوائدهم

الدماشقة قوم امناء ذوو شهامة وناموس ودعة وموانسة رقيقو الطباع حسنوا المعاشرة سليموا النية والطوية كرماء يحبون الغرباء ويكرمونهم ويميلون الى السلام ويرغبون في البسط والانشراح ولو لم يكن في دمشق بعض الاشقياء الذين يسودون اسم مدينتهم بما يفعلونه من الجرائم لساغ ان نقول بان كل اهاالي دمشق في مقدمة السوريين في حسن الاخلاق

ملابسهم * كان اهالي دمشق في الايام السالفة يلبسون الملابس الضخمة ويتعممون رجالاً ونساءً بالعمائم الكبيرة جداً وقد اشبهت ملابسهم وقتئذ في أكثر الاشياء ملابس الاكراد في وقتنا الحاضر ولكنهم منذ ايام ابراهيم باشا المصري اخذوا يغيرون زيهم حتى صار لطيفاً حسناً يوافق طباعهم . وفي وقتنا الحاضر يلبس الرجال الفنايز ويتمنطقون فوقها بشالة او زنار حريري او غير ذلك ومنذ مدة ليست بطويلة اعتاد بعضهم على التسرول وبعضهم لبسوا البنطلون كالافرنج . واليهود والنصارى وبعض المسلمين يلبسون على رؤوسهم الطرايش الاسلامبولية واكثر المسلمين يتعممون بعمائم صغيرة لطيفة من قاش الاغباني وكانوا منذ عشر سنين يلبسون الطبايسانات الطويلة فوق ملابسهم ولكنهم قد اخذوا يقلعون عن ذلك ويعتاضون عنه بالباطات وكان قبلاً من الامور المعيبة ان يطلق الرجل شعر راسه واما الآن فتغير الحال

اما النساء فتكاد تكون ملابسهن واحدة وقد اقلعن عن الملابس القديمة بالتام حتى لم يعد لها اثر وعوضاً عن تلك الرباطات (عمائم كبيرة) التي كانت توضع على الراس اضمحت رؤوسهن مكشوفة او مغطاة بقاش رقيق جداً ومنذ مدة اخذن يتبعن الازياء الافرنجية فصرت تراهن كل يوم بزي جديد على انهن مع كل اجتماعهن لا يقدرن ان يرتبن ملابسهن كالنساء الافرنجيات وقد تولد فيهن بغض الاقمشة الوطنية وصرن يحسبن كل قاش غير موسوم بوسام افرنجي كشيطان رجيم على انه في المذات المتأخرة لشدة الضيق الذي صادفه رجالهن تغيرت اميالهن قليلاً واعتبرن منسوجات الوطن بعض الاعتبار وصرن يلبسنها . ولا تخرج امرأة من بينهما بدون ازار ويسبلن غالباً على وجوههن المناديل لكي لا يراهن احد

الخطبة والاعراس * اختلفت عوائد اهل دمشق في الخطبة والاعراس فلمسلمين عادة والنصارى اخرى واليهود اخرى
عادة المسلمين . لما كانت عوائد المسلمين لا تسمح للنساء ان يظهرن على

الرجال حتى ولو كانوا من اقاربهم ازم عن ذلك انه اذا قصد رجل ان يتزوج
يجتمع بعض نساء عائلته المتقدّمات في السن ويذهبن ويفتشن له على عروس
فلما يجدن ما يناسبه ياتين ويخبرنه فيرسل بعض رجال عائلته لخطبوها له من
اهلها وعند ما يقر الفرار بين الخاطبين على المهر الذي يكون للعذراء من ٢٥٠
غرشاً الى ٥٠٠ ليرة يكتب الكتاب (العقد) في بيت اهلها بحسب الشريعة
ويقدم لمن يحضر من الخاطبين والشهود شربات بسكر صيفاً وشراب الفرفة شتاء
وبعين وقت الزفاف في تلك الجلسة التي تكون غالباً في الليل . ومن ثم يشرع
اهل العروس في تجهيزها . اما جهازها فهو اثاث لبيت رجلها وبعض ملابس
خصوصية لها وقبل الزفاف بيومين ينقل الخمالون الجهاز الى بيت العريس على
رؤوسهم وظهورهم ليراه الناس في الاسواق والازقة ويوم الزفاف يذهب نساء
من بيت العريس وياتين بالعروس نهارة مصحوبة ببعض نساء عائلتها وفي المساء
يقوم الافراح في بيت العريس وياتي اصحاب العريس واقاربته ويتعشون ويذهبون
به الى بيت آخر ويلبسونه لباس العرس وفي وقت العشاء ياتون به باحفال
والشبان امامه يضجون ويهللون ومعهم المشاعل ولما يصلون الى باب الدار تستلم
العريس الماشطة (مديرة العروس) وتسير به الى الحجرة المعدة له وهو مطرق
بنظره الى الارض وهناك تكون عروسه مزينة تنتظره . اما افراح العرس فهي
للنساء وغالباً تكون سبعة ايام . وفي صباح ليلة العرس يقدم العريس الى عروسه
هدية بحسب اقتداره يسهونها صبيحة ويخرج الى السوق مائلاً جيبه مليئاً يهديه
لمن يهتئ ويبارك له

عادة النصارى . كان النصارى في ما سلف كالمسلمين لا تظهر نساؤهم
على رجالهم فكان اختيار العروس عندهم كاختيار المسلمين وهذه عادة مضرة جداً
بالنظر الى الامة المسيحية التي لا تطلق عندها وكم ابنة شنيعة المنظر سيئة الطباع
تزوجت بجمال اختها لانهم كانوا يرون الخاطبات الجميلة ويبدلونها وقت
العرس بالشنيعة الى غير ذلك من الاعمال المضرة بالراحة واما في هذه الايام

فقد تحسنت الحال نوعاً وصار الخطيب قادراً ان يختر الفناء التي تناسبه وهي تكون بالخيار ان تقبله او ترفضه

اما هدية الخطبة في هذه الايام فليست مربوطة بشرط او عادة فان منهم من يعطون الخطيب ومنهم من ياخذون منه . اما العرس فكان منذ اربعين سنة سبعة ايام متوالية وكان ياتي المدعوون بهدايا يسمونها حمولة واما في وقتنا الحاضر فقد ألغى ذلك بالتام ثم صار ثلاثة وبعد سنة ١٨٦٠م صار يوماً وليلة وفي هذه السنين المتأخرة صار ليلة واحدة

العرس . يُدعى المدعوون قبل العرس بسبعة ايام باوراق ويأتون بيت العريس يوم الاحد مساءً وتأخذ آلات الطرب تعزف الى الساعة الرابعة والخامسة فيذهبون رجالاً ونساءً ليأتون بالعروس والشروع في ايدي الرجال (قد كان لا يسمح للعذارى ان يذهبن ليأتين بالعروس على انه منذ اربع سنين سمح لهن بذلك) وحين يصلون الى بيتها يجدون الباب مغلقاً فيطرقونه ولا يُفتح لهم بسهولة وهذه عادة قديمة ومعناها ان العروس عزيزة على اهلها وعندما يسمحون ويفتح الباب يدخل الاشبين اولاً (وكيل العريس) ويكرم البواب بدراهم ثم يدخل الناس فيستقبلون احسن استقبال وبعد ان يلبثوا نحو ساعة يبسطوا اشراج وشرب يوزع وكيل العريس شبعاً على الرجال الذين في بيت العروس ثم تغطي العروس بازار ويذهبون بها الى بيت العريس بالاغاني والترانيل والرجال تنقدم النساء كما اتوا وحينما يدخلون البيت تلبث النساء مع العروس في حجرة واحدة وبعد هنيئة نصير صلاة الاكيل وبعد ذلك يحيط النساء بالعروس ويجلبنها برقص وغناء والشروع بايديهن ثم يذهبن بها الى حجرة المائدة وتكون عليها المآكل الفاخرة من الحلوى والفواكه وما شاكل وبعد ان يأكل جميع الحاضرين يذهب بالعروس الى حجرة معدة لها ولعريسها ثم يأتونها بعريسها ياخذون بالانصراف ولا يبقى من المدعوين الا بعض النساء اللواتي هن اشد قرباً للعريس مع والدة العروس وفي صباح ليلة العرس يقدم

العريس هدية لعروسه بحسب مقدرته . وفي يوم البطالة الاول بعد العرس يجتمع الرجال من اهل العروس وياتون بيت العريس لزيارة عروسهم والتهنئ بها . وهذه الزيارة يسمونها سلاماً وتُصرف غالباً بالاعاني والبسط

وفي أول بطالة بعد هذه الزيارة يذهب العريس وعروسه واهله معه الى بيت عروسه ليلاً لرد الزيارة فتصير ليلة ذات بسط وحظ وفي نهايتها يضعون ما كلاً ومشرباً ثم ينصرف الجميع

عادة اليهود . نظراً لما عند اليهود من الحرية الكاملة اضحي امر اختيار العروس على الشاب من اسهل الامور على انه عند ما يقصد ان يخطف فتاة يسأل اهله عما لها من المال او ما يريدون ان يهبوها فان وافقة خطبها والا فلا ويعطي العريس عروسته علامة الخطبة في الجنيئة غالباً اما اعراسهم فمزوجة من عوائد النصراني والمسلمين ولذلك لا لزوم الى سردها

عوائد الدماشقة في احزانهم

عند ما يحل المصائب في بيت ينعي اهل المتوفى واصحابه فياتون ويلبسون ملابس سوداً اما النساء فيجلن شعورهن وياخذن في انواع النحيب وبعضهن يباليغن في ذلك حتى يسببن ضرراً لذواتهن واقرب الناس الى الميت يلبسون الاسود حزناً عليه مدة طويلة

فصل

في حكومة دمشق ومتعلقاتها

كانت دمشق قبل سنة ١٨٦٤ مركز الولاية المنسوبة اليها على انه منذ تلك السنة صارت مركزاً للحكومة سوريا وفيها يقيم الوالي ومشير العرضي الهايوني الخامس والي مجالسها تعود المسائل الاستثنائية من انحاء الولاية (الا التجارية فانها تستأنف الى بيروت) وفيها مركز ضابطة سوريا وقيم بها قناصل الدول اما ولاية سوريا فتقسم الى متصرفيات والمتصرفيات الى قناصيات ومدريات . اما واردات خزينة الولاية فهي بحسب نشرة الحكومة سنة ١٢٨٨ هـ

١٩٣٦ ٦٧٥٤١ غرشاً ومصرفها ٢٤٩٥٨٩٢٢ فالدخل يزيد عن المخرج كثيراً ولكن لا التزام الخزينة بالقيام بالمصاريف الحجازية وسوء الادارة الناجمة من عدم استقامة بعض المأمورين وقعت الخزينة تحت ديون بأهظة جداً تبلغ نحو ٦٠٠ ألف ليرة وهذه الديون تُعرف بالسراكي وقد استدانها من الاهلين ثم تمتعت عن دفعها فلحق الخراب باربابها ومن عرف ولاية سوريا وطاف بلادها ونقص احوال بعض مأموريها يحكم حكماً جازماً بان ايرادات الخزينة لو حُفِظَت لكانت مضاعف ما يصل اليها الآن وهذه حالة تقضي بالانتباه والتيقظ فان رامت الحكومة اجراء الاصلاحات في بلادها لا يجب ان تهتم بالمصاريف اللازمة لذلك لان ضبط الاموال بواسطة الرجال الامناء بوافيها بزيادة دخل تفوق ما نلتزم لزيادته في اجور مأموريها وبزيادة العمران الذي يتبع الاصلاح يزداد الدخل لان سوريا بلاد ذات ثروة طبيعية يستبعد الحصول عليها الا باجراء الاصلاحات اللازمة كاستقامة المحكام وحفظ النظام وما اشبه ذلك

نثریات

كل سنة في نصف شوال يسافر حج المسلمين من دمشق الى مكة المشرفة باحتفال عظيم ويرجع اليها في النصف الاخير من شهر صفر باحتفال ايضاً في ايام رمضان وايالي الاعياد الاسلامية تزين مآذن دمشق بالمصابيح معدل الاغنام التي تذبح بدمشق كل يوم ٢٨٠ رأساً . ومقطوعة المدينة كل يوم من المحيطة ٢٣٠٠ كيلة ومن الشعير ٥٠٠ ومن الذرة ٥٠٠ مدّت طريق المركبات بين بيروت والشام سنة ١٨٦٠ وكذلك التلغراف في دمشق خمس مصابن كبيرة واحد عشر معمل نشاء و٢٢ محلاً لطبع الاقشة واربع مناكن للاقشة وثمانى عشر مصبغة ملونة وخستخانة عسكرية . وثلاثة مسالخ . ومطبعة حجرية للعسكرية . ومطبعة اعنيادية للحكومة يطبع بها جرنال سوريا وهو الرسمي . ومطبعة حجرية للحكومة * ومياه دمشق فيها خاصة لدفع مرض الجذام فلا يصيب اهل دمشق والغريب الذي ياتيها مصاباً بولا يزيد مرضه

الباب الثالث

فصل

في من مات بدمشق من الصحابة

ابو الدرداء الصحابي الخزرجي * ولأه الامام عمر القضا بدمشق ومات
بها في خلافة الامام عثمان وقبره معروف بباب الصغير

اوس بن اوس الثقفي * نزل دمشق ومات بها في خلافة عثمان
بلال الحبشي بن رباح * مولى ابي بكر الصديق ومؤذن النبي . صلعم
حضر مع عمر فتح القدس واختلف في محل دفنه ف قيل دفن بجلب وقيل بداريا
وقيل بدمشق بباب الصغير

سهل بن ربيع الانصاري الصحابي * سكن دمشق ومات فيها في ابتداء
خلافة معاوية ودفن بمقبرة باب الصغير

شمعون الصحابي * شهد فتوح الشام وكان من كتاب دمشق وفي باب
الصغير بارض الشاغور ضريح يُعرف بشمعون فيحتمل ان يكون هو
فضالة بن عبيد الصحابي * سكن دمشق وولي قضاها لمعاوية مات
بدمشق ودفن بباب الصغير

آثلة بن الاسقع * شهد فتح دمشق ومصر ثم نزل الشام ومات في خلافة
عبد الملك بن مروان سنة ٨٢ ودفن بباب الصغير وقبره معروف بزار

قال المحافظ بن طولون وقبلي باب الصغير قبة بلال بن حمزة وثلاث
من ازواج النبي (صلعم) وقبر فضة جارية السيدة فاطمة الزهراء وقبر ام الدرداء
هؤلاء كلهم في تربة واحدة ونقل في كتاب الاشارات في الزيارات ان قبر السيدة
زينب بنت الامام علي بن ابي طالب بمقبرة باب الصغير بزار ويتبرك به . وقبر
سكينة بنت الحسين بتربة القلندرية داخل القبة . وقبر السيدة فاطمة ابنة الامام

علي أيضاً بقبرة باب الصغير عليه بناء معروف يقصد للزيارة . والمعروف عند
اهل دمشق ان قبر السيدة زينب ابنة الامام علي في تربة نسبت اليها يقال لها
الآن قبر الست

ابي بن كعب بن قيس الخزرجي * قيل انه دُفن بالمدينة وقيل بدمشق
وهو المشهور . قبره الآن خارج دمشق قرب باب شرقي عليه قبة عظيمة بزار
ويتبرك به

سرحيل بن حسناء * قال الصوري في ظاهر دمشق خارج باب توما
بالقرب من ضريح العارف بالله الشيخ ارسلان ضريح اشتهر انه ضريحه وفي ناحية
الغور قبر عليه قبة اشتهر ايضاً انه قبره وما يدري ايها الصحيح
ضرار بن الازور الاسدي * مات بدمشق ودُفن خارج باب شرقي
وقبره معروف

خولة بنت الازور * اخمت ضرار المذكور حضرت فتوح الشام ماتت في
دمشق ودُفنت خارج باب توما بالقرب منه وقبرها مشهور يقصد للزيارة
اما الجهة الشمالية ففيها قبر ابي الدحداح واما غربي دمشق فلم يدفن فيه
احد من الصحابة

(ذكر من دُفن من الصحابة في قرى دمشق)

قرية المنع غربي دمشق فيها قبر رضية الكلبي الصحابي المشهور
قرية مرانة نواحي داريا دُفن فيها تميم الداري بن اوس بن خارجة
حرملة بن يزيد الصحابي الانصاري * دُفن بالقرب من قرية جوبر
سعد بن عباد الخزرجي الصحابي * جاء الشام ومات بها سنة ١٤ هـ في
خلافة عمر ودُفن في قرية المليحاء وقبره معروف يقصد للزيارة
السيدة زينب ام كلثوم ابنة الامام علي * ماتت في الشام ودُفنت في قرية
راوية (هي قبر الست) وفي نهاية العشر الاول من محرم كل سنة يخرج الشيعة
لزيارتها ويندبون اهل بيت النبي صلعم

مدرك الفزاري * قدم مع ابي عبيدة بن الجراح في فتوح الشام وتوفي
بقربة راوية المذكورة ودُفن بينها وبين حجيبة من غوطة دمشق
ابو مرشد كنان بن بربوع * دُفن في طريق عفر يا قبلي فدبا قال
الواقدي مات سنة اثنتي عشرة

فصل

في ذكر من مات واشتهر بصلاحه بدمشق من الاولياء المقربين والعلماء العاملين
ابو البيان بن معنوط القرشي * من ابناء الطائفة البيانية المنسوبة اليه
بدمشق كان اماماً عابداً ورعاً يعرف اللغة والنحو والفقه اخذه عن شيخ البطايع
وكان معاصراً للشيخ ارسلان واليما له وله تاليف كثيرة وتعاليق وطرق واذكار
واشعار ربانية وزهدية وكان هو والشيخ ارسلان مجاورين في المسجد الذي عند
الباب الشرقي مات سنة ٥٥٥ هـ ودُفن بباب الصغير وقبره معروف بزار
ويتبرك به

ابن عساكر بن حسين بن هبة الله * هو الفخر المحافظ الكبير ابو القاسم فخر
الشافعية وامام اهل الحديث الف تاريخ الشام في ثمانين مجلداً وله تاليف غير
التاريخ بلغت ثمانية وعشرين مصنفات توفي سنة ٥٧١ هـ ودُفن بباب الصغير
شرقي الحجرة التي فيها معاوية

ابن قيم الجوزية الحنبلي * هو محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي ثم الدمشقي
الفقيه الاصولي النحوي المفسر الممنن في علوم كثيرة وله مصنفات عديدة في فنون
كثيرة مات سنة ٧٥١ هـ ودُفن بمقبرة باب الصغير تجاه المدرسة الصابونية وبني
علي قبره قبة

ابن رجب شيخ الحنابلة والمحدثين * هو زين الدين بن رجب الامام
الاصولي المحدث الفقيه والواعظ الشهير كان اماماً في الفنون وله مصنفات كثيرة
منها شرح البخاري وشرح الاربعين النووية وطبقات الحنابلة والقواعد ورياض
الانس وغيرها مات بدمشق ودُفن بباب الصغير عند قبر معاوية

ابراهيم الناجي شيخ المحدثين بدمشق * كان اماماً ورعاً عارفاً بالصحابة
ورجال الحديث مات بدمشق ودفن بباب الصغير غربي معاوية وقبره على الطريق
احمد ابو العباس المغربي * شيخ المالكية بدمشق كان اماماً بارعاً مات
بدمشق ودفن بباب الصغير بين بلال الحبشي والشيخ حماد

اسماعيل بن علي المفتي المعروف بابن الحائك * العالم الاصولي انتهت اليه
الرئاسة والافتاء مات سنة ١١١٢ ودفن بباب الصغير شرقي اوس الثقيفي
بدر الدين بن جبال الدين بن مالك * المشهور العالم العلامة النحوي
اللغوي الصوفي الحنفى الشافعي مات بدمشق سنة ٦٨٦ ودفن بباب الصغير
الحافظ الذهبي * شمس الدين صاحب التاريخ المشهور اخذ الفقه عن
الكمال الزملكاني وابن قاضي شعبة مات سنة ٧٤٨ ودفن بباب الصغير وتاريخ
وفاته لفظه الذهبي

الشيخ عمر بن حسن الخرقى * من تابعي اصحاب الامام احمد ومن علماء مذهبه
المعتبرين ومن المعول عليهم بالفقه كان زاهداً عالمياً ناعماً بالذليل رحل من بغداد
وسكن بدمشق فرأى يوماً منكراً فأنكره ونهى عنه ففعل لاجل ذلك ودفن
بباب الصغير منابل الجراح

عبد الرحمن بن ابراهيم بن سباع المفتي * هوناج الدين المصري الدمشقي
العالم العلامة المعروف بابن فركاج تنقه وبرع في مذهب الشافعي وهو شاب
وكتب في الفتاوى وكانت تأتيه من الاقطار وتصانيف كثيرة مات بدمشق سنة
٦٩٠ ودفن بباب الصغير

عبد الله بن عمر العجاوني الحنفى النحوي * فاق اهل عصره في علم النحو
ولد في عجلون ورحل الى دمشق واشتغل في العلوم ودرس وافاد وانتفع به الجسم
الغفير مات سنة ١١١٢ ودفن بباب الصغير شرقي بلال الحبشي

محمد علاء الدين بن علي الحصني الاثري الحصكفي الفقيه الواعظ
المحدث المفتي الحنفى له تأليف في الفقه وغيره منها الدر المختار في شرح تنوير

الابصار وشرح الملتقى الذي شاع ذكره في الامصار وشرح المنار في الاصول
والقطر في النحو واختصر الفتاوي الصوفية وله تعليق على تفسير البيضاوي وله
مؤلفات آخر غير هذه توفي سنة ١٠٨٨ ودفن بمقبرة باب الصغير

كعب الاحبار (ضه) * من اكابر المحدثين روي عنه اشياء كثيرة وعولوا
عليه وحصل له اعظم اعتبار عند المسلمين قال الهروي مات في دمشق ودفن
بباب الصغير

محمد البتيم * العارف بالله الشافعي الصوفي مات سنة ١٠٠٥ ودفن
بباب الصغير بقرب نصر المقدسي

محمد بن محمد بن سلطان الحنفي * شرح الكاثر ومات بدمشق سنة ٩٠٥
ودفن بباب الصغير بتربة القلندرية

نصر المقدسي ابن ابراهيم النابلسي * شيخ الشافعية بالشام مات سنة ٤٩٠
ودفن بباب الصغير بجانب ابي الدرداء (١)

سيدنا ارسلان * ويقال له الشيخ ارسلان هو ابن يعقوب بن عبد الرحمن
الجعبري مات سنة ٥٤٠ ودفن بمسجد خالد بن الوليد وقبره معروف بنصه
الناس للزيارة ويقبركون به وعند الشيخ ارسلان مقبرة كبيرة دفن بها بعض من
اهل الفضل والصلاح

نفي الدين بن الصلاح * هو عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهرزوري
كان مفتياً في مذهب الشافعية اماماً في التفسير والحديث والفقه منجراً
في الاصول مات في دمشق سنة ٥٤٢ ودفن بمقبرة الصوفية بطرفها الغربي على
الطريق

(١) يقال ان بباب الصغير قبور جملة من اهل البيت وغيرهم كقبر سهل بن حنظلة
وقبر ام الحسن بنت حمزة بن جعفر الصادق وقبر علي بن عبد الله بن عباس وقبر زوجته ام
الحسن بنت جعفر بن الحسن بن الحسين بن فاطمة الزهراء وقبر خديجة بنت زينب
العابد بن هولاء في تربة واحدة وقبر سكينه بنت الحسن وقبر محمد بن عمر بن علي بن ابي
طالب وبها قبور كثيرة لم تعرف لما قيل بان مقبرة باب الصغير حُرِثت وزُرعت نحو مئة سنة

ابن عساكر * هو الفخر شيخ الشافعية بالشام كان زاهداً عابداً منقطعاً
للعلم والعبادة مات بدمشق سنة ٦٢٠ ودفن بمقابر الصوفية مقابل قبر ابن
صلاح

ابراهيم بن عبد الرزاق * الحنفي المحدث الفقيه شارح القدوري مات
بدمشق سنة ٨٠٩ ودفن بمقابر الصوفية

ابراهيم بن سليمان الحموي * من علماء الحنفية شرح الجامع الكبير في ست
مجلدات وشرح المنظومة في جلد بن ولم يُعرف تاريخ موته قال العدوي مات
بدمشق ودفن بمقابر الصوفية

مسعود بن محمد النيسابوري * الامام البارع الشافعي انفرد برئاسة
الشافعية وكان فصيحاً بليغاً مات سنة ٥٧٨ ودفن بمقبرة الصوفية

احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام * المعروف بابن تيمية الحنبلي ولد سنة
٦٦١ وبرع وافتى ودرس وصنف التصانيف البديعة الكثيرة سرد الامام
صلاح الدين الصفدي اسماها في ثلاث اوراق كبار وجرت له من كثرة الى ان
توفي مسجوناً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ ودفن بمقبرة الصوفية

يوسف بن عبد الرحمن المعروف بالحافظ المزي كان اماماً عالماً
علامة ولد سنة ٦٥٠ وله تصانيف جميلة منها تهذيب الكمال في اساء الرجال
في ثلاثة عشر مجلداً واطراف الكتب السنية في خمسة مجلدات وله امال وفوائد
وشعر حسن توفي سنة ٨٤٢ ودفن بمقبرة الصوفية غربي قبر ابي تيمية

عماد الدين بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي كان عالماً بالاصول
والتحديث وصنف التصانيف البديعة مات سنة ٧٧٤ ودفن بمقبرة الصوفية
عند شيخو ابي تيمية

ابو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن اسمعيل المقدسي ثم الدمشقي
الامام العلامة الفقيه الشافعي المقرئ النحوي المحدث كتب الكثير من العلوم
وصنف فيها ما نفع الفقه ودرس وافتى وبرع في العربية وكان كثير التواضع

مات سنة ٦٦٥ ودفن بباب الفراديس على يسار الداخل من الباب الى مرج الدحاح

الحسن بن محمد البوري الشافعي * كان فريد وقتو في الفنون صنف التصانيف البديعة منها حاشية على الممثل وشرح ديوان ابن الفارض وتحريرات على تفسير البيضاوي وله تاريخ عظيم وله رحلة حلبية ورحلة طرابلسية وله رسائل كثيرة وجمع ديواناً من شعره وكان عالماً محققاً ذكي الطبع متين الحفظ مات سنة ١٠٢٤ ودفن بمقبرة باب الفراديس

ابراهيم بن منصور المعروف بالفنّال الدمشقي الحنفي العالم الخفي والماهر المدقق شيخ مشايخ الشام له تعليقات منها حاشية على شرح النظر للفارسي وتحريرات على مواطن من التفسير وكان ينظم الشعر الحسن مات سنة ١٠٩٨ ودفن بمقبرة الفراديس

ابوب بن احمد بن ايوب الحنفي الخلوئي الصالحى * له تحريرات ورسائل لا يمكن حصرها واكثر ما روي له رسالته التي ساهمها ذخيرة الفقه ودونها عقيلة التغريد وخيلة التوحيد و ذخيرة الانوار وسيرة الافكار جمع بين علم الشريعة والحقيقة ولد سنة ٩٩٤ ومات سنة ١٠٧١ ودفن بباب الفراديس

عبد الله بن محمد بن هبة الله بن ابي عصرون * هو قاضي النضاة شرف الدين التتبي الدمشقي كان امام الشافعية في عصره واليه المنتهى في الفتاوى والاحكام (وكان من اكبر تلامذته الفخر بن عساكر) مات سنة ٥٨٥ ودفن بمدرسته المعروفة بقرب قلعة دمشق وقبره يزار

الشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي بن محمد بن احمد بن عبد الله امام الصوفية ورب طريقهم ولد بخراسنة سنة ٥٦٠ وكان مسكنه في دمشق وظهوره فيها وبها نشر علومه توفي في دمشق سنة ٦٣٨ ودفن بسفح قاسيون وقد اعنى سلاطين آل عثمان باظهار قبره وبني عليه المرحوم السلطان سليم خان المدرسة العظيمة وبجوارها الجامع المعور ورتب له الاوقاف الحسان وقد الف بمناقب

الشيخ محيي الدين ومواهبه الامام السيوطي مولفًا جليلاً سماه تنبيه الغبي على تنزيه
العربي والفرسي ايضا الشيخ عبد الغني التالبي مولفًا حسنًا سماه السراخني في
ضريح ابن العربي والفرسي ايضا كتابًا جليلاً سماه الرد المتين على منتقص
العارف محيي الدين. والقوم لا ينقطعون عن زيارة الشيخ محيي الدين ويعتبرونه من
اعظم الاولياء وفي كل يوم جمعة ترى مئات من الناس حول ضريحه للصلاة والزيارة
ولك محمود * المدعوسعد الدين ولد بمليطه سنة ٦١٨ وتوفي بدمشق
سنة ٦٥٠ ودفن عند باب بفسح قاسيون

العلامة تاج الدين السبكي * صاحب الطبقات جمع الجوامع
والنصايف المفيدة وتولى قضاء الشام وخطابة الجامع الاموي مات بالطاعون
سنة ٧٧١ ودفن بقاسيون بتربة السباكين المشهورة بهم

الشيخ ابو عمر الدمشقي الصالح * هو محمد بن احمد بن قدامة المقدسي
الزاهد جمع بين المعارف الالهية والعلوم الشرعية وكان كثير الصلاة ويجمع
الخطب ويحمله للارامل واليتام وكان مسموع الكلمة عند رجال الدولة وبنى
المدرسة المعروفة به بالصالحية مع مصنعه مات سنة ٦٠٧ ودفن بالتربة المعروفة
به بفسح قاسيون

الامير الكبير ركن الدين * قال الذهبي كان عفيفًا دينيًا كثير الصدقات
مات سنة ٦٣١ ودفن بجبل قاسيون

قاضي النضاة بن خلكان * احمد بن محمد بن خلكان صاحب التاريخ
المشهور المسمى بوفيات الاعيان كان امامًا عالمًا فقيهاً نحويًا مات سنة ٦٨٠
ودفن بفسح قاسيون مقابل الرباط الناصري والعدلية

عبد الرحمن بن ابي بكر بن داود * العالم الرباني القادري صنف عدة
مولفات منها نزهة النفوس والافكار في خواص النبات والحیوان والاحجار
ومنها تسليمة الواجم في الطاعون الهاجم . مات سنة ٨٥٦ وقبره مشهور بزمرا
١٠٢ القاضي محمود ابو عبد الله بن مالك صاحب الالفية * هو جلال الدين محمد

بن عبد الله بن مالك الامام العلامة الاوحد الطائي النحوي المالكي حين كان بالغرب والشافعي حين انتقل الى الشرق ولد سنة ٦٠٠ كان اماماً في القراءة وصنّف فيها قصيدة دالية وكان في اللغة اليه المنتهى واما النحو والصرف فبلغ فيهما الغاية الفصوى اقام في دمشق بصنّف ويشتغل بالجامع والتربة العدلية وقدم الفاهرة ثم رحل الى دمشق وكان ينظم الشعر مات سنة ٦٧٢ ودفن بسفح قاسيون وكان ذا وقار ودين وصلاح

ابراهيم بن احمد الموصلي * من ائمة الحنفية شرح القدوري ومات سنة ٦٧٥
علي بن خليل الحنفي * الاديب الفقيه عرف بابن قاضي عساكر مات سنة ٦٥١ ودفن بسفح قاسيون ومن نفيس شعره قوله

تطلبت في الدنيا خيلاً فلم اجد وما احدٌ غيري لذلك واجدُ
فكم مضى بغضاً بريك محبة وفي الزند نار وهو في اللس باردُ

الشيخ عبد الرحمن العيني * نسبة الى راس العين ولد بصاحبة دمشق سنة ٨٢٧ ونصائفه كثيرة جابلة شرح الكثر والبخاري والفية العراقي والشمسية والدرر للفونوي والوشاح في المعاني والفية ابن مالك والتهذيب للسعد والجزرجية واخصر التلخيص وشرحه ونظم اللغة التركية في قصيدة سماها الدرة المضية مات سنة ٨٩٢ ودفن بتربة الجامع الجديد بصاحبة دمشق

الشيخ ابو مسعود الولي مات سنة ٦٠٥ ودفن بسفح جبل قاسيون
العلامة جلال الدين محمد بن احمد الشريشي صاحب النصائيف مات سنة ٧٦٩ ودفن بسفح قاسيون • ولده بدر الدين محمد بن محمد امام اهل اللغة في عصره مفتي الشام المعروف بابن الشريشي شارح المقامات وغيرها من الكتب البديعة مات سنة ٧٧٠ ودفن بجانب والده عند جامع الافرم

ملخص ترجات بعض مشاهير علماء القرن الثاني عشر واول هذا

القرن اعني هو القرن الثالث عشر

الشيخ محمد بن الشيخ عبد الرحمن الكزبري الدمشقي الشافعي مدرس

الحديث تحت قبة النسر في الجامع الأموي ولد في ١٢ شعبان سنة ١١٤٠ وتوفي في ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٢١ ودفن بمقبرة باب الصغير . الشيخ عبد الرحمن الكزبري والد المقدم ذكره هو محمد بن زيد الدين الدمشقي الشافعي ولد في صدور سنة ١١٠٠ وتوفي يوم الجمعة في ١٧ محرم سنة ١١٨٥

المثلا علي بن محمد بن سالم التركاني أمين الفتوى بدمشق ولد سنة ١١٠٢ وتوفي سنة ١١٨٢ ودفن بمقبرة الحفلة عند داره بميدان الحصاص

الشيخ أحمد بن عبد الله بن أحمد البجلي الأصل الدمشقي المولد كان زاهداً صوفياً فقيهاً حسانياً فرضياً محدثاً ولد سنة ١١٠٨ ومات يوم السبت في ٦ محرم سنة ١١٨٩ ودفن بباب الصغير وله من المؤلفات الرائقة الروض الندي في شرح كافي المبتدي والآخر المحرر بشرح مختصر التحرير ومنية الرايض لشرح عمدة كل فارض

٥ الشيخ العلامة المحقق دلي أفندي الداغستاني هو علي أفندي بن صادق بن محمد بن إبراهيم الداغستاني ولد سنة ١١٢٥ واتى دمشق سنة ١١٥٠ ونزل بجامع من جوامعها وقد وجهت عليه وظيفة في الحديث تحت القبة سنة ١١٧٢ هـ بعد وفاة مدرستها أحمد أفندي المنبجي ووظيفة التدريس في الفقه في المدرسة السلمانية ووظيفة التدريس في تفسير أبي السعود عند مقام سيدنا يحيى سنة ١١٨٥ وغير ذلك وتوفي في ١٢ ذي الحجة سنة ١١٩٩ ودفن بسفح قاسيون بالقرب من قبة البلخي فوق الأفرم وله كتابات منها ما كتبه على خلاصة الحساب وحاشية في الأسطرلاب وشرح حديث الرحمة وغير ذلك . اهـ

٦ الشيخ دلي بن محمد بن علي بن سليم الشافعي الدمشقي الصالح الشهير بالسلمي ولد سنة ١١١٢ توفي في ثاني جمادى الأولى سنة ١٢٠٠ ودفن بسفح قاسيون بالقرب من الداودية وله من المؤلفات تكملة شرح تفسير البيضاوي للشيخ عمر الرومي في سورة الاسراء وشرح على شرح غاية الاختصار لابن قاسم وشرح على نظم الاجرومية وغير ذلك

- ٧ الشيخ مصطفى الرحمن ولد بدمشق في ١٤ محرم سنة ١١٣٥ وكان من علماء عصره وسنة ١١٨٧ جاور في المدينة وتوفي بها سنة ١٢٠٥
- ٨ الشيخ محمد أبو الفتح العجلوني الأصل الدمشقي المولد كان عالماً ولد في رمضان سنة ١١٢٨ وتوفي سنة ١١٩٢ ودفن بباب الصغير وله تصانيف جليلة
- ٩ السيد عبد الرزاق البهنسي ولد سنة ١١٣٥ وكان شاعراً أديباً بارعاً فنيهاً توفي في ٢ رجب سنة ١١٨٩ ودفن بتربة مرج الدحاح
- الشيخ أحمد الطار الحمصي الأصل الدمشقي المولد حج أربع مرات ولما أتى بونا بارتى عكاه فجدد مع أولاده لمحاربة الفرنسيين وحرض الناس على القتال . توفي في ٩ ربيع الثاني سنة ١٢١٨ ودفن بتربة مرج الدحاح وكان عالماً ماهراً
- الشيخ أمين الصابحاني ولد بغزة هاشم سنة ١٢٣٣ تعلم الفقه والفلك بالفاهن فبرع جداً جاء دمشق والف رسالة في الربع المقنطر وأخرى في العروض وغير ذلك توفي بدمشق في ١٧ شعبان سنة ١١٩٧
- الشيخ مصطفى اللقي الملقب بأسعد الشافعي ولد بدمياط سنة ١١٠٥ وكان عالماً بارعاً سكن دمشق وتوفي فيها سنة ١١٧٨ وقبل موته نظم تاريخاً لقبره وهو
- قبري به من أوثقته ذنوبه وغدا لسوء فعالي متخوفا
قد ضاع منه عمره ببطالة والعيش منه بالتكدر ما صفا
ماذا ثوى قبر اللقي أرخا مستنح للعفو أسعد مصطفى ١١٨٧
- وله من المؤلفات الرحلة المسماة بمناخ الانس بالرحلة لإوادي القدس ورسائل في الحساب والآداب ودبوان شعر وغير ذلك ودفن بتربة الدحاح
- الشيخ محمد الجاويش ولد في دمشق ونشأ على محبة العلم فلازم العلماء فصار عالماً درّس في الجامع الأموي فافاد توفي سنة ١١٩١ ودفن بتربة باب الصغير
- الشيخ محمد العبيد الحموي الأصلي ولد في دمشق وكان خطيباً في جامع سنان باشا عاش نيف على خمسين سنة وتوفي سنة ١١٧٤ ودفن بتربة باب الصغير
- الشيخ محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحيم بن عابد بن

ولد بدمشق سنة ١١٩٨ وتوفي في ٢١ ربيع الثاني سنة ١٢٥٢ وعمره أربع وخمسون سنة واخذ عن علماءها ونفقها بالشيخ شاكرا العمري العقاد واخذ عنه العلوم العربية والعقلية وعن غيره باقي العلوم وانتفع به خلق كثير لم يزل بعضهم احياء . منهم الشيخ محمد الحلواني مفتي بيروت والشيخ عبد النبي المبداني شارح التدويري امين العنيتيا بدمشق سابقا والشيخ حنين الرسامة والشيخ عبد الفادر شارح العلائي والشيخ محمد افندي الجبائي قاضي بغداد والمدينة المنورة حالا

وكان له ذوق في حل مشكلات العلوم والاعتماد العظيم في طائفة القوم واخذ الطريقة على الشيخ شاكرا المذكور وله التأليف الكثيرة التي تبلغ الخمسين وكان عالما فنيها بضيق كتابنا عن ذكر مآثره الحميدة دفن في مقبرة باب الصغير بالترتبة الفوقانية قريبا من الشيخ العلائي

وقد تعاقب خاطرنا بسرد تراجم بعض من علماء جيلنا الحالي وافاضله الذين نشأوا بدمشق على انه لسوء الحظ حال مانع وهو عدم حصولنا على اخبار مدققة عنهم فعدلنا عما قصدنا ونحن آسفون

هذا وليعلم المطالع بان سلسلة العلماء الاعلام لم تنقطع من دمشق في وقت من الاوقات . وفي كل عصر تجد بها عددا وافرا منهم حتي انك ترى العلم متسلسلا في بعض العيال من مد يدك كعائلة بيت حمزة فانيها عائلة علم شريفة ذات نسب شريف وقد ذكر المحيي في تاريخه تراجم بعض من اعضائها الذين اشتهروا بالعلم والفضل وهم السيد محمد بن السيد كمال الدين واخوه السيد حسين والسيد عبد الرحمن والسيد عبد الكريم والسيد ابراهيم واما في عصرنا فالمشهور من هذه العائلة الشريفة هما الشريف العالم العلامة محمود افندي امين الفتوى واخوه الشريف العلامة اسعد افندي من اعضاء مجلس التمييز وهما من اصحاب الدين والبروة والاحسان وقد فعلا سنة ١٨٦٠ اعمالا توجب الثناء عليهما

وعائلة بيت العمادي وقد اشتهرت بالفضل وتسلسل فيها العلم وقد ذكر

المحيي بعض تراجم اعلامها . وعائلة بيت النابلسي ومن اشهر رجالها الشيخ عبد الغني النابلسي وقد فحصنا عن ترجمته لترين بها جيد كتابنا ولسوء الحظ ذهبت انعابنا سدى . وعائلة بيت الفرفور وعائلة بيت القاري وعائلة بيت المحيي وعائلة بيت العمري وعائلة بيت الكزبري وغير ذلك مما يطول شرحه
اما مشاهير علماء دمشق في وقتنا فكثيرون . منهم الشيخ مسلم الكزبري والعالمان محمود افندي واسعد افندي حمزة المار ذكرهما والعالم العلامة الشيخ سليم العطار والشيخ عبد الغني الميداني وجابي افندي والشيخ سليم سمارة والشيخ الحفاني والشيخ محمد الطنطاوي وبنو المير وغيرهم مما يطول شرحه وكلهم علماء اعلام اصحاب فضل عظيم يحق لدمشق ان تتفاخر بهم

فصل

في القديسين ومشاهير العلماء المسيحيين الذين نشأوا في دمشق
القديس حنانيا الرسول . لا يعلم بالتأكيد هل ولد هذا القديس في مدينة دمشق ام لا ولكن المرجح بانه من ابناءها وكان واحداً من السبعين تلميذاً وسكن دمشق في بادئ الديانة المسيحية وبشر بها وهو الذي شفى شاول الذي صار بولس الرسول على ما جاء في الفصل التاسع من سفر اعمال الرسل وبعد ان بشر حنانيا بالانجيل في دمشق مدة مضى الى الاوطرابولي ثم الى اماكن اخرى منذراً ومبشراً وقد احتمل اشد الاضطهادات والعذابات كغيره من الرسل واخيراً قبض عليه في عهد ليكنيوس الوالي الروماني وبعد ان جلد شديداً باعصاب البقر ومزق لحمه بعذابات شديدة مات رجلاً بالحجارة
القديس يوحنا الدمشقي . ولد هذا القديس في دمشق سنة ٦٧٦ م من عائلة شريفة من ابوين غنيين وكان ابوه من اكابر رجال الدولة الاموية في دمشق وقد اعنى بتربيته وفقهه في العلوم والمعارف على القديس قزما الشيخ (سياتي ذكره) فنبغ يوحنا في العلوم وصار نبراساً للاداب في زمانه ولما توفي ابوه

خلفه في وظيفته عند سلطان دمشق وحصل على الوجاهة والاعتيار. ثم اعرض عن العالم وذهب الى دير مار سابا في فلسطين ودخل في الطريقة الرهبانية ولما اتم موجباتها اخذ يشتغل في التأليف والتصنيف فالف كتباً كثيرة في اللاهوت وغيره وقد فاقت تاليفاته اللاهوتية ما سواها وكان يلقب بمهرى الذهب (اسم نهر يردى سابقاً) لفصاحته وحسن كلامه. ثم رُسم كاهناً. وسنة ٧٨٠ توفاه الله وله من العمر ١٠٤ سنين اما بيته عند ما كان في دمشق فمعروف الآن وموقعه عن يسار حمام البكري قرب باب توما وقد امتلكه اليسوعية مؤخراً

القدّيس قزما المنشي . اختلف المؤرخون في مكان ولادة هذا القدّيس والسنة التي ولد فيها ولكنهم اجمعوا على انه كان عالماً متضلّعاً بارعاً في علوم كثيرة وخصوصاً في فني الفصاحة والبديع واشتهر في الانشاء والكتابات الدينية وقد لبس الاسكيم الرهباني والقب النسك في براري فلسطين ثم وقع اسيراً في يد جنود المسلمين فساقوه الى دمشق وباعوه بها اسيراً فاشتراه والد القدّيس يوحنا الدمشقي وعنته من العبودية واقامه راساً على بيته واذ رأى ما عنده من غزارة العلم والتقوى ولجّه امر تعليم ابنه يوحنا المذكور آنفاً وولد آخر كان يتيماً في بيته يعتبره كابنه واسمه قزما فظل الى حين وفاته

القدّيس قزما الباراسقف ما يوما . ولد في اورشليم سنة ٦٧٩ وتيم صغيراً فسافر الى دمشق فقبله والد القدّيس يوحنا الدمشقي ورباه كابنه ثم ترهب بدير مار سابا وسيم اسقفًا لما يوما وله بعض مؤلفات دينية عاش طويلاً ومات جليلاً القدّيس صفرونيوس . بطريرك اورشليم ولد في دمشق سنة ٥٥٨ م ومنذ حدثه مال الى الفضائل والآداب واخذ العلوم عن علماء دمشق فبرع جداً واذ كان عظيم التدبّر ذهب الى فيما في فلسطين لزيارة نساكها فصبا لمعرفة طريقته دون ان ينذر على ذاته نذرهم واتخذ له مرشداً منهم اسمه يوحنا موسكوس ولبث عنده مدة ثم سارا معاً لزيارة رهبان القنطر المصري واخذنا يفحصان عن احوالهم التي اذهلتها جداً وصنفاً كتاباً بها نظراً سببها ببستان الرهبان ثم ذهبوا

الى الاسكندرية فقبلها بطريركها القديس يوحنا الرحوم بكل اكرام واحترام لما فيها من الديانة والفضيلة واخذ يشتغلان عند الانذارات الروحية ولما هاجم الفرس القطر المصري وعاثوا به فرّوا الى رومية خيفة على حياتهم ونقروا من البابا يونيفاسيوس ولبثا عند سنتين فتوفي احدهما يوحنا فنقل القديس صفرونيوس جثته الى فلسطين ودفنها في دير القديس ثاوضوسيوس وسكن صفرونيوس هناك بعيشة رهبانية واذ كانت شيعة المونوثاليثيين الذين يعتقدون بارادة واحدة بالسيد يسوع المسيح قد اخذت تنتشر في بلاد فلسطين اخذ القديس صفرونيوس يقاومها بكل مقدرة وسنة ٦٢٣ م سيم بطريركا للكرسي الاورشليمي ولازم مقاومة تلك الشيعة وجمع مجعاً من اساقفة ابرشيته وقرّر به شجب تلك الشيعة ثم ألف كتابين جمع بهما اقوال الكتب المقدسة وتعاليم اباء الكنيسة الموضحة وجود ارادتين ومشيتين وفعلين في السيد المسيح. وسنة ٦٢٦ حمل العرب على اورشليم بعد ان فتحوا دمشق فسلمها البطريرك صفرونيوس للامام عمر بشرط ان تبقى للمسيحيين حريتهم الدينية وكنائسهم وفي ١١ من شهر اذار توفي في اورشليم وعمر نحو ٨٠ سنة تقريباً وقد عينت له الكنيسة اليوم الحادي عشر من اذار كل سنة تذكاراً

٦ القديس اندراوس الاقريطشي . ولد في دمشق من ابوين صالحين واختلّف في سنة مولده وما عليه الاكثرون هو انه ولد قبل سنة ٦٣٥ م وقد اعنى به والده وربيته بحسب مبادئ الديانة المسيحية واجتهدا في تعليمه وتدريبه العلوم والآداب ففجّ غاية النجاح ولما علم به البطريرك ثاوداوس الاورشليمي اخناره لخدمة كنيسة ولما انعقد المجمع المسكوني السادس القسطنطيني الثالث سنة ٦٨٠ م للاشادة ارنقة المونوثاليثية . بعث البطريرك ثاوداوس بالقديس اندراوس نائباً عنه لما كان عنده من غزارة المعارف والفضائل حال كونه كان برتبة شماس رسائي فقط وبعد نهاية المجمع رُسم القديس اندراوس شماساً انجيلياً وسلمت لعنايته نظارة المكان المخصص بتربية الايتام وبعد مدة انتخب رئيس اساقفة

لجزيرة افر بطش ولما استولى على كرسيها الروحي ازدادت شهرة لحسن سياسته
وفصاحته واعنائه وقد ألف عدة مؤلفات في مواضيع مختلفة منها القانون الكبير
الذي يتلى في الكنيسة نهار الخميس من الجمعية الخامسة من الصوم الكبير وقبل
موته بمدة من الزمان ترك ابرشيته وانفرد عن العالم في جزيرة ايبريسيوس وهناك
حرر اخص مؤلفاته الكثيرة وبعد ان بلغ سن الشيخوخة مات في تلك الجزيرة
والكنيسة تعمل تذكاره في اليوم الرابع من شهر تموز كل سنة

فصل

مشاهير علماء المسيحيين في جيلنا الحاضر

السعيد الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم . ولد السيد مكسيموس
مظلوم بمدينة حلب في شهر تشرين الثاني سنة ١٧٧٩ م وكان والده غير مثري يدبر
بضعة انوال نسج الالاجة على انه كان من اصحاب التقوى والاستقامة ولما ولد له
مكسيموس سماه ميخائيل واخذ يجتهد في تربيته

ثم حاول جماعة الاكليروس الحلبى اقناعه بالانتظام في طغمة الاكليروس
لما راوا فيه من التدبّر والذكاء واخبروا مطرانهم جرمانوس آدم الذي كان
مقيمًا في لبنان فاستدعاه وقرّبه اليه وسامه شماسًا ودرسه اللاهوت الادبي وجعله
كاتبًا لاسراره ثم رسمه خوريًا على كنيسة حلب . وما زال يفلح في كل مساعيه حتى
سيم مطرانًا في دير المخلص وسي مكسيموس وذلك سنة ١٨١٠ م

وسنة ١٨١١ انشأ البطريرك اغايبوس مدرسة لطائفته في قرية عين تراز
من قرى جبل لبنان وسلم رياستها لعهدة المطران مكسيموس وسنة ١٨١٢ اجمع
اكليروس الكرسي على ارسال المطران مكسيموس لرومية لقضاء بعض المهام
فسافر من مدينة بيروت الى مالطة ثم الى تريباسته واقام بها بضعة اشهر ثم سافر
الى البندقية وفي تشرين اول سنة ١٨١٤ رحل الى رومية وقابل الاب الاقدس
البابا بيوس السابع وسنة ١٨١٥ تنزّل عن ابرشية حلب فسامه البابا رئيس
اساقفة ميراليكية واخذ يدرس في رومية اليونانية واللاتينية والاطالية ويقوم

باشغاله بمجد واعشنا وفي حزيران سنة ١٨١٧م سافر من رومية قاصداً تريباسته فر
بتوسكانا ونزل بمدينة ليكورنا الى شهر ايلول ومنها سار فاجتاز بولونيا والبندقية
الى تريباسته وبينما كان نيافته مقيماً بتريباسته اتصل به خبر ما وقع من التعدي
على طائفته فاجلب فاعرض الامر للاب الاقدس ولجميع انتشار الايمان المقدس
برومية فارسل اليه المحبر الاعظم منشوراً رسولياً باسم جلالة فرنسيس الاول
ملك اوستريا ليتوسط امر الروم الكاثوليك لدى الباب العالي فحل المنشور
وتحريراً برسم وزارة خارجية النمسا وسار بها الى فيينا فمثل لدى جلالة الملك
وزبير خارجيته ونال منها الرعاية والاكرام وبعد ان استقام اربعة اشهر في فيينا
ودّع جلالة الملك ورجال بلاطه ورجع الى تريباسته وسنة ١٨٢٠ سافر الى
البندقية ومنها الى بادوا وميلان ثم اتى جنوا ومرسيليا وبني فيها كنيسة لطائفته كرسها
على اسم القديس نيقولاوس وانشأ بجانبها داراً للخوارنة (وهي اول كنيسة بناها)
وسنة ١٨٢٢ في شهر حزيران رحل من مرسيليا الى رومية والى فيها كتابة
الكثير الثمين في اخبار القديسين في خمسة مجلدات من القطع الكامل وعرب
عدة تأليف للقديس الفونسوس ليكوري وطبع على مصروفه في رومية كتاب
امجاد مريم وكتاب الاستعداد للموت وكتاب الواسطة العظيمة وكتاب الرياضة
اليومية وكتاب زيارة القربان المقدس وارسلها الى بلاد المشرق فوزعت مجاناً
والى كتاب قواعد الصرف والنحو في اللغة العربية هذا عن تاليفات
واستخراجات غيرها بقيت محفوظة خطأ ودرس مدة وجوده فيها اللغة الفرنسية
فبرع بها

وبعد ان اقام في اوربا ١٨ سنة دعاه البابا غريغوريوس ان يرجع الى سوريا
ويجدد مدرسة عين تراز المقدم ذكرها فامثل ورجع فدخل بيروت في شهر
تشرين الثاني وصعد الى مدرسة عين تراز واخذ في ترميمها وانشأ فيها مكتبة
احضرها معه نحو علي نحو الفتي مجلد ونيف من نفائس الكتب وبلغ ما انفقته
على المدرسة والمكتبة نحو عشرة آلاف ريال عمود

وفي شهر اذار سنة ١٨٢٢ م توفي البطريرك اغناطيوس قطان فانهقد مجمع في دير القديس جاورجيوس الغرب لانتخاب خليفة له وفي ٢٤ اذار اصابته الفرقة كبر مكسيموس فسي بطريركا على طائفة الروم الكاثوليك في الثلث بطريركيات الانطاكية والاسكندرية والاورشليمية اما هو فكان يضي البطريرك الانطاكي وسائر المشرق وقد صادق على انتخابه البابا غريغوريوس السادس عشر . سنة ١٨٢٨ حصل على براءة من السلطان محمود تعرب عن معرفته من الدولة العلية متروبوليت انطاكية والاسكندرية والقدس الشريف وقد اعرض الامر على الخبر الاعظم فتمتخه بموجب مرسوم رسولي ان يضي اسمه البطريرك الانطاكي والاسكندري والاورشليمي وسائر المشرق

وفي ٢٥ ايلول سنة ١٨٤٠ سافر الى رومية وزار الخبر الاعظم ثم رحل منها الى مرسيلىا ودخلها في اول كانون الثاني سنة ١٨٤١ وفي اذار سافر الى باريز فحصل على كرامة واعتبار ملكها وعائلته ورجال بلاطه وليث مدة وعرب تاريخ الحروب الصليبية في مجلد بن . ثم رجع الى مرسيلىا ومنها سافر الى القسطنطينية عن طريق مالطة واستقام بها ست سنين ونصف يحامي عن حقوق طائفته ويناضل عنها اما اثار اعماله في هذه المدة فهي اول تحرير طائفته تحريرا مطلقا بحيث عرفت رسميا كطائفة قائمة بذاتها دون ادنى تعلق بغيرها . ثانيا نواله من السلطان عبد المجيد خان براءة لا يوجد نظيرها في القمود السلطانية تعرب عن معرفته بطريركا قديما لطائفة الروم الكاثوليك المكيين على انطاكية والاسكندرية واورشليم وسائر الممالك المخرسة . ثالثا انعم عليه بالنيشان المرصع الكبير نظير البطارقة القسطنطينيين وبعد ذلك رحل الى سورية

وكان وصوله الى بيروت سنة ١٨٤٨ م . وفي اذار رحل منها برا الى القدس الشريف فعيد الفصح بها واستمر مناظرا بناء الدار الكنيسة التي ضمنها الى شهر تشرين الثاني . ثم سافر الى دمشق مركزا برشيتيه العام . وفي اذار سنة ١٨٤٩ رحل الى اورشليم وعقد مجمعا من عموم مطارته قرر به بعض امور لخبر طائفته .

ثم رجع الى بيروت وسافر الى الاسكندرية ومنها الى حلب . ثم سافر الى انطاكية
والاسكندرية وبيروت ورجع الى دمشق وكان يطوف القرى ويدرسم اثني عشر
مطراً لابرشيات كرسية منهم نيافة المطران غريغوريوس عطا مطران حمص
وحما وتابعها حالاً

وكان مع كل اسفاره وناليفاته الكثيرة وترجماته الوافرة والرسائل الفائقة
البصر التي حررها لا يفتر عن الوعظ والتبشير والاشتغال في امور طائفته
داخلاً وخارجاً حتى انه مضى من الانحطاط وجعلها في مقدمة الطوائف المسيحية .
وشيد لها ٢ كنيسة وفي مكة وجوده بدمشق كانت المناقشات والمجادلات الدينية
بانصال بينه وبين العلامة الدكتور ميخائيل مشاقة وقد طال امرها واخذت
اهمية كبيرة

وبعد ذلك رحل الى القطر المصري واشتغل بها فيه النفع اربعين وفي ٢٤
آب غربي سنة ١٨٥٥ توفاه الله في مدينة الاسكندرية فنقل جسده الى مصر
ودفن في كنيسة التي بناها باحنف عظيم وقيل انه لم يترك شيئاً من المال الا
ما قل جداً لانه انفق كل شيء في تشييد الكنائس ونفع طائفته
وقد انشأ به بطريركيه طغمة اكليروس خاص علماني حافظ على
البتولية التامة بدون ندورات

الشماس انطون الخلع . ولد في دمشق في اواخر القرن الثامن عشر
ودخل طغمة الاكليس الكاثوليكي ودرس وتفق في العلوم العربية والفارسية
وسافر الى مصر واقام بهامكة وعرب كتاب الجبالستان الشهير ثم رجع الى دمشق
وتذهب بمذهب الروم الارثوذكس . ترك وظيفة الاكليس وتزوج بامراة
من طائفة الروم وتوفي نحو سنة ١٨٥١

الارشمندريتي غبريل جبارة الواعظ المشهور . ولد في دمشق من ابوين
كاثوليكين ودخل الطغمة الاكليسيكية وبعد ان لبس مكة كاثوليكيًا اعتنق
المذهب الارثوذكسي ورفي الى درجة ارشمندريتي وفي نحو سنة ١٨٦٠ شيد

كنيسة في بيروت سماها كنيسة السيدة وصار مأموراً بطريركياً وقد لازم وظيفة الوعظ والانداز وله كتابات كثيرة في مواضع مختلفة وكان فصيحاً متكلماً جسوراً وفي شهر نيسان من هذه السنة اعني سنة ١٨٧٨ ذهب بطلب من جلالة الكرانديق نيقولا الروسي فادركته المنية وهو في مدينة ازميز ودُفن بها باحتفال عظيم

٤ الخوري يوسف الحداد . ولد في نحو سنة ١٧٨٠ وكان نقيباً فاضلاً يحب العلوم اخذ العربية عن كثيرين من مشايخ المسلمين ودرس اللغة اليونانية والعبرانية وبرع بها وامتاز بعلم المنطق واشتغل بالتدريس في المدرسة البطريركية بدمشق فانادى بالجم الغفير وحصل على اعظم شهرة حتى توارد عليه الطلبة من كل جانب وقد كان رحمه الله واعظاً مفلحاً لازم الوعظ على منبر الكنيسة المريمية سنين عديدة وكان لا يفتر عن الترجمة والمطالعة والتأليف حتى قيل بانه لم يمض عليه يوم بدون ان يترجم به او يكتب شيئاً مفيداً واشتهر بعلم اللاهوت وقد تزوج ورزق عدة اولاد ذكور واناث وقتل في حادثة سنة ١٨٦٠ وتلاشت مولفاته حرقاً في تلك الحادثة ولم يبق منها الا ما ندر جداً

(العالم العلامة والفرد الفهامة الدكتور ميخائيل مشاقفة)

هو ميخائيل بن جرجس بن ابراهيم بن جرجس بن يوسف بتركي الذي لقب بمشاقفة لاحترافه تجارة مشاقفة الحرير ولد في ٢٠ اذار سنة ١٨٠٠ م موافق ٢٢ شوال سنة ١٢١٤ هـ بقرية رشميا من اعمال جبل لبنان من عائلة شريفة كاثوليكية وكان ابوه في خدمة الامير بشير الشهابي الكبير ومن المقربين اليه وبعد ان ولد له ميخائيل مدة قصيرة نقل بيته الى دير القرو وانحذهما وطناً له وكان ميخائيل نبيهاً ذكياً فتعلم مبادئ القراءة في وقت قصير وقد كان يميل الى الحساب فتلقن عن ابيه القواعد الاربع وزاد على ذلك مسك الدفاتر وكان يسمع من يهود دير القرو عن الكسوف والخسوف قبل حدوثها فاللوصول الى معرفة ذلك فعزت عليه الوساطة على انه لم يضعف امله وكان

يظن بان علم الفلك من العلوم التي تنبئ عن الحوادث الارضية قبل حدوثها
وسنة ١٨١٤ حضر بطرس عنخوري خال العلامة ميخائيل مشافة من
دمياط الى دير القمر وكان عالماً في العلوم الفلكية والطبيعية والرياضية فطالب
اليه ان يدرسه علم الفلك فاجابه واخذ يدرسه الهبة والرياضيات فتصل
جانبا من هذه العلوم بوقت قصير

وسنة ١٨١٧ ذهب الى دمياط وصار كاتباً في محل عمه في تلك المدينة
وما لبث الا امتد لاشغال تجارية خصوصية ففجج بها وصار له ثروة صغيرة وسنة
١٨١٨ قرأ كتاب سياحة المعلم فولانه المترجم الى العربية فتبلبلت افكاره من
من جهة الدين جداً على انه استمر محافظاً على ما استلمه من اهل وفي هذه السنة
حضر عرساً بدمياط وكانت الموسيقى تصدح فسأله احد الحاضرين عن الحن
وقبل ان يجيب بانه يجهل فن الموسيقى تعرض رجل عكاوي من الحاضرين
وقال للسائل (هذا جلي لسا بهيله لا يفهمشي) فتاثر من هذا الكلام وذهب في
اليوم التالي الى احسن الموسيقيين واخذ يدرس هذا الفن عليه وفي مدة شهرين
عرف اصوله وصار يضرب على اكثر الآلات حتى انه صار من علماء الموسيقى
والف فيها رسالة لم ينسج على منوالها. وسنة ١٨٢٠ ترك دمياط لسبب الطاعون
ورجع الى دير القمر وكان يطالع الجبر والمقابلة لذاته

وبعد بضع سنين اقامه الامير بشير مدبراً عند امراء حاصبيا فاكرموا
مثنواً وانزلوه بمنزلة عظيمة واعطوه اراضي متسعة في الحولة عند نهر اللدان
واعطوه قرية في قضاء القنيطرة

وسنة ١٨٢٨ اصابه مرض بخاصيا فذهب الى دير القمر للداواة وبعد
خمسة اشهر شفي فجد في طلب صناعة الطب واخذ يطالع كتبها لذاته مجدداً
واجتهاد حتى عرف اكثرها على انه اُعجم عليه بعض اصطلاحاتها فتلقنها عن
خاله بطرس عنخوري الذي كان وقتئذ قد رجع الى دير القمر لتبديل الهواء وكان
في دير القمر ايضاً رجل اسمه كرليني ايطالي الجنس كان بارعاً في هذه الصناعة

وقد اتخذهُ امرأه حاصيها بمساعيه طبيباً لهم فاستعان به في درس هذه الصناعة
وسنة ١٨٢١م حضر حصار عكا مع عساكر الأمير بشير ثم رافق العساكر
المصرية الى دمشق وسار معها الى حمص وبعد ان لبث بها شهراً ونصف وطبيب
المصابين بالرجح الاصفر رجع الى دير القمر وكانت حروب ابراهيم باشا في سوريا
على قدم وساق فلحق بالعلامة ميخائيل مشاقة اضراً كثيرة مالية حتى التزم ان
يطبيب بالاجرة بعد ان كان بطبيب مهنياً . ورحل الى دمشق واقام بها فراجع
صناعة الطب على كلوت بك ثم نصبتهُ الحكومة رئيساً لاطباء دمشق . وقرأ
الايساغوجي على العلامة الخوري يوسف الحداد وشرحه على العلامة الشريف
محمود افندي حمزة مفتي دمشق حالاً وبعد رحيل ابراهيم باشا المصري من
سوريا اتى السنيور وود قنصلاً لدولة انكلترا في دمشق مفوضاً بنظارة الحكومة
بسوريا فاتخذ العلامة ميخائيل مشاقة ترجماً لهُ

وسنة ١٨٤٥م توجه الى مصر ولازم كلوت بك وواظب على المضور
الى مدرسة قصر العيني لمشاهدة العمليات الجراحية والشرحية . واخذ دبلوما
ونال لقب دكتور . وبعد ان اقام في القطر المصري ثمانية اشهر رجع الى دمشق .
وعند ما وصل اليها تحركت في افكاره حركة دينية فكان تارة يظن بان ما
ذهب اليه فولتر الكافر وزعماءه صحيحاً وطوراً يتردد عن ذلك ويقول ان
كثيرين من فحول العلماء اقرؤا بصحة الديانة المسيحية وناضلوا عنها واخبروا
وقف على كتاب البيئة الجلية على صحة الديانة المسيحية فطالعه بامعان فاقنعتهُ
ادلته وقادته للاعتقاد بصحة الدين المسيحي فاخذ يراجع الكتب المقدسة مع كتب
جدلية بين البروتستانت والكاثوليك وكانت بينهُ وبين البطريرك مكسيموس
مظلوم مجادلات دينية كثيرة وكل ذلك مبين في كتاب الدكتور مشاقة المعنون
بالدليل الى طاعة الانجيل وفي رسالة اخرى له اسمها تبرئة المتهم
وسنة ١٨٤٨م ترك الكنيسة الكاثوليكية واتبع الكنيسة الانجيلية فصار من
اكابر علمائها والمناضلين عنها وقد حامى عن تعاليمها بمآلفه الكثيرة

وسنة ١٨٥٩ تعين العلامة ميخائيل مشاقه فيس قنصل الولايات المتحدة
الاميركانية في دمشق وفي حادثة سنة ١٨٦٠ اثخنه الثائرون بالجراح (وتنصيل
ذلك في كتابه المسمى بالجواب على اقتراح الاحباب) واخيراً وصل بمساعدة
الامير عبد القادر الجزائري الى بيت السيد محمد السوطني وظل به اميناً يطيب
جراحه الى ما بعد الحادثة بعشرين يوماً. سنة ١٨٧٠ اصابه فالج بجانبه الايمن
فانقطع عن اشغال وظيفته وتنازل عنها فوجهت لولده النجيب نصيف بك
وقد رزقه الله ابنة واربعة بنين افاضل وهم نصيف بك وسليم افندي
والدكتور ابراهيم والدكتور اسكندر

والعلامة ميخائيل مشاقه شهرة فائقة عند اهالي الشرق والغرب وله اعظم
اعتبار في اعين الجميع ولا ينقطع القوم من كل الاجناس والمذاهب عن زيارته
وهو طويل القامة كبير الجسم ذو ذكاء ولطف ودعة وسلامة واتضاع يترحم
بكل زائريه ويوانسهم ويكلم كل واحد بحسب طباعه ومشربه وحرفته وما اعتاد
عليه وله خبرة عظيمة في اهالي البلاد ومعرفة في ترجات اكثر العيال. ولا يزوره
زائر من اي رتبة كان الا ويصادف منه ما يسره فيخرج حامداً شاكراً اما علومه
فكثيرة منها الحساب والجبر والهندسة والانساب والمساحة والهيئة والكيمياء
والطب والجراحة والفلسفة والمنطق واللاهوت والتاريخ وغير ذلك

اما تآليفه فاربعة عشر مؤلفاً والمطبوع منها كتاب الدليل الى طاعة الانجيل
واجوبة الانجيليين ضد اباطيل التفليدين وجواب لصدیق من طائفة الروم
بمحص لا قناع بصحة المذهب الانجيلي سنة ١٨٥٣ وكشف النقاب عن وجه
المسيح الكذاب والبراهين الانجيلية ضد الاباطيل الباباوية وتبرئة المظلوم ورد على
منشور البابا بيوس التاسع. والبرهان على ضعف الانسان جواباً لصدیق له
تابع تعاليم فولنير. والتي لم تطبع هي. رسالة في ترجمة البطريرك مكسيموس
مظلوم ورد على ابن الحموية لاجل طعنه في المذهب الانجيلي والرسالة الشهادية
في الاخوان الموسيقية العربية والتحفة المشاقية مطوّل في علم الحساب والمعين على

حساب الايام والاشهر والسنين مذيل بمداول لمدة مئة سنة ثم نوي مطابقة
ايام الشهور الغربية والرومية والتبطينية والعبرانية والاسلامية ومواقع كسوفات
الشمس والقمر لطول دمشق وعرضها من الدرجات بدايته سنة ١٨٧٠ وترجمة
عائلة مشافة وهو كتاب جميل جداً يحنوي على ترجمة العائلة المشار اليها وعلى
حوادث سوريا منذ ايام الجزار الى سنة ١٨٧٢ واسنة الجواب على اقتراح الاحباب
وله رسائل وكتابات في مواضيع مختلفة غير هذه اعرضنا عن ذكرها

١ ترجمة السلطان نور الدين الشهيد

السلطان نور الدين الشهيد بن زنكي الملك العادل العالم الحنفي ولد سنة
احد عشر وخمس مئة وغزا وفتح حصوناً كثيرة وظهر العدل وقصد دمشق
مرتين وفي الثالثة ملكها وحصن سورها وبنى بها المدارس والمشاهد ونشر العلم
ووقف بها اوقافاً كثيرة قال في الاشارات وهو اول من بنى دار الحديث على
وجه الارض ووقف كتباً كثيرة . اهـ . وقد جمع مع الشجاعة كثرة العبادة . وكان
عالماً فقيهاً متواضعاً يحب اهل العلم والدين ويبرهم ويحلم ومنع شرب الخمر
وبيعها في جميع بلاد قصى ليلة ونهاره في عدل ينشره وجهاد يجهزه ومظلمة
يزيلها واحساناً يوليها ولم يلبس قط ما حرمة الشرع واذا اراد ان يصرف من
بيت المال احضر الفضاة والفقهاء واستفتاهم في اخذ ما يحل له فاخذ ما افترقه
بجمله وترك ما عداه ومن جملة عدله انه ازال المكس وكان يسمع شكوى المظلوم
ويتولى كشف الظلم بنفسه وكان لا يجيد عن ميزان الشرع وبنى المدارس والجامع
والمارستانات ومن اعظمها مارستان دمشق ووقف غلال القرية المعروفة بداريا
الكبرى للفقراء والايام والمساكين . وتوفي في دمشق سنة ٥٦٩ ودفن بقلعتها ثم
نقل الى تربته داخل المدرسة التي بناها للحنفية وهي المعروفة الى يومنا

٢ السلطان صلاح الدين الايوبي

هو السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن نجم الدين

ابوب ولد في تكريت سنة ٥٢٢ هـ وقدم به ابيه الى دمشق وهو رضيع فنشأ في حجره . ثم اتصل ابيه بخدمة نور الدين حتى استعمل على بعابك ولما شب صلاح الدين يوسف ارسله نور الدين مع امراء جيشه للحرب في مصر فظهر من الشجاعة والاقلام ما رفع مقامه في اعين الناس ورجع الى دمشق واستقر بها مدة ثم غزا الصليبيون مصر وكانت بيد الفاطميين وكادوا يستولون عليها فكتب العاضد الفاطمي الى نور الدين يستنجد (وفي رواية ان الفاطميين تردوا وعائلوا فافنى العلماء بقتلهم فارسل نور الدين وابادهم) فلباه وارسل الجنود النوريين الى مصر تحت قيادة شبركوه عم صلاح الدين وطلب من صلاح الدين المسير مع تلك الحملة فابي في باذي الامر وحاول عدم المسير وبعد الاحاح عليه سائر كرها ولما بلغت هذه الحملة مصر تشتت الافرنج وبعد حدوث حوادث كثيرة تمكن صلاح الدين من انكال الفاطميين وقطع خطبتهم وصار نائباً لنور الدين في مصر وكان يتظاهر بالطاعة له على ان باطنه ان يستقل بحكومة مصر ولما مات نور الدين اظهر صلاح الدين استقلاله بمصر وكان له بها عدة سنين كما قد منا وفتح الفتوحات العظيمة وضابق الصليبيين وقصر شوكتهم وصرف ايامه في الحروب والمغازي كما ذكرنا وفي ١٦ صفر سنة ٥٨٨ كان في دمشق فصابت حتى فات بها في ٢٧ منه وعمره نحو ٥٧ سنة ولكره لم يكن عنده شيء الا لما مات فجهره القاضي الفضل وكانت مدة ملكه للديار المصرية نحو ٢٤ سنة وللشامية ١٩ سنة وخلف سبعة عشر ابناً وابنة وكل ما خلفه من المال ٤٧ درهما وحرام واحد صوري واذا كانت هذه تركة رجل يملك الديار المصرية والشام وبلاد الشرق واليمن فليست الا برهاناً على كره المفرط ولم يخلف داراً ولا عفاً وقد فرق عند محاصرة عكا اثني عشر الف مطية خلا ما عوذه على من اصببت خيلهم ولم يكن له فرس بركبة الا وهو موهوب او موعود به وكان ديناً لا يؤخر صلوة عن وقتها ولا يفضل يوماً على يوم وكان محباً للحديث وقرأ مختصراً في الفقه وكان حسن الخلق صبوراً على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب اصحابه طاهر المجلس واللسان

قال العماد الكاتب مات بهوت السلطان الرجال وفات بوفاته الافاضل
وغاضت الايادي وفاضت الاعادي وانقطعت الارزاق وادهمت الآفاق
ونجح الزمان بواحد وسلطان ورزى الاسلام بهشيد اركانه . اه . وقد رثاه
الشعراء بالمرثي ونذب به الناس ندبا شديدا ودفنوه بقلعة دمشق وبعد ذلك
بنيت له قبة شمالي الكلاسة التي هي بجانب الجامع الاموي من الشمال وفي يوم
عاشور سنة ٥٩٢ نقل ابنه الملك الافضل عظامه اليها باحتفال عظيم وسنة
١٢٩٤ هـ في ايام ولاية ضيا باشا على دمشق اجتمع ليجدد قبر السلطان صلاح
الدين وجمع لذلك مبلغا من النفود وبنى الابواب الخارجية على شكل جميل جدا

الخاتمة

قد امتدحت دمشق من كثيرين نظما ونثرا ويضيق ذرعا هذا المختصر
عن ذكر كل ما قالوه فلذا اكتفينا بوضع هذه القصيدة من نظم الشيخ عبد الغني
النبلسي المشهور رحمه الله قال

انزل بارض الشام واسكن جلقا	ان سامك الخطب المهول فاقلقا
وترى بها عزّا وتفصح منطقا	تجد المرام بها وكل منك بل
وفت بها واستزادت رونقا	بلد سبت بين البلاد محاسنا
هام الفواد بحسبها فتعلقا	لا ينبغي حث الركاب لغيرها
قد جاء في القرآن ذاك محققا	حسبي وآبائها فضلا لها
بالقدس والحرمين اضحى ملحقا	هي صفوة الدنيا وشائع فضلها
لا سيما ان كان من اهل التقى	زاد السرور بها لكل معرج
دون البلاد بان تحب وتعشفا	ان تعشقوا وطنك فدي اولى لكم
قوم تشتت شملهم وتفرقا	انس الغريب وسلوة لدوي الهوى
واع الوداد ومحفظون الموثقا	خير الاناس اناسها برعون اه
مزج الغريب شرابه ولم سقي	لكن برائق صفوكاسات لم
الا الذي ترك السوى فتروقا	فتكدرت ما بينهم احوالهم
يتبعون ولا يرون بها شقا	هي جنة للطائعين معدة
غذب زلال سائغ لمن استقى	طابت هواء للنفوس وماؤها
وعد الاله بهن في دار البقا	وبها ترى الولدان والمحور التي

جلست محاسنها عن التعداد فلا
 يا حسن واديبها وطيب شبيبها
 وتراسلت اطيأه بين الرني
 لله ايام المجموع بطلها
 كيف انجعت بخير فحوك ماؤه
 يا حبذا اشراق مرجتها التي
 عذبت جباؤها فطابت موردا
 وتلاعبت فرسانها وتراكضت
 لم انس بالنيروز مخفها الذي
 جمع الانام اكابرا واصاغرا
 والربوة انفجاء يا نسانها
 ايام قطع النهر توصل شملنا
 بالفاسيون قست قلوب احبتي
 جبل كثير الخير كلمة الاله
 كم من ولي قد نوسد سفهه
 وكذلك الشهداء فيه تخالهم
 ومغارة الدم والمخاريب التي
 ومغارة الجوع التي قالوا بها
 لله سفع النيريين فكم به
 ضحكت ازاهرها على اغصانها
 قد دندنت انهارها في جربها
 والصالحية يالها من منزل
 وفيها القصور العاليات تزخرفت
 تسبو على اطراف جلق بهجة
 سقيت دمشق الشام صوب غمامة
 كم نزهة للعب فيها قد زهت
 الجامع الاموي الا نزهة
 قد انتفت صناعه بنيانه
 ولرأس يحيى فيه نور مهابة
 والحائط القبلي زاد جلالة
 وانظر مكان التين فيه مبلطاً

نأت بما يختار منه وينتقى
 قد فاح عرف الزهر فيه وعبقا
 سحرا فهيجت القلوب الشيقا
 كادت بايام الصبا ان تلحقا
 واليك بركع كل غصن اورقا
 اضي غني المم فيها مبلقا
 تحكي الصوارم صيقلأ ونالقا
 ما بينها تعلمو الجياد السبقا
 بسرور قلب الخزين تعلقا
 وحوى الملاح مقرطقا ومبسطقا
 مري علي ورغري عند اللقا
 باحبة الفول الخلاعة مطلقا
 ولكم سرى فيه الصبا فترفقا
 فجبال في ذاك اللسان وانطقا
 بل من نبي حل فيه مخفقا
 احياء من عدم البلا ورزقا
 للاربعين من الرجال ومن رقا
 كم من نبي مات جوعا فالتقى
 من روضة غناء طابت رونقا
 فاتي النسيم بملهن وصفقا
 لما شدا ذاك الحمام وششفقا
 فيها قبور الصالحين اولو النقي
 مثل النجوم زهت بكل من ارتقى
 وطلاوة فيها السرور تخفقا
 اشفى على غيظانها فندفقا
 وسرت على طرف المهوم فاطرقا
 فيها تراه بالعبادة مشرقا
 فاتي المزخرف زانه وثانقا
 ما بين هاتيك السواري اشرقا
 بمقام هود من بزره تخفقا
 لا زال في الجمعات يجمع صنفقا

ونرى دروس العلم فيه دائما
وعلى كراسيو رقت وعاطفه
من كل من لوملت مستمعاً له
يا ليلة النصف الشريفة فاز بال
هذي قباب النور تشعل في الدجى
من كل شمس نبط اوج كمالها
وثلاث هاتيك المآذن تنجلي
عقدت روادفها بمعقد خصرها
من فوقها اهل الاذان ترسلوا
من كل من لورحت تسبح صوته
والعشرة الابواب لما ان زهت
صفت بها المحلوى افانينا فمن
لم انس ليالات الصيام وانسها
تلفت الارام حول قبابه
وتيل اعطاف الملاح خلاله
قد اوقدت تلك الخدود من الحيا
يا حبذاك الصحن اشرق وانجلي
فيه الصعاب روائحا وغوا ديا
من حول الاسواق تشرق في الدجا
فيها ترى ما تشتهي وتلدّه
هي شامنا اعلى الاله منارها
لم ترض عيني غيرها من منظر
الله ايام تنفضت لي بها
حيي الحبا تلك البقاع فانها
هي منشائي لا حاجر وطويلع
وطني واول ما وطئت بها الثرى
لد يا فوادي بما بها من معشر

هنا وقف القلم وانتهى ما رايت لزوما لسرده فارجو من اصحاب الفضل
معاملتي بالرفق لاني مقرر بضعفي وقصوري . وكان الفراغ من تأليفه يوم الثلاثاء
ختمام سنة ١٨٧٨ وان شاء الله سارده بكتاب آخر دعوته مرآة سورية وفلسطين

نقاريظ

ولما تم هذا الكتاب تكرم بتقريظه بعض من اطلع عليه من اهل الفضل والآداب
فادرجنا بعض ما جادوا به وهاك ما قالوا حفظهم الله :

قال صاحب الفضيلة العالم العامل السيد الشريف حمزاوي زاده اسعد افندي

يم ربا جلقٍ والشمه من امـ وول وجهك نحو المفرد العلم
وسرح الطرف في ازهار روضته واذكر ولا تبغسوا للناس من حكمـ
عمت بوابها الاحياء بعضهم ما كان مندرسا احياء ذكرهمـ
فاق الاوائل انقانا وقد جمعت فيه البلاغة بالايجاز في الكلمـ
نعمان اعني به ارخت فيها يم ربا جلقٍ والشمه من امـ ١٢٩٦

وقال حضرة صاحب الفضيلة العالم العلامة الفاضل الشيخ عبد المجيد

افندي الخاني النقشبند في خادم العلم الشريف

اغصن الروضة الفنا الرطيب له في جلق الفيحاء طيب
ام السحر الحلال اتج منه الى نعمان اسلوب غريب
هو الماثور صدق القول عنه اذا ما شاء يثني او يعيب
نوشع دائبا بالفضل حتى ترشح للعلا وهو الاديب
ومن خطب الفضائل وهو كفو فلا يسع العلا الاتجيب
واغرب حين اعرب عن كتاب بطيب به النغزل والنسب
كتاب غور معناه بعيد ولكن نجد مبناه قريب
بورخ فيه ما ذاقتم دمشق من الالبام يكره او يطيب
تخطى المنكرات ولم يعول على الاخبار تخطي او تصيب
فجاء مؤلفا يهوى اليه فيبصر فيه ما يهوى الارب
حلا تقريظه حتى تاتي من التاريخ تاريخ عجب ١٢٩٦

وقال العالم العامل الشيخ طاهر افندي المغربي ناظر المدارس الابتدائية
احمد من جعل دمشق روضة تنفخ بالطيب ازهارها . وتصدح على غصنها
الطيب اطيارها . بل جنة تجري من تحتها الانهار . كسيت سندساً خضرا من
النبات والاشجار . محاسنها جارية للقلوب والابصار وعنوان على الفردوس لدى
الصالحية الاخيار . يقول لسان حالها قد راج سوق من سار . وجاء لمشاهدة
عروسي . واجنناء ثماري وغروسي . واصلي اشرف صلوة واسلم اذكي نحية . على
الانبياء الكرام ذوي المحاسن القمية . خصوصاً على من هولم خنمام . ولعقدنهم نظام .
وبعد فقد سرحت بلبل الفكر في ميدان هذا الكتاب فوجدته قد نظم من اخبار
هذه المدينة التي نزهت كل عماره . درراً سلكتها في اسهل عباره واجرى في قنوات
رياضه ماء زلالا . فاضى بهجته بتلالا

سفر حوى ما قد حوته جلق	من بهجة ونضارة وبهاء
فاجل جواد الطرف فيه تلقى ما	تخلو محاسنه لعين الراعي
قد قلت لما ان حلا طبعاً وقد	شاهدت نفعاً فيه للقراء
هذي شقائق قد زها نعمانها	لما بدت في الروضة الغناء

وقال جناب الفاضل ابراهيم افندي سر كيس المحترم
ان كنت ترغب في كتاب فوائد
فجميع ذلك ظاهر تفصيله
في الروضة الغناء للنعمان

وقال جناب الاديب الارباب المعلم عبده كميل الدبير عطاني
راح النفوس نفائس الافكار
هيئات ان يحلو لنفس اخي النوى
قصر الجمال على الطبيعة والحجى
فاقم برهوه جلق طرباً وقل
وادع القصي الى مشاهد مجدها
وطلى العقول طوالع الاسرار
كاس حلا لكن بدون عصا
لا ما اتى من سلعة العطار
هذا كمال المحسن جل البارى
بالروضة الغناء دون نواري

واثن على النعمان يا ذا منذراً من لم يفز بكتابه المعطار
 سفر القناع عن المضي بسفره وجلا حقائقه على الابصار
 وابان حال الحال دون تشيع خبر المقال بصادق الاخبار
 همت يا ذا الفضل فيما نلت من شرف بانشا افضل الاسفار
 لك في دمشق فضائل خلدتها بكتابك الآتي بكل فخار
 طابت فطاب لك المقال بحقه فاسلم ودم واهنا مدى الاعصار

وقال جناب الاديب ابراهيم افندي واكد

هذا كتاب تزهة وكجدة من كل فاكهة بها زوجان
 اكرم بها من روضة غناء قد غرست بذاك الفاضل النعمان
 وقال جناب الاديب المعلم متري قندلفت مؤرخاً نهاية نايف الكتاب
 هذا كتاب في حوادث خلق اجلاه شهيم جل فيه ثناء
 لما تكامل قال ما ناربخنا فلقد بدا حب الروضة الفيحاء

سنة ١٨٧٨

وقال جناب العالم العلامة الفاضل منير زاده الشيخ محمد صالح افندي
 خادم العلم الشريف بدمشق الشام مؤرخاً نهاية طبع الكتاب
 هذا كتاب مستطاب بدیع كانه خزانة للبديع
 اجلت فيه طرف الطرف اذ منه توسمت جميل الصنيع
 فشمت ما قرأ به الناظر ورق للشهم اللبيب السميع
 لا بدع فهو روضة قد حكمت بشعها الذكي زهر الربيع
 وهو لمن آفة شاهد بانه البارع بين الجميع
 وبادر الفور لتقرظو وعندهم حل المحل الرفيع
 فقلت لما تم بالطبع ارخ م ان هذا الكتاب بدیع

سنة ١٢٩٦ هجرية

فهرس الكتاب

وجه

٢

في جغرافية الشام

٥

فصل . في موقع دمشق والقابها وعدد سكانها

٩

فصل . في مذاهب المؤرخين في من بني دمشق

١٠

فصل . في تاريخ دمشق الى يوم فتحها المسلمون

١٧

فصل . في فتوح المسلمين لدمشق الى ان قامت الدولة الاموية

٢٩

نبذة من تاريخ الدولة الاموية

فصل . في تاريخ دمشق من حين استولى عليها العباسيون الى ان خضعت للسلاجقة

٣٦

صلاح الدين الايوبي

٤٩

فصل . في تاريخ مدة استيلاء الايوبيين على دمشق

٦٦

فصل . في تاريخ دمشق نزوحها للمصريين وفتح تيمورلغا الى استيلاء العثمانيين عليها

٧٧

فصل . في تاريخ استيلاء العثمانيين على دمشق الى وقتنا الحاضر

٩٥

فصل . في ابنية دمشق

١١١

فصل . في اقسام دمشق

١١٣

فصل . في مياه دمشق ومنزهاها

١١٦

فصل . في تربة دمشق ونباتها واشجارها وهوائها

١١٧

فصل . في المعارف في دمشق

١٢١

فصل . في صنائع دمشق وتجارتها

١١٥

فصل . في اطوار الدماشقة وبعض عوائدها

١٣٩

فصل . في حكومة دمشق ومعلقاتها

١٣٠

نثرات

١٣١

فصل . في من مات بدمشق من الصحابة

١٣٣

فصل . في ذكر من مات واشتهر بدمشق من الاولياء المقربين والعلماء العاملين

١٤٣

فصل . في القديسين ومشاهير العلماء المسيحيين الذين نشأوا في دمشق

١٤٦

فصل . في مشاهير علماء المسيحيين في جبلنا الحاضر

١٥٤

تراجم

١٥٦

الحائمة

١٥٩

تقاريط

قلادون حيثما وردت صوابها قلاوون ومكة المكرمة وجه ٢٧ - طرا ٢١ صوابها المدينة المنورة